For Reference

NOT TO BE TAKEN FROM THIS ROOM.

Arabic Literature

المقامات الحريرية

قیمت ۳۵ پیسه

المقامات الحريرية

مشتملة على خمسين حكاية

قد طبع مرة ثانية باهتمام اضعف العباد

عبد الله

في المطبع الطبي في بلدة چچرة من محلات بندر هوگلى

وتصحيح المدرس المولوي منصور احمد البردواني من مدرسى المدرسة المحسنيه

والمعاون المولوي جواد على من معاوني المدرسة الكلكتيه

في سنة ١٢٦١ من الهجرة النبوية عليه وعلى آله السلام والصلوة الزكية

موافقا للسنة ١٨٤٥ المسيحية

Allama Iqbal Library
47238

J. & K. UNIVERSITY LIB
Acc No 47238
Date 5-11-63

ST 01

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي انشأ الموجودات بقدرته * وكرّم من بينهم الناس بحسن خلقته * فضّله بفصاحة البيان على جمّ غفير من مخلوقاته * وشرّفه بالغدوات والروحات بمنّته وعطيّاته * وبعدُ فلمّا كانت المقاماتُ التي ابتدعها المحقّق الفاضل * المدقّق الكامل * نحرير العُلَماء * اديب الادباء * الذي تفوّق افاويق البلاغة والبراعة * وفاق في مِضمار الفصاحة اصحابَ البراعة * لا يُماثِله ضديد * وماسُمِع له نديد * ابو محمّد القاسمُ بن عليّ بن محمد بن عثمان الحريري البصريّ برّد الله مَضجَعه * وطيّب مُنْهَجه ومَهْجَعه * اكثرَ فائدةً في العلوم الادبية * واوفر عائدة في انشاء الحكايات العربيّة * وقد تلقّاها بالقبول لدرس الطُّلّاب الّذين جُبِلوا على اكتساب الفضائل * ورُزقوا طبائعَ راغبة عن الرذائل * مَنْ هو مركز دائرة الفضل وحميد الخصائل * قُطبُ فَلَك الفواضل وجميل الشّمائل * رافع الوية فنون العلوم في الآفاق * مُبَشّرا رباب تلك السِلَع بنفاق الاَسواقِ *

نظم

* في قلبه مِقياسُ نورٍ أيّما مقياس * بَدْرٌ ضياءُ وجهه مُغنٍ من النّبراس *

قد فاز بالقِدح المعلّى في محاسن الشِّيَم بذهنه النقّاد * ووصل الى الدرجة العليا من المَعارف بطَبْعه الوقّاد * الصاحب الجلي الشان على الاقران مينهو لمسدن المدرس المعروف بين الاعيان والاركان * دامت دولته مادامت الرِّياحُ تَهُزّ الأفنان * وتهتزّ الأغصان على شجر البيان * وصارت لكرِّ الازمنة والدّهور * ومَرّ القبول والدّبور * قد ضاعت في ايدي الناس * ووقع في نُسَخها الاختلافُ والالتباس * حتى صعُب فهم المراد على الطُّلّاب غاية الاستصعاب * فاراد الصاحب الرفيع المكان طَبْع الكتاب المسطور * وأمَران يُجتهَد في تصحيحه بالجهد الموفور * ويُكتَب في اوله نبَذ من احوال المصنِّف والمصنَّف * ويُملأ في آخره ما أُدرِك من استعارات المؤلِّف في المؤلَّف * ليَسْهُل عن الطالبين فهمُ مُعضلاته * ولا يحتاجُون كثيرا في استكشاف مُغلَقاته * فاستجمع سبعةُ أسفار * مقروّة على الأجبار * واُوثر من عباراتها عند لبس الاساس * ماكان في كثيز منها وقُرب من القياس * فصُحِّحتْ الفاظها من اغلاط النَسْخ والسهو * وطُبِعَت حتى صارت كالشمس في الضَّحْو * وقد ذُكِر في حالاته * أنّه كان من رُؤساء بَلدته * بارعا في العلوم كلها * سيّما في التصريف والنحو والحديث واللُغة بكثرها وقُلّها * عاش سَبْعين سَنة من السِنين القمريّة * وتُوفّي سنة خمسمائة وستة عشر من الهِجْرة النّبويّة * وانتسابه بالحريرقيل لتجارتها * وقيل الحريرُ قرية ولد فيها * فنسب اليها * وبالبَصْرة لانه اقام بها * وذكر ابن الجَوزيّ انه عرَض المقامة الحراميّة على الوزير انوشيروان وزير المسترشد بالله فاستحسَنَها * وأمَره ان يُضيف

اليها ماشاكلها * فاتمها خمسين * وقيل عمل اربعين مقامة وحملها الى بغداد من البصرة * وعرضها على جلال الدين عبد الدولة فاتهمه * من يحسده * فقال الوزير انكان صادقا * فليصنع مقامة اخرى * فقال نعم وانفرد بناحية من الايوان ومكث زمانا كثيرا * فلم يفتح الله سبحانه عليه شيأ يسيرا * فقام وهو خجلان * وفي ايدى الناس ندمان * وعاد الى البصرة * واملأ عشر مقامات اخرى * وارسلهن الى الوزير * واعتذر من عيه في الديوان * وما لحقه من المهانة بين الاعيان * فح بان فضله على الانام * وقد نجا من الاتهام * واعتنى بمقاماته الادباء * و اقتدى باستعاراته الخطباء * وقد اكب على تعاورها الشيخة والشبان * واخذوها مقبولة من بين الدفاتر والديوان * وشرحوا لها شروحا قد زادت على الخمسين * واستكشفوا عن خبايا ها بالافانين * ولله در الزمخشري حيث قال في توصيفها * وقد اصاب في تعريفها *

نظم

* اُقسِمُ بالله وآياتـه * ومَشْعَرِ الحجِّ وميقاتـه *

* ان الحريريّ حريٌّ بان * تكْتَبَ بالتِبْر مقاماتـه *

هذا ما وصل من خبره * ونظم من نثره *

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال الشيخُ الاجلُّ الاوحدُ ابو مُحمّدٍ القاسمُ بن عليّ بنِ محمّدِ بنِ عُثمانَ الحريريُّ البصريُّ بَرّدَ اللهُ مَضجعه * اللّهمّ انّا نَحمدك على ما علّمتَ من البَيان * وألهمتَ مِن التّبيان * كما نَحمدك على ما أسبغتَ مِنَ العطاء * وأسبلتَ مِنَ الغِطاء * ونعُوذ بك من شِرّة اللَّسَن * وفُضولِ الهَذَر * كما نعُوذ بك مِن معَرّة اللَّكَن * وفُضوحِ الحَصَر * ونستكفي بكَ الافتتان باطراء المادح * واغضاءِ المُسامِح * كما نستكفي بكَ الانتصاب لإزراءِ القادِح * وهتكِ الفاضِح * ونستغفرك مِن سَوقِ الشّهوات * الى سُوقِ الشُّبُهات * كما نستغفرك مِن نقلِ الخُطُوات * الى خِطَطِ الخطيّات * ونستوهب منك توفيقا قائدا الى الرُّشد * وقلبا مُتقلّبا معَ الحقّ * ولسانا مُتحلّيا بالصِدق * ونُطقا مؤيّدا بالحُجّة * واصابةً ذائدةً عن الزَيغ * وعزيمةً قاهرةً هوى النَّفس * وبصيرةً نُدرِك بها عِرفانَ القَدْر * وأنْ تُسعِدَنا بالهِداية الى الدِّراية * وتعضدَنا بالإعانة على الإبانة * وتعصِمنا من الغَواية في الرِّواية * وتصرِفنا عن السَّفاهة في الفُكاهة * حتّى نأمن حَصائدَ الألسنة * ونُكفى غَوائلَ الزَخرفة * فلا نرِدَ مَورِدَ مأثمةٍ * ولا نقِفَ موقفَ مَندمةٍ *

ولا نرهق بتبعة ولا معتبة * ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة * اللهم فحقق لنا هذه المنية * وانلنا هذه البغية * ولا تفضحنا عن ظلك السابغ * ولا تجعلنا مضغة للماضغ * فقد مددنا اليك يد المسئلة * وبخعنا لك بالاستكانة والمسكنة * واستنزلنا كرمك الجم * ومنك الذي عم * بضراعة الطلب وبضاعة الامل * ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر * والشفيع المشفع في المحشر * الذي ختمت به النبيين * واعليت درجته في عليين * ووصفته في كتابك المبين * فقلت وانت اصدق القائلين * وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * اللهم فصل عليه وعلى آله الهادين * واصحابه الذين شادوا الدين * واجعلنا لهديه وهديهم متبعين * وانفعنا بمحبته ومحبتهم اجمعين * انك على كل شيء قدير * وبالاجابة جدير * وبعد فانه قد جرى ببعض اندية الادب الذي ركدت في هذا العصر ريحه * وخبت مصابيحه * ذكر المقامات التي ابتدعها بديع الزمان * وعلامة همدان * رحمه الله وعزى الى ابي الفتح الاسكندري نشأتها * والى عيسى بن هشام روايتها * وكلاهما مجهول لا يعرف * ونكرة لا تتعرف * فاشار من اشارته حكم * وطاعته غنم * الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع * وان لم يدرك الظالع * شأو الضليع * فذاكرته بما قيل فيمن الف بين كلمتين * ونظم بيتا او بيتين * واستقلت من هذا المقام الذي فيه يحار الفهم * ويفرط الوهم * ويسبر به غور العقل * وتتبين فيه قيمة المرء * ويضطر صاحبه الى ان يكون كحاطب ليل * او جالب رجل وخيل * وقلما سلم مكثار * او اقيل له عثار * فلما لم يسعف بالاقالة * ولا اعفى عن المقالة * لبيت دعوته تلبية المطيع * وبذلت في مطاوعته

جُهْدَ المُسْتطيعِ * وأنشأتُ على ما أعانيه من قريحةٍ جامدةٍ * وفطنةٍ خامدةٍ * ورويةٍ ناضبةٍ * وهمومٍ ناصبةٍ * خمسين مقامةً تحتوي على جدِّ القول وهزله * ورقيقِ اللفظِ وجزلِه * وغررِ البيانِ ودررِه * وملحِ الأدبِ ونوادرِه * الى ما وشحتها به من الآيات * ومحاسنِ الكنايات * ورصعته فيها من الأمثالِ العربيّةِ * واللطائفِ الأدبيّةِ * والأحاجيِ النحويّةِ * والفتاوى اللغويّةِ * والرسائلِ المبتكرةِ * والخطبِ المحبّرةِ * والمواعظِ المبكيةِ * والأضاحيكِ الملهيةِ * مما أمليتُ جميعه على لسانِ ابي زيدِ السَّروجيّ * واسندتُ روايته الى الحارثِ بنِ همامٍ البصريِّ * وما قصدتُ بالاحماضِ فيه الّا تنشيطَ قارئيه * وتكثيرَ سوادِ طالبيه * ولم أودعْه من الأشعارِ الأجنبيّةِ الّا بيتينِ فذّينِ أسّستُ عليهما بنيةَ المقامةِ الحلوانيّةِ * وآخرينِ توأمينِ ضمّنتُهما خواتمَ المقامةِ الكرجيّةِ * وما عدا ذلك فخاطري ابو عذرِه * ومقتضبُ حلوِه ومرِّه * هذا مع اعترافي بأنَّ البديعَ رحمهُ اللهُ سبّاقُ غاياتٍ * وصاحبُ آياتٍ * وانَّ المتصدّي بعده لانشاءِ مقامةٍ * ولو اوتيَ بلاغةَ قدامةَ * لا يغترفُ الّا من فضالته * ولا يسري ذلك المسرى الّا بدلالته * ولله درُّ القائلِ *

نظم

* فلو قبلَ مبكاها بكيتُ صبابةً * بسعدى شفيتُ النفسَ قبلَ التندّمِ *
* ولكن بكت قبلي فهيّجَ لي البكا * بكاها فقلتُ الفضلُ للمتقدّمِ *

وأرجو ان لا أكونَ في الهذرِ الذي أوردتُه * والموردِ الذي تورّدتُه * كالباحثِ عن حتفه بظلفه * والجادعِ مارنَ انفه بكفّه * فالحقَ بالأخسرين أعمالا * الذين ضلَّ سعيهم في الحيوةِ

الدُّنيا وهم يَحسَبون اَنهم يُحسِنون صُنعا * عَلى اَنّي وان اَغمض لِيَ الفطِنُ المتغابِي * ونضح عَنّي المحبُّ المحابِي * لا اكاد اَخلُص من غُمرٍ جاهلٍ * او ذي غِمرٍ مُتجاهلٍ * يَضعُ مِنّي لهذا الوضع * ويندد بانّه من مناهي الشَّرع * ومن نقد الاشياء بعين المعقول * وانعم النّظر في مبانِي الاُصول * نظم هذه المقامات في سلك الافادات * وسلكها مَسلك الموضوعات عن العجماوات والجمادات * ولم يُسمع بمن نبا سمعه عن تلك الحكايات * واثّم رواتها في وقتٍ من الاوقات * ثم اذا كانت الاعمالُ بالنّيات * وبها انعقاد العُقود الدّينيّات * فاي حرج على من انشأ مُلَحاً للتنبيه * لا للتّمويه * ونحا بها منحى التّهذيب لا الاكاذيب * وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب لتعليم * وهدى الى صراطٍ مستقيمٍ *

شعر

* عَلى اَنّنِي راضٍ بِاَن اَحمِلَ الهوى * واَخلُصَ منه لا عَليّ ولا لِيا *

وباللّه اَعتضِدُ * فيما اَعتمِدُ * واَعتصِمُ * مِمّا يَصِمُ * واَسترشِدُ الى ما يرشِدُ * فما المفزَعُ الّا اليه * ولا الاستعانة الّا به * ولا التّوفيقُ الّا منه * ولا الموئِلُ الّا هو * عليه توكّلتُ * واليه اُنيبُ *

المقامة الاولى الصنعانية

حدّث الحارث بن همّام قال لمّا اقتعدتُ غارِبَ الاغتراب * وانأتني المتربة عن الاتراب * طوّحت بي طوائح الزّمن * الى صنعاء اليمن * فدخلتها خاوِيَ الوِفاض * بادِيَ الانفاض *

لا أملك بلغة * ولا أجد في جرابي مضغة * فطفقت أجوب طرقاتها مثل الهائم * أجول
في حوماتها جولان الحائم * وأرود في مسارح لمحاتي * ومسايح غدواتي وروحاتي * كريماً
أخلق له ديباجتي * وأبوح إليه بحاجتي * أو أديباً تفرج رؤيته غمتي * وتروي روايته غلتي *
حتى أدتني خاتمة المطاف * وهدتني فاتحة الألطاف * إلى ناد رحيب * محتو على زحام
ونحيب * فولجت غابة الجمع * لأسبر مجلبة الدمع * فرأيت في بهرة الحلقة * شخصاً
شخت الخلقة * عليه أهبة السياحة * وله رنة النياحة * وهو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه *
ويقرع الأسماع بزواجر وعظه * وقد أحاطت به أخلاط الزمر * إحاطة الهالة بالقمر * والأكمام
بالثمر * فدلفت إليه لأقتبس من فوائده * وألتقط بعض فرائده * فسمعته يقول حين خب
في مجاله * وهدرت شقاشق ارتجاله * أيها السادر في غلوائه * السادل ثوب خيلائه *
الجامح في جهالاته * الجانح إلى خزعبلاته * إلام تستمر على غيك * وتستمرئ مرعى
بغيك * وحتام تتناهى في زهوك * ولا تنتهي عن لهوك * تبارز بمعصيتك * مالك
ناصيتك * وتجترئ بقبح سيرتك * على عالم سريرتك * وتتوارى عن قريبك * وأنت
بمرأى رقيبك * وتستخفي من مملوكك * وما تخفى خافية على مليكك * أتظن أن
ستنفعك حالك * إذا آن ارتحالك * أو ينقذك مالك * حين توبقك أعمالك * أو يغني
عنك ندمك * إذا زلت قدمك * أو يعطف عليك معشرك * يوم يضمك محشرك *
هلا انتهجت محجة اهتدائك * وعجلت معالجة دائك * وفللت شباة اعتدائك * وقدعت

نَفْسَكَ فهي اكبرُ اعدائِكَ * اَمَّا الحِمامُ مِيعادُكَ * فما اِعدادُكَ * وبالمشيبِ انذارُكَ * فما اعذارُكَ * وفي اللَّحدِ مَقِيلُكَ * فما قِيلُكَ * والى اللهِ مَصِيرُكَ * فَمَنْ نَصِيرُكَ * طالما اَيقظكَ الدَّهرُ فتناعستَ * وجذبكَ الوعظُ فتقاعستَ * وتجلَّتْ لكَ العِبَرُ فتعاميتَ * وحَصْحَصَ لكَ الحقّ فما رَيْتَ * واذكرَكَ الموتُ فتناسيتَ * وَاَمْكَنَكَ اَنْ تُواسِيَ فما آسَيْتَ * تُؤثِرُ فلسًا تُوعِيهِ * على ذِكْرٍ تَعِيهِ * وتختارُ قصرًا تُعْلِيهِ * على بِرٍّ تُولِيهِ * وتَرْغَبُ عن هادٍ تَستهدِيهِ * الى زادٍ تَستهدِيهِ * وتُغَلِّبُ حُبَّ ثوبٍ تَشْتَهِيهِ * على ثوابٍ تشتريهِ * يَواقيتُ الصِّلاتِ * اَعْلَقُ بِقَلْبِكَ من مَواقِيتِ الصَّلٰوةِ * ومُغالاةُ الصَّدُقاتِ * آثَرُ عِنْدَكَ مِن مُوالاةِ الصَّدَقاتِ * وصِحافُ الألوانِ * اَشهى اليكَ مِن صَحائِفِ الأدْيانِ * ودُعابةُ الأقرانِ * آنَسُ لكَ من تِلاوةِ القُرآنِ * تأمُرُ بالعُرْفِ وتَنْتَهِكُ حِماهُ * وتَحْمِي عَنِ النُّكْرِ ولا تتحاماهُ * وتُزَحزِحُ عَنِ الظُّلْمِ ثم تَغْشاهُ * وتَخْشَى النّاسَ واللهُ اَحَقُّ اَنْ تَخشاهُ * ثم اَنْشَدَ

نظم

* تَبًّا لِطالبِ دُنيا * ثَنَى اِلَيْها انصِبابَهْ *

* ما يَسْتَفِيقُ غَرامًا * بِها وفُرْطَ صَبابَهْ *

* ولو دَرَى لَكَفاهُ * مِمّا يَرُومُ صُبابَهْ *

ثم اِنَّهُ لَبَّدَ عَجاجَتَهُ * وغَيَّضَ مُجاجَتَهُ * وَاعْتَضَدَ شَكْوَتَهُ * وتَأَبَّطَ هِراوَتَهُ * فلمّا رَنَتِ الجَماعةُ الى تَحَفُّزِهِ * ورأتْ تأهُّبَهُ لِمُزايَلَةِ مَرْكَزِهِ * اَدْخَلَ كُلٌّ منهم يَدَهُ في جَيْبِهِ * فأفْعَمَ

له سجلا من سيبه * وقال اصرف هذا في نفقتك * او فرّقه على رفقتك * فقبله منهم مغضيا * وانثنى عنهم مثنيا * وجعل يودّع من يشيّعه * ليخفى عليهم مهيعه * ويسرّب من يتبعه * لكي يجهل مربعه * قال الحارث بن همام فاتّبعته مواريا عنه عياني * وقفوت أثره من حيث لا يراني * حتّى انتهى الى مغارة * فانساب فيها على غرارة * فامهلته ريثما خلع نعليه * وغسل رجليه * ثمّ هجمت عليه * فوجدته محاذيا لتلميذ * على خبز سميذ * وجدي حنيذ * وقبالتهما خابية نبيذ * فقلت يا هذا أيكون ذاك خبرك * وهذا مخبرك * فزفر زفرة القيظ * وكاد يتميّز من الغيظ * ولم يزل يحملق اليّ * حتّى خفت ان يسطو عليّ * فلمّا أن خبت ناره * وتوارى أواره * انشد *

نظم

* لبست الخميصة ابغي الخبيصة * وانشبت شصّي في كلّ شيصة *
* وصيّرت وعظي أحبولة * أريغ القنيص بها والقنيصة *
* وألجأني الدهر حتّى ولجت * بلطف احتيالي على اللّيث عيصه *
* على انّني لم أهب صرفه * ولا نبضت لي منه فريصة *
* ولا شرّعت بي على مورد * يدنّس عرضي نفس حريصة *
* ولو انصف الدهر في حكمه * لما ملّك الحكم اهل النّقيصة *

ثمّ قال لي ادن فكل * وان شئت فقم وقل * فالتفتّ الى تلميذه وقلت عزمت عليك بمن يستدفع به الأذى * لتخبرني من ذا * فقال هذا ابو زيد السّروجي سراج الغرباء *

وتاجُ الأُدباء * فانصرفتُ من حيثُ أتيتُ * وقضيتُ العجبَ ممّا رأيتُ *

المقامة الثانية الحلوانية

حكى الحارثُ بنُ همّامٍ قال كلِفتُ مُذْ مِيطتْ عنّي التمائمُ * ونِيطتْ بيَ العمائمُ * بأنْ أغشَى معانَ الأدبِ * وأُنضيَ اليهِ ركابَ الطّلبِ * لأعلَقَ منه بما يكونُ لي زينةً بينَ الأنامِ * ومُزْنةً عندَ الأُوامِ * وكُنتُ لفرْطِ اللّهجِ باقتباسهِ * والطّمعِ في تقمّصِ لباسهِ * أُباحثُ كلَّ مَنْ جلَّ وقلَّ * وأستسقي الوبْلَ والطّلَّ * واتعلّلُ بعسى ولعلَّ * فلمّا حللتُ حُلوانَ * وقد بلوتُ الإخوانَ * وسبرتُ الأوزانَ * وخبرتُ ما شانَ وزانَ * ألفيتُ بها أبا زيدٍ السّروجيَّ يتقلّبُ في قوالبِ الانتسابِ * ويخبطُ في أساليبِ الاكتسابِ * فيدّعي تارةً أنّه من آلِ ساسانَ * ويعتزي مرّةً الى أقيالِ غسّانَ * ويبرزُ طوراً في شعارِ الشّعراءِ * ويلبسُ حيناً كِبرَ الكُبراءِ * بيدَ أنّه مع تلوّنِ حالهِ * وتبيّنِ مُحالهِ * يتحلّى برُواءٍ وروايةٍ * ومُداراةٍ ودِرايةٍ * وبلاغةٍ رائعةٍ * وبديهةٍ مُطاوعةٍ * وآدابٍ بارعةٍ * وقدمٍ لأعلامِ العُلومِ فارعةٍ * فكانَ لمحاسنِ آلاتهِ * يلبسُ على علّاتهِ * ولسعةِ روايتهِ * يُصبى الى رُؤيتهِ * ولخلابةِ عارضتهِ * يُرغبُ عن مُعارضتهِ * ولعذوبةِ إيرادهِ * يُسعفُ بمُرادهِ * فتعلّقتُ بأهدابهِ * لخصائصِ آدابهِ * ونافستُ في مُصافاتهِ * لنفائسِ صفاتهِ *

شعر

* فكُنتُ بهِ أجلو هُمُومي وأجتلي * زماني طلقَ الوجهِ مُلتمعَ الضِّيا *
* أرى قُربهُ قُربى ومَغناهُ غُنيةً * ورُؤيتهُ رِيًّا ومُحياهُ لي حَيا *

ولبثنا على ذلك برهة * ينشئ لي كل يوم نزهة * ويدرأ عن قلبي شبهة * الى ان جدحت له يد الاملاق * كاس الفراق * وافراه عدم العراق * بتطليق العراق * ولفظته معاوز الارفاق * الى مفاوز الآفاق * ونظمه في سلك الرفاق * خفوق راية الاخفاق * فشحذ للرحلة غرار عزمته * وظعن يقتاد القلب بازمته *

نظم

* فما راقني من لاقني بعد بعده * ولا شاقني من ساقني لوصاله *

* ولا لاح لي مذ ند ند لفضله * ولا ذو خلال حاز مثل خلاله *

واستسر عني حينا * لا اعرف له عرينا * ولا اجد عنه مبينا * فلما ابت من غربتي * الى منبت شعبتي * حضرت دار كتبها التي هي منتدى المتادبين * وملتقى القاطنين منهم والمتغربين * فدخل ذو لحية كثة * وهيئة رثة * فسلم على الجلاس * وجلس في اخريات الناس * ثم اخذ يبدي ما في وطابه * ويعجب الحاضرين بفصل خطابه * فقال لمن يليه * ما الكتاب الذي تنظر فيه * فقال ديوان ابي عبادة * المشهود له بالاجادة * فقال هل عثرت فيما لمحته * على بديع استملحته * فقال نعم قوله *

شعر

* كانما تبسم عن لؤلؤ * منضد او برد او اقاح *

فانه ابدع في التشبيه * المودع فيه * فقال له يا للعجب * ولضيعة الادب * لقد استسمنت يا هذا ذا ورم * ونفخت في غير ضرم * اين انت عن البيت الندر * الجامع مشبهات الثغر * وانشد *

نظم

نفسي الفداء لثغرٍ راق مبسمه * وزانه شنب ناهيك من شنبِ *

يفترّ عن لؤلؤٍ رطبٍ وعن بردٍ * وعن اقاحٍ ومن طلعٍ ومن حببِ *

فاستجاده من حضر واستحلاه * واستعاده منه واستملاه * وسئل لمن هذا البيت * وهل حيّ قائله ام ميت * فقال ايم الله للحق احق ان يتّبع * وللصدق حقيق بان يستمع * انّه يا قوم * لنجيكم مذ اليوم * قال فكأنّ الجماعة ارتابت بعزوته * وابت تصديق دعوته * فتوجّس ما هجس في افكارهم * وفطن لما بطن من استنكارهم * وحاذر ان يفرط اليه ذمّ * او يلحقه وصم * فقرأ انّ بعض الظنّ اثم * ثم قال يا رواة القريض * واساة القول المريض * انّ خلاصة الجوهر تظهر بالسبك * ويد الحقّ تصدع رداء الشكّ * وقد قيل فيما غبر من الزمان * عند الامتحان يكرم الرجل او يهان * وها انا قد عرضت خبيئتي للاختبار * وعرضت حقيبتي على الاعتبار * فابتدر * احد من حضر * وقال اعرف بيتاً لم ينسج على منواله * ولا سمحت قريحة بمثاله * فان آثرت اجتلاب القلوب * فانظم على هذا الاسلوب * وانشد

* شعر *

* فامطرت لؤلؤاً من نرجسٍ فسقت * ورداً وعضّت على العنّاب بالبردِ *

فلم يكن الا كلمح البصر او اقرب * حتى انشد واغرب *

نظم

* ما لتهاجين زارت نضو برقعها * القانئ وايداع سمعي اطيب الخبرِ *

* فزحزحت شفقاً غشّى سنا قمرٍ * وساقطت لؤلؤاً من خاتم عطرِ *

فحار الحاضرون لبداهته * واعترفوا بنزاهته * فلما آنس استئناسهم بكلامه * وانصبابهم الى شعب اكرامه * اطرق كطرفة العين * ثم قال ودونكم بيتين آخرين * وانشد *

نظم

* واقبلت يوم جد البين في حلل * سود تعض بنان النادم الحصر *
* فلاح ليل على صبح اقلهما * غصن وضرست البلور بالدرر *

فحينئذن استسنى القوم قيمته * واستغزروا ديمته واجملوا عشرته * وجملوا قشرته * قال المخبر بهذه الحكاية * فلما رأيت تلهب جذوته * وتالق جلوته * امعنت النظر فى توسمه * وسرحت الطرف فى ميسمه * فاذا هو شيخنا السروجي * وقد اقمر ليله الدجوجي * فهنأت نفسي بموردة * وابتدرت استلام يده * وقلت له ما الذى احال صفتك * حتى جهلت معرفتك * واى شيء شيب لحيتك * حتى انكرت حليتك * فانشأ يقول *

نظم

* وقع الشوائب شيب * والدهر بالناس قلب *
* ان دان يوما لشخص * ففى غد يتغلب *
* فلا تثق بوميض * من برقه فهو خلب *
* واصبر اذا هو اضرى * بك الخطوب والب *
* فما على التبر عار * في النار حين يقلب *

ثم نهض مفارقا موضعه * ومستصحبا القلوب معه *

المقامة الثالثة القيلية

روى الحارث بن همام * قال نظمني واخدانا لي نادٍ * لم يخب فيه منادٍ * ولا كبا قدح زناد * ولا ذكت نار عناد * فبينما نحن نتجاذب اطراف الاناشيد * ونتوارد طرف الاسانيد * اذ وقف بنا شخص عليه سمل * وفي مشيته قزل * فقال يا اخاير الذخاير * وبشاير العشاير * عموا صباحاً * وانعموا اصطباحاً * وانظروا الى من كان ذا ندي وندى * وجدة وجدى * وعقار وقرى * ومقار وقرى * فما زال به قطوب الخطوب * وحروب الكروب * وشرر شر الحسود * وانتياب النوب السود * حتى صفرت الراحة * وقرعت الساحة * وغار المنبع * ونبا المربع * واقوى المجمع * واقض المضجع * واستحالت الحال * واعول العيال * وخلت المرابط * ورحم الغابط * واودى الناطق والصامت * ورثى لنا الحاسد والشامت * وآلنا الدهر الموقع * والفقر المدقع * الى ان احتذينا الوجى * واغتذينا الشجا * واستبطنا الجوى * وطوينا الاحشا * على الطوى * واكتحلنا السهاد * واستوطنا الوهاد * واستوطأنا القتاد * وتناسينا الاقتاد * واستطبنا الحين المجتاح * واستبطأنا اليوم المتاح * فهل من حرّ آس * او سمح مواس * فوالذي استخرجني من قيلة * لقد امسيت اخا عيلة * لا املك بيت ليلة * قال الحارث بن همام فاويت لمفاقره * ولويت الى استنباط فقره * فابرزت له دينارا * وقلت له اختبارا * ان مدحته نظما * فهو لك حتما * فانبرى ينشد في الحال * من غير انتحال

نظم

اكرم به اصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته *

مأثورةٌ سمعتهُ وشهرتُه * قد أُودِعَتْ سِرَّ الغِنى أَسِرَّتُه
وقارنتْ نُجحَ المساعي خَطْرتُهُ * وحُبِّبتْ الى الانام غُرّتُه
كأنّما من القلوبِ نُقْرتُه * به يصُولُ من حَوتْهُ صُرّتُه
وإنْ تَفانَتْ او تَوانَتْ عِتْرتُه * يا حبّذا نضارُهُ ونَضْرتُه
وحبّذا اغْناؤه ونُصْرتُه * كم آمرٍ بهِ استتبّتْ إمْرتُه
ومُتْرَفٍ لولاه دامتْ حَسْرتُه * وجيشِ همٍّ هزَمَتْه كَرّتُه
وبدرِ تِمٍّ أنزلتْهُ بدْرتُه * ومُستشيطٍ تتلظّى جَمْرتُه
أسَرَّ نجواهُ فلانتْ شِرّتُه * وكم أسيرًا سَلَمَتْه أُسْرتُه
أنقذَهُ حتّى صَفَتْ مَسرّتُه * وحقِّ مولًى أبدعتْهُ فِطرتُه

لولا التُّقى لقلتُ جلّتْ قُدرتُه * ثمّ بسَطَ يدَهُ * بعدما انشدَهُ * وقال انجزَ حُرٌّ ما وعَدَ * وسَحَّ خالٌ اذ رَعَدَ * فنبذتُ الدّينارَ اليه * وقلتُ خُذْه غيرَ ماسوفٍ عليه * فوضعَهُ في فِيهِ * وقال بارِكِ اللّهمّ فيه * ثمّ شمّرَ للاثناءِ * بعدَ توفيةِ الثّناءِ * فنشأتْ لي من فُكاهتِه نشوةُ غرامٍ * سهّلتْ عليَّ ائتنافَ اغترامٍ * فجرّدتُ دينارًا آخرَ * وقلتُ هل لكَ في انْ تذُمّهُ * ثمّ تضُمّهُ * فانشدَ مرتجِلًا * وشَدا عجِلًا

نظم

تبًّا له من خادعٍ مُماذِقِ * أصفرَ ذي وجهينِ كالمُنافقِ *
يبدو بوصفَينِ لعينِ الرّامقِ * زينةِ معشوقٍ ولونِ عاشقِ *

وحبّه عند ذوی الحقائقِ * یدعو الی ارتکابِ سُخطِ الخالقِ
لولاه لم تُقطَع یمینُ سارقِ * ولا بدَتْ مظلمةٌ من فاسقِ
ولا اشمأزّ باخلٌ من طارقِ * ولا شکا المَطولُ مَطلَ العائقِ
ولا استُعیذَ من حسودٍ راشقِ * وشرُّ ما فیه من الخلائقِ
ان لیس یُغنی عنک فی المضائقِ * الّا اذا فرّ فرارَ الآبقِ
واهاً لمن یقذفُه من حالقِ * ومن اذا ناجاه نجوی الوامقِ
قال له قولَ المحقّ الصادقِ * لا رأیَ فی وصلکَ لی ففارقِ

فقلتُ له اما اغزرَ وبلک * فقال والشرطُ املک * فنفحتُه بالدینار الثانی * وقلتُ له عوّذهما بالمثانی * فالقاه فی فمِه * وقرنه بتوأمِه * وانکفأ یحمدُ مغداه * ویمدحُ النادیَ ونداه * قال الحارثُ بنُ همّام فناجانی قلبی بانّه ابو زید * وانّ تعارجَه لکید * فاستعدتُه وقلتُ له قد عُرفتَ بوشیِک * فاستقمْ فی مشیِک * فقال ان کنتَ ابنَ همّام * فحُیّیتَ باکرام * وحَیِیتَ بین کرام * فقلتُ انا الحارثُ * فکیفَ حالُک والحوادث * قال اتقلّبُ فی الحالین بؤسٍ ورخاء * وانقلبُ مع الریحین زعزعٍ ورُخاء * فقلتُ فکیفَ ادّعیتَ القزل * وما مثلُک من هزل * فاستسرّ بشرُه الذی کان تجلّی * ثم انشد حین ولّی *

نظم

تعارجتُ لا رغبةً فی العرج * ولکن لاقرعَ بابَ الفرج

وأُلقِي حَبْلي على غارِبي * وأسلُكُ مَسلكَ مَن قد مَرَج

فإنْ لامَني القومُ قلتُ اعذِرُوا * فليسَ على أعرجٍ من حَرَج

المقامة الرابعة الدمياطية

اخبر الحارثُ بن همّام قال أظعنتُ الى دِمياطَ * عامَ هِياطٍ ومِياطٍ * وأنا يومئذٍ مرموقُ الرّخاء * موموقُ الإخاء * أسحبُ مطارفَ الثّراء * أجتلي معارفَ السّرّاء * فرافقتُ صَحبًا قد شقّوا عصا الشّقاق * وارتضعوا أفاويقَ الوفاق * حتّى لاحُوا كأسنانِ المُشطِ في الاستواء * وكالنّفسِ الواحدةِ في التيام الأهواء * وكنّا مع ذلك نسيرُ النّجاءَ * ولا نرحلُ إلّا كلّ هَوجاءَ * وإذا نزلنا منزلًا * أو وردنا منهلًا * اختلسنا اللّبثَ * ولم نُطِلِ المُكثَ * فعنّ لنا إعمالُ الرّكابِ * في ليلةٍ فتيّةِ الشّبابِ * غُدافيّةِ الإهاب * فأسرينا الى أن نضا اللّيلُ شبابَه * وسلتَ الصبحُ خِضابَه * فحين مَلِلنا السُّرى * ومِلنا الى الكرى * صادفنا أرضًا مُخضلّةَ الرُّبا * مُعتلّةَ الصَّبا * فتخيّرناها مُناخًا للعيس * ومحطًّا للتّعريس * فلمّا حلّها الخليطُ * وهدأ بها الأطيطُ والغطيطُ * سمعتُ صيّتًا من الرّجال * يقولُ لسميرهِ في الرّحال * كيف حُكمُ سيرتِكَ * مع جيلِكَ وجيرتِكَ * فقال أرعى الجارَ * ولو جارَ * وأبذُلُ الوِصالَ * لمن صالَ * واحتملُ الخليطَ * ولو أبدى التّخليطَ * وأُوَدُّ الحميمَ * ولو جرّعني الحميمَ * وأُفضّلُ الشّفيقَ * على الشّقيق * وأفي للعشير * وإن لم يُكافِئ بالعشير * وأستقلُّ الجزيلَ * للنّزيل * وأغمرُ الزّميلَ * بالجميل * وأُنزِلُ سميري *

مَنْزِلَة اميري * واُحِلَّ انيسي * مَحَلَّ رئيسي * واُوْدِع معارفي * عوارفي * واُولي مرافقي * مَرافقي * واُلين مقالي * لِلقالي * واُديم تساءلي * عن السالي * وارضي من الوفاء * باللفاء * واقنع من الجزاء * باقلِّ الاجزاء * ولااتظلم * حين اظلم * ولاانقم * ولو لدغني الارقم * فقال له صاحبه ويك يا بُنيَّ انما يضن بالضنين * وينافس في الثمين * لكن انا لا اتي * غير المواتي * ولا اسِمُ العاتي * بمراعاتي * ولا اصافي * من يأبى انصافي ولا اواخي * من يلغي الاواخي * ولا امالي من يخيِّبُ آمالي * ولاابالي * بمن صرم حبالي * ولااداري * من جهل مقداري * ولا اعطي زمامي * من يخفر ذمامي * ولاابذل ودادي * لاضدادي * ولاادع ايعادي * للمعادي * ولااغرس الايادي * في ارض الاعادي * ولا اسمح بمواساتي * لمن يفرح بمساآتي * ولا ارى التفاتي * الى من يشمت بوفاتي * ولااخص بحبائي * الا احبائي * ولا استطب لدائي * غير اودائي * ولا املك خلتي * من لا يسد خلتي * ولا اصفي نيتي * لمن يتمنى منيتي * ولا اخلص دعائي * لمن لا يفعم وعائي * ولا افرغ ثنائي * على من يفرغ انائي * ومن حكم بان ابذل وتخزن * والين وتخشن * واذوب وتجمد * واذكو وتخمد * لا والله بل نتوازن في المقال * وزن المثقال * ونتحاذى في الفعال * حذو النعال * حتى نأمن التغابن * ونكفى التضاغن * والا فلم اعلك وتعلني * واقلك وتستقلني * واجترح لك وتجرحني * واسرح اليك وتسرحني * وكيف يجتلب انصاف بضيم * واني تشرق

شمس مع غيم * ومتى أصحب ودّ بعسف * وأيّ حرّ رضي بخطّة خسف * ولله أبوك إذ يقول

نظم

جَزَيْتُ مَن أعْلَقَ بِي وُدَّهُ * جزاءَ مَن يَبْنِي على أُسِّهِ
وكِلْتُ لِلْخِلِّ كما كالَ لِي * على وفاءِ الكَيْلِ أو بَخْسِهِ
ولم أُخَسِّرْهُ وشَرُّ الوَرى * مَن يَوْمُهُ أخْسَرُ مِنْ أمْسِهِ
وكُلُّ مَن يَطْلُبُ عندي جَنًى * فما لَهُ إلا جَنَى غَرْسِهِ
لا أبْتَغِي الغَبْنَ ولا أنْثَنِي * بِصَفْقَةِ المَغْبونِ في حِسِّهِ
ولَسْتُ بالمُوجِبِ حَقًّا لِمَن * لا يُوجِبُ الحَقَّ على نَفْسِهِ
ورُبَّ مَذاقِ الهوى خالَنِي * أصْدُقُهُ الوُدَّ على لَبْسِهِ
وما دَرى مِن جَهْلِهِ أنَّنِي * أقْضِي غَرِيمِي الدَّيْنَ مِن جِنْسِهِ
فاهْجُرْ مَنِ اسْتَغْباكَ هَجْرَ القِلى * وهَبْهُ كالمَلْحودِ في رَمْسِهِ
والْبَسْ لِمَن في وَصْلِهِ لُبْسَةٌ * لِباسَ مَن يَرْغَبُ عن أُنْسِهِ
ولا تُرَجِّ الوُدَّ مِمَّن يَرى * أنَّكَ مُحتاجٌ إلى فَلْسِهِ

قال الحارث بن همام فلمّا وعيت ما دار بينهما * تُقْتُ إلى أن أعرف عَيْنَهما * فلمّا لاح ابن ذُكاء * وألحف الجوَّ الضياء * غدوتُ قبل استقلال الرِّكاب * ولا اغتداء الغُراب * وجعلتُ أستقري صَوْبَ الصوت اللَّيْليّ * وأتوسَّم الوجوه بالنظر الجليّ * إلى أنْ

... University Library
Accession No 47238

لمحتُ ابا زيدٍ وابنه يتحادثان * وعليهما بردان رثّان * فعلمتُ انّهما نجيّا ليلتي * وصاحبا روايتي * فقصدتهما قصد كلفٍ بدماثتهما * راثٍ لرثاثتهما * وابحتهما التحوّل الى رحلي * والتحكّم في كُثري وقُلّي * وطفقتُ اُسيّر بين السيّارة فضلهما * واهزّ الاعواد المثمرة لهما * حتّى غمرا بالنحلان * واتّخذا من الخُلّان * وكنّا بمعرّسٍ نتبيّن منه بنيان القرى * ونتنوّر نيران القرى * فلمّا رأى ابو زيدٍ امتلاء كيسه * وانجلاء بؤسه * قال لي انّ بدني قد اتّسخ * ودرني قد رسخ * أفتأذن لي في قصد قريةٍ لاستحمّ * واقضي هذا المهمّ * فقلتُ اذا شئتَ فالسرعةَ السرعةَ * والرجعةَ الرجعةَ * فقال ستجد مطلعي عليك اسرع من ارتداد طرفك اليك * ثمّ استنّ استنان الجواد في المضمار * وقال لابنه بدارِ بدارِ * ولم نخل انّه غرّ * وطلب المفرّ * فلبثنا نرقبه رقبة اهلّة الاعياد * ونستطلعه بالطلائع والروّاد * الى ان هرم النهار * وكاد جرف اليوم ينهار * فلمّا طال امد الانتظار * ولاحت الشمس في الاطمار * قلتُ لاصحابي قد تناهينا في المهلة * وتمادينا في الرحلة * الى ان اضعنا الزمان * وبان انّ الرجل مان * فتأهّبوا للظعن * ولا تلووا على خضراء الدمن * ونهضتُ لاحدج راحلتي * واتحمّل لرحلتي * فوجدتُ ابا زيدٍ قد كتب على القتب *

نظم

يا من غدا لي ساعداً * ومساعداً دون البشر

لا تحسبنْ انّي نأيـ * ـتُ عنك من ملالٍ او اشر

لٰكِنَّنِي مُذْ لَمْ أَزَلْ * مِمَّنْ اِذا طَعِمَ انْتَشَر

قال فاقرأت الجماعة القَنَب * لِيعذِرَهُ مَنْ كانَ عَتَب

فأعجبوا بخُرافته * وتعوّذوا مِن آفته * ثمّ انّا ظعنّا * ولم ندرِ مَنِ اعتاضَ عنّا *

المقامة الخامسة الكوفيه

حكى الحارثُ بنُ همّام قال سَمَرْتُ بالكُوفةِ في لَيلةٍ اَدِيمُها ذُو لَونَين * وقَمَرُها كتعويذٍ من لُجَينٍ * مع رُفقةٍ غُذُوا بلِبانِ البيان * وسَحَبُوا على سَحْبانَ ذَيلَ النِّسيان * ما فيهم الّا مَن يُحفَظُ عنه * ولا يُتَحفَّظُ منه * ويَمِيلُ الرّفيقُ اليه ولا يَمِيلُ عنه * فاستَهْوانا السَّمَر * الى ان غربَ القمرُ * وغلبَ السَّهَر * فلمّا رَوّقَ اللّيلُ البَهِيم * ولم يبقَ الّا التّهويم * سمِعنا مِنَ الباب نَبْأةَ مستنبِح * ثمّ تلتها صَكّةُ مُستفتِح * فقلنا مَنِ المُلِمّ * في اللّيلِ المُدلَهِمّ * فقال *

نظم

يا اَهلَ ذا المغنى وُقِيتم شَرّا * ولا لَقِيتم ما بَقِيتم ضُرّا

قد دفعَ اللّيلُ الّذي اكفَهَرّا * الى ذَرِيكم شَعِثًا مُغْبَرّا

اَخا سِفارٍ طالَ واسبَطَرّا * حتّى انثنى مُحقَوقِفًا مُصفَرّا

مِثلَ هِلالِ الأُفقِ حينَ افتَرّا * وقد عَرا فِناءَكُم مُعتَرّا

وامّكُم دُونَ الانامِ طُرّا * يبغي قِرًى منكم ومُستقَرّا

فدُونَكُم ضَيفًا قَنُوعًا حُرّا * يرضى بما احلَولى وما امَرّا

وينثني عنكم ينثّ البرّا * قال الحارث بن همام فلما خُلبنا بعذوبة نُطقه * وعلمنا
ما وراء برقه * ابتدرنا فتح الباب * وتلقيناه بالترحاب * وقلنا للغلام هيّا هيّا * وهلمّ
ما تهيّأ * فقال الضيف والذي احلّني ذراكم * لا تلمّظت بقراكم * او تضمنوا لي ان
لا تتخذوني كلًّا * ولا تتجشّموا لاجلي أكلا * فربّ أكلة هاضت الآكل * وحرمته مآكل *
وشرّ الاضياف من سام التكليف * وآذى المضيف * وخصوصا أذىً يعتلق بالاجسام *
ويفضي الى الاسقام * وما قيل في المثل الذي سار سائره * خير العشاء سوافره *
الّا ليعجّل التعشّي * ويجتنب اكل الليل الذي يعشي * اللهمّ الّا ان تقد نار الجوع *
وتحول دون الهجوع * قال فكأنه اطّلع على ارادتنا * فرمى عن قوس عقيدتنا * لا جرم
انّا آنسناه بالتزام الشرط * واثنينا على خلقه السبط * فلمّا احضر الغلام ما راج * واذكى
بيننا السراج * تأمّلته فاذا هو ابو زيد فقلت لصحبي ليهنكم الضيف الوارد * بل المغنم
البارد * فان يكن افل قمر الشعرى فقد طلع قمر الشعر * او استسرّ بدر النثرة فقد تبلّج
بدر النثر * فسرت حميّا المسرّة فيهم * وطارت السنة عن مآقيهم * ورفضوا الدعة التي
كانوا نووها * وثابوا الى نشر الفكاهة بعد ما طووها * وابو زيد مكبّ على اعمال يديه *
حتى اذا استرفع ما لديه * قلت له اطرفنا بغريبة من غرائب اسمارك * او عجيبة
من عجائب اسفارك * فقال لقد بلوت من العجائب ما لم يره الراؤون * ولا رواه
الراوون * وانّ من اعجبها ما عاينته الليلة قبيل انتيابكم * ومصيري الى بابكم *

فاستخبرناه عن طُرفة مَرآه * في مَسرحِ مَسْراهُ * فقالَ اِنَّ مَرامي الغُربة * لفظتني الى هذه التُربة * وانا ذو مَجاعة وبُوسى * وجِراب كفؤادِ أمّ مُوسى * فنهضتُ حين سَجا الدُجى * على ما بي من الوَجى * لِأرتادَ مُضيفاً * او اقتاد رغيفاً * فساقني حادي السَغب * والقضاءُ المُكنّى ابا العَجب * الى ان وقفتُ على بابِ دارٍ * فقلتُ على بِدار *

نظم

حُيّيتم يا اهلَ هذا المنزلِ * وعِشْتُم في خَفْضِ عَيْشٍ خَضِلِ
ما عِنْدَكُمْ لِابنِ سبيلٍ مُرمِلٍ * نِضوِ سُرىً خابِطِ ليلٍ اَليَلِ
جَوِي الحشى على الطَّوى مُشتمِلٍ * ما ذاقَ مُذ يومانِ طعمَ مأكلِ
ولا لهُ في ارضكم من مَوئِلِ * وقد دجى جِنحُ الظَّلامِ المُسبَلِ
وهو منَ الحيوة في تَمَلمُلِ * فهلْ بهذا الرَّبعِ عذبُ المَنهَلِ
يقولُ لي اَلقِ عصاكَ وادخُلِ * اَبشِرْ ببِشرٍ وقِرىً مُعجَّلِ

قال فبرز الى جوذَرٌ * عليه شَوذَرٌ * وقال *

نظم

وحُرمَةِ الشيخِ الّذي سَنَّ القِرى * وأسَّسَ المحجوجَ في أُمّ القُرى
ما عِندَنا لطارِقٍ اِذا عَرى * سِوى الحديثِ والمُناخِ في الذَّرى
وكيفَ يَقرِي مَن نَفى عنهُ الكَرى * طَوىً برى اَعظُمَهُ لمّا انبرى
فما ترى فيما ذكرتُ ما ترى * فقلتُ ما اَصنعُ بمنزلٍ اقفرِ *

ومنزلِ خلفِ فقرٍ * ولكن يا فتى ما اسمك * فقد فتنني فهمك * فقال اسمي زيد *
ومنشأي فيد * ووردت الى هذه المدرة امس * مع اخوالي من بني عبس * فقلت له
زدني ايضاحا عشت ونعشت * فقال اخبرتني امي برة * وهي كاسمها برة * انها نكحت عام
الغارة بماوان * رجلا من سراة سروج وغسان * فلما آنس منها الاثقال * وكان
باقعة على ما يقال * ظعن عنها سرا * وهلم جرا * فما يعرف أحي هو فيتوقع * أم
أودع اللحد البلقع * قال ابو زيد فعلمت بصحة العلامات انه ولدي * وصدفني
عن التعرف اليه صفر يدي * ففصلت عنه بكبد مرضوضة * ودموع مفضوضة *
فهل سمعتم يا اولي الالباب * باعجب من هذا العجاب * قلنا لا ومن عنده علم
الكتاب * فقال اثبتوها في عجائب الاتفاق * وخلدوها بطون الاوراق * فما سير
مثلها في الآفاق * فاحضرنا الدواة واساودها * ورقشنا الحكاية على ما سردها *
ثم استنبطناه من مرتآه * في استضمام فتاه * فقال اذا ثقل ردني * خف علي ان
اكفل ابني * فقلنا ان كان يكفيك نصاب من المال * ألفناه لك في الحال *
فقال وكيف لا يقنعني نصاب * وهل يحتقر قدره الا مصاب * قال الراوي فالتزم
منه كل منا قسطا * وكتب له به قطا * فشكر عند ذلك الصنع * واستنفد في الثناء الوسع *
حتى اننا استطلنا القول * واستقللنا الطول * ثم انه نشر من وشي السمر * ما ازرى
بالحبر * الى ان اظل التنوير * وجشر الصبح المنير * فقضيناها ليلة غابت شوائبها * الى

ان شابت ذوائبها * وكمل سعودها * الى ان انفطر عودها * ولما ذرقرن الغزالة * طمر طمور الغزالة * وقال انهض بنا لنقبض الصلات * وننتفض الاحالات * فقد استطارت صدوع كبدي * من الحنين الى ولدي * فوصلت جناحه * حتى سنيت نجاحه * فحين احرز العين في صرته * برقت اسارير مسرته * وقال لى جزيت خيرا عن خطا قدميك * والله خليفتي عليك * فقلت اريد ان اتبعك لاشاهد ولدك النجيب * وانا فئه لكيما يجيب * فنظر الى نظرة الخادع الى المخدوع * وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع * ثم انشد *

نظم

يا من تظنى السراب ماء * لما رويت الذى رويت

ما خلت ان يستسر مكرى * وان يخيل الذى عنيت

والله ما برة بعرسى * ولا لى ابن به اكتنيت

وانما لى فنون سحر * ابدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الاصمعي فيما * حكى ولا حاكها الكميت

تخذتها وصلة الى ما * تجنيه كفى متى اشتهيت

ولو تعافيتها لحالت * حالى ولم احوما حويت

فمهد العذر او فسامح * ان كنت اجرمت او جنيت

ثم انه ودعنى ومضى * واودع قلبي جمرا لغضا

المقامة السادسة المراغية وتعرف بالخيفاء

روى الحارث بن همّام قال حضرتُ ديوانَ النَّظرِ بالمراغة * وقد جرى به ذِكرُ البَلاغة * فاجمعَ مَنْ حضرَ مِن فُرسانِ اليَراعة * وأرباب البَراعة * على أنّه لم يَبقَ مَن يُنقّح الإنشاءَ * ويتصرَّف فيه كيف شاءَ * ولا خَلَفَ * بعدَ السَّلَفِ * مَن يبتدعُ طريقةً غرَّاءَ * أو يفترع رسالةً عذراءَ * وأنّ المُفلِقَ من كُتّابِ هذا الأوان * المتمكّنَ من أزِمّة البيان * كالعِيالِ على الأوائلِ * ولو مَلَكَ فصاحةَ سَحبانِ وائلِ * وكان بالمجلس * كَهلٌ جالسٌ * في الحاشية * وعند مَواقِفِ الحاشية * فكان كلّما شطّ القومُ في شَوطهم * ونَثَروا العَجوةَ والنَجوةَ مِن نَوطهم * يُنبئ تخازُرُ طرفِهِ * وتشامُخُ أنفِهِ * أنّه مُخْرَنبِقٌ لِيَنباعَ * ومُجرَمِّزٌ سَيَمُدُّ الباعَ * ونابِضٌ يَبري النِّبالَ * ورابِضٌ يَبغي النِّضالَ * فلمّا نُثِلَتِ الكَنائنُ * وفاءَتِ السَّكائنُ * ورَكَدتِ الزعازعُ * وكُفَّ المُنازِعُ * أقبلَ على الجماعة وقال لقد جئتم شيئاً إدّاً * وجُرتم عنِ القَصدِ جِدّاً * وعظّمتمُ العِظامَ الرُّفاتَ * وافتتّم في المَيل الى مَن فاتَ * وغمَصتُم جِيلَكُمُ الّذين فيهم لكمُ اللِّداتُ * ومعهم انعقدتِ المَوَدّاتُ * أنسيتم يا جهابذةَ النَّقدِ * ومَوابذةَ الحَلّ والعَقدِ * ما أبرزَتهُ طَوارِفُ القَرائحِ * وبرَّزَ فيه الجَذَعُ على القارحِ * مِنَ العِباراتِ المُهذَّبة * والاستعاراتِ المستعذَبة * والرَّسائلِ المُوشّحة * والأساجيعِ المُستملَحة * وهل للقُدَماءِ إذا أُنعِمَ النَّظرُ * مَن حضرَ * غيرُ المعاني المطروقة الموارِد * المعقولةِ الشّوارد * المأثورةِ عنهم لتقادُمِ المَولدِ لا لتقدُّمِ الصّادرِ على الوارِدِ * وإنّي لأعرفُ

الآن من اذا انشا * وشى * واذا عبر * حبر * واذا اسهب * اذهب * واذا اوجز *
اعجز * وان بده * شده * ومتى اخترع * خرع * فقال له ناظورة الديوان * وعين
اولئك الاعيان * من قارع هذي الصفاة * وقريع هذه الصفات * قال انه قرن مجالك *
وقرين جدالك * واذا شئت فرض نجيبا * وادع مجيبا * لترى عجيبا * فقال له يا هذا
ان البغاث بارضنا لا تستنسر * والتمييز عندنا بين الفضة والقضة متيسر * وقل من
استهدف للنضال * فخلص من الداء العضال * او استثار نقع الامتحان * فلم يقذ
بالامتهان * فلا تعرض عرضك للمفاضح * ولا تعرض عن نصاحة الناصح * فقال
كل امرئ اعرف بوسم قدحه * وسينفري الليل عن صبحه * فتناجت الجماعة فيما
يسبر به قليبه * ويعمد فيه تقليبه * فقال احدهم ذروه في حصتي * لارميه بحجر قصتي *
فانها عضلة العقد * ومحك المنتقد * فقلدوه في هذا الامر الزعامة * تقليد الخوارج
ابا نعامة * فاقبل على الكهل وقال اعلم انني اوالي * هذا الوالي * وارقح حالي * بالبيان
الحالي * وكنت استعين على تقويم اودي * في بلدي * بسعة ذات يدي * مع قلة
عددي * فلما ثقل حاذي * ونفد رذاذي * اممته من ارجائي * برجائي * ودعوته
لاعادة روائي * وارووائي * فهش للوفادة وارتاح * وغدا بالافادة وراح * فلما
استأذنته في المراح الى المراح * على كاهل المراح * قال قد ازمعت ان لا ازودك بتاتا *
ولا اجمع لك شتاتا * او تنشئ امام ارتحالك * رسالة تودعها شرح حالك * حروف

أحدى كلمتيها يعمّها النّقط * وحروف الاخرى لم يُعجمن قطّ * وقد استأنيت بياني
حَولًا * فما أحار قولًا * ونبّهت فكري سنة * فما ازداد الّا سِنة * واستعنت بقاطبة
الكُتّاب * فكلّ منهم قطّب وتاب * فان كنت صدعت عن وصفك باليقين * فأتِ بآية
ان كنت من الصّادقين * فقال له لقد استسعيت يعبوبًا * واستسقيت أسكوبًا * واعطيت
القوس باريها * وانزلت الدار بانيها * ثم فكّر ريثما استجمّ قريحته * واستدرّ لقحته *
وقال له الق دواتک * وخذ اداتک * واكتب * الكرم ثبّت الله جيش سعودك يزين *
واللؤم غضّ الدهر جفن حسودک يشين * والاروع يثيب * والمعور يخيب * والحلاحل
يُضيف * والماحل يُخيف * والسمح يُغذي * والمحک يُقذي * والعطاء يُنجي * والمطال
يُشجي * والدعاء يقي * والمدح ينقي * والحرّ يجزي * والالطاط يخزي * واطّراح ذي الحرمة
غيّ * ومحرمة بني الآمال بغي * وما ضنّ الّا غبين * ولا غبن الّا ضنين * ولا خزن الّا شقيّ *
ولا قبض راحة تقيّ * وما فتئ وعدك يفي * وآراؤك تشفي * وحلمک يغضي * وهلالک
يضيء * وآلاؤک تغني * واعداؤک تثني * وحسامک يغني * وسؤددک يبني *
ومواصلک يجتني * ومادحک يقتني * وسماحک يغيث * وسماءک تغيث * ودرّک
يفيض * وردّک يغيض * ومؤمّلک سبخ حكاه فيء * ولم يبق له شيء * أمّک بظنّ
حرصه يشبّ * ومدحک بنخب مهورها تجب * ومرامه يخفّ * واواصره تشفّ *
واطراؤه يجتذب * وملامه يجتنب * ووراءه ضفف * مسّهم شظف * وحصّهم جنف *

وعمّهم قشف * وهو في دمع يجيب * وولّه يذيب * وهمّ تضيف * وكمد نيّف * لاموال خيّب * واهمال شيّب * وعدو نيّب * وهدو تغيب * ولم يزغ وده فيغضب * ولا خبث عوده فيقضب * ولا نفث صدره فينغض * ولا نشز وصله فيبغض * وما يقتضي كرمك نبذ حرمه * فيبيض امله بتخفيف المه * يغث حمدك بين عالمه * بقيت لاماطة شجب * واعطاء نشب * ومداواة شجن * ومراعاة يفن * موصولا بخفض * وسرور غض * ما غشي معهد غني * او خشي وهم غبي * والسلام * فلما فرغ من املاء رسالته * وجلى في هيجاء البلاغة عن بسالته * ارضته الجماعة فعلا وقولا * واوسعته حفاوة وطولا * ثم سئل من اي الشعوب نجاره * وفي اي الشعاب وجاره * فقال

نظم

غسان اسرتي الصميمة * وسروج تربتي القديمة
والبيت مثل الشمس اشراقا * ومنزلة جسيمة
والربع كالفردوس * مطيبة ومنزهة وقيمة
واها لعيش كان لي * فيها ولذات عميمة
ايام اسحب مطرفي * في روضها ماضي العزيمة
اختال في برد الشبا * ب واجتلي النعم الوسيمة
لا اتقي نوب الزما * ن ولا حوادثه المليمة
فلو ان كربا متلف * لتلفت من كربي المقيمة

او يفتدى عيش مضى * لغدته مهجتى الكريمه

فالموت خير للفتى * من عيشه عيش البهيمه

تقتاده برة الصغا * ر الى العظيمة والهضيمه

ويرى السباع تنوشها * ايدى الضباع المستضيمه

والذنب للايام لولا شومها لم تنب شيمه

ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نمى الى الوالى * فملأ فاه باللآلى * وسامه ان ينضوى الى احشائه * ويلى ديوان انشائه * فاحسبه الحباء * وظلفه عن الولاية الاباء * قال الراوى وكنت عرفت عود شجرته * قبل ايناع ثمرته * وكدت انبه على علو قدره * قبل استنارة بدره * فاوحى الى بايماض جفنه * ان لا اجرد عضبه من جفنه * فلما خرج بطين الخرج * وفصل فائزا بالفلج * شيعته قاضيا حق الرعاية * ولاحيا له على رفض الولاية * فاعرض متبسما * وانشد مترنما *

نظم

لجوب البلاد مع المتربه * احب الى من المرتبة

لان الولاة لهم نبوة * ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع * ولا من يشيد ما رتبه

فلا يخدعنك لموع السرا * ب ولا تأت امرا اذا ما اشتبه

وكم حالم سرّه حلمه * وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد * وقد شمت برق عيد * فكرهت الرحلة من تلك المدينة * أو أشهد بها يوم الزينة * فلما أظل بفرضه ونفله * وأجلب بخيله ورجله * اتبعت السنة في لبس الجديد * وبرزت مع من برز للتعييد * وحين التأم جمع المصلى وانتظم * وأخذ الزحام بالكظم * طلع شيخ في شملتين * محجوب المقلتين * وقد اعتضد شبه المخلاة * واستقاد لعجوز كالسعلاة * فوقف وقفة متهافت * وحيى تحية خافت * ولما فرغ من دعائه * أجال خمسه في وعائه * فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ * في أوان الفراغ * فناولهن عجوزه الحيزبون * وأمرها أن تتوسم الزبون * فمن آنست ندى يديه * ألقت ورقة منهن لديه * قال فأتاح لي القدر المعتوب * رقعة فيها مكتوب *

نظم

لقد أصبحت موقوذا * بأوجاع وأوجال
وممنوّا بمختال * ومحتال ومغتال
وخوّان من الاخوا * ن قال لي لا قالي
وإعمال من العمّا * ل في تضليع أعمالي
فكم أصلى بأنذال * وأصحال وترحالي

وَكَم اَخطِرُ في بالٍ * ولا اَخطُرُ في بالِ
فَلَيتَ الدهرَ لمّا جا * رَ راطفى لِىَ اَطفالِى
فَلَوْلا اَنَّ اَشبالِىَ اَغلالِىْ واَغلالى
لما جَهَّزتُ آمالِى * اِلى آلٍ ولا وَالِ
ولا جَرَّرتُ اَذيالِى * على مَسْحَبِ اِذلالِ
فمحرابى اَحرى بى * واَسمالِىَ اَسمى لى
فهل حُرٌّ يرى تخفيـ * ـفَ اثقالِىْ بمثقالِ
ويُطْفِى حَرَّ بَلْبالِىْ * بِسِرْبالٍ وسِرْوالِ

قال الحارث بن همام فلمّا استعرضتُ حُلّة الابيات تُقتُ الى معرفة مُلحِمِها * وراقم عَلَمِها * فناجاني الفكرُ بانَّ الوُصلة اليه العجوزُ * وافتاني بانّ حُلوانَ المعرِّفِ يجوزُ * فرصدتُها وهى تستقرىء الصفوف صَفًّا صفًّا * وتَستوكِفُ الاكُفَّ كفًّا كفًّا * وما اِن يُنْجِحُ لها عَناءٌ * ولا يَرشَحُ على يدها اِناءٌ * فلمّا اَكدى استعطافُها * وكَدَّها مطافُها * عادَتْ بالاسترجاع * ومالت الى ارتجاعِ الرِّقاع * وانساها الشيطانُ ذِكرَ رُقعتى * فلم تعُجْ الى بُقعتى * وآبَتْ الى الشيخ باكيةً للحِرمان * شاكيةً تحامُلَ الزمان * فقال اِنّا لله * واُفوِّضُ امرى الى الله * ولا حولَ ولا قوّةَ الّا بالله * وانشد

نظم

لم يَبقَ صافٍ ولا مُصافٍ * ولا مَعينٌ ولا مُعينُ

وفي المساوي بدا التساوي * فلا أمين ولا ثمين

ثم قال لها امنّي النفس وعديها * واجمعي الرقاع وعدّيها * فقالت لقد عددتها لما استعدتها * فوجدت يد الضياع * قد غالت احدى الرقاع * فقال تعساً لك يالكاع * أأحرمين ويحك القنص والحبالة * والقبس والذبالة * إنها لضغث على إبالة * فانصاعت تقتص مدرجها * وتنشد مدرجها * فلما انثنى قرنت بالرقعة * درهماً وقطعة * وقلت لها إن رغبت في المشوف المعلم * واشرت الى الدرهم * فبوحي بالسر المبهم * وإن أبيت أن تشرحي * فخذي القطعة واسرحي * فمالت الى استخلاص البدر التم * والابلج الهم * وقالت دع جدالك * وسل عما بدا لك * فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته * والشعر وناسج بردته * فقالت ان الشيخ من اهل سروج * وهو الذي وشى الشعر المنسوج * ثم خطفت الدرهم خطفة الباشق * ومرقت مروق السهم الراشق * فخالج قلبي ان ابا زيد هو المشار اليه * وتأجج كربي لمصابه بناظريه * وآثرت ان افاجيه وأناجيه * لأعجم عود فراستي فيه * وما كنت لاصل اليه الا بتخطي رقاب الجمع * المنهي عنه في الشرع * وعفت ان يتأذى بي قوم * او يسري الي لوم * فسدكت بمكاني * وجعلت شخصه قيد عياني * الى ان انقضت الخطبة * وحقت الوثبة * فخففت اليه * وتوسمته على التعام جفنيه * فاذا المعيتي المعية ابن عباس * وفراستي فراسة اياس * فعرفته حينئذ شخصي * وآثرته باحد قمصي * واهبت الى قرصي * فهش لعارفتي وعرفاني * ولبى دعوة رغفاني * فانطلق

ويدي زمامه * وظلّي امامه * والعجوز ثالثة الاثافي * والرقيب الّذي لا يخفى عليه خافٍ *
ولمّا استحلس وكنني * واحضرته عجالة مكنني * قال يا حارث أمعنا ثالث * فقلت ليس
الّا العجوز * فقال ما دونها سرٌّ محجوز * ثمّ فتح كريمتيه * ورأرأ بتوأمتيه * فاذا سراجا
وجهه يقدان * كانّهما الفرقدان * فابتهجت بسلامة بصره * وعجبت من غرائب
سيره * ولم يلقني قرار * ولا طاوعني اصطبار * حتى سألته ما دعاك الى التعامي *
مع سيرك في المعامي * وجوبك الموامي * وايغالك في المرامي * فتظاهر باللكنة *
وتشاغل باللهنة * حتى اذا قضى وطره * أتأر اليّ نظره * وانشد

نظم

ولمّا تعامى الدهر وهو ابو الورى * عن الرشد في انحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل انّي اخو عمى * ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف * وينقّي الكف * وينعّم
البشرة * ويعطّر النكهة * ويشدّ اللثة * ويقوّي المعدة * وليكن نظيف الظرف * اريج
العرف * فتيّ الدق * ناعم السحق * يحسبه اللامس ذرورا * ويخاله الناشق كافورا *
واقرن به خلالة نقيّة الاصل * محبوبة الوصل * انيقة الشكل * مدعاة الى الاكل * لها
نحافة الصبّ * وصقال العضب * وآلة الحرب * ولدونة الغصن الرطب * قال
فنهضت كما امر * لادرأ عنه الغمر * ولم اهم انّه قصد ان يخدع * بادخالي المخدع *
ولا تظنّيت انّه سخر من الرسول * في استدعاء الخلالة والغسول * فلمّا عدت بالملتمس *

في اقرب من رجع النفس * وجدت الجو قد خلا * والشيخ والشيخة قد اجفلا * فاستشطت مِن مكره غضبا * واوغلت في اثره طلبا * فكان كمن قمس في الماء * او عرج به الى عنان السماء *

المقامة الثامنة المعرية

اخبر الحارث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان * ان تقدم خصمان * الى قاضي معرة النعمان * احدهما قد ذهب منه الاطيبان * والآخر كانه قضيب البان * فقال الشيخ ايد الله القاضي * كما ايد به المتقاضي * انه كانت لي مملوكة رشيقة القد * اسيلة الخد * صبور على الكد * تخب احيانا كالنهد * وترقد اطوارا في المهد * وتجد في تموز مس البرد * ذات عقل وعنان * وحد وسنان * وكف ببنان * وفم بلا اسنان * تلدغ بلسان نضناض * وترفل في ذيل فضفاض * وتجلى في سواد وبياض * وتسقى ولكن من غير حياض * ناصحة خدعة * خبأة طلعة * مطبوعة على المنفعة * ومطواعة في الضيق والسعة * اذا قطعت وصلت * ومتى فصلتها عنك انفصلت * وطالما اخدمتك فجملت * وربما جنت عليك فالمت وململت * وان هذا الفتى استخدمنيها لغرض * فاخدمته اياها بلا عوض * على ان يجتني نفعها * ولا يكلفها الا وسعها * فاولج فيها متاعه * واطال بها استمتاعه * ثم اعادها وقد افضاها * وبذل عنها قيمة لا ارضاها * فقال الحدث اما الشيخ فاصدق من القطا * واما الافضاء ففرط عن خطا * وقد رهنته * عن ارش ما اوهنته * مملوكا لي متناسب الطرفين * منتسبا الى القين * نقيا من الدرن والشين * يقارن محله

سوادَ العين * يُفشي الاحسانَ * ويُنشِئُ الاستحسانَ * ويُغذي الانسانَ * ويتحامى اللّسانَ * ان سُوِّدَ جادَ * وإن وُسِم اجادَ * واذا زُوِّدَ وهب الزّادَ * ومتى استُزيد زادَ * لا يستقِرُّ بمغنًى * وقلّما ينكِحُ الّا مثنًى * يسخو بموجوده * ويسمو عند جودِه * وينقادُ مع قرينته * وانِ لم تكُن من طِينتِهِ * ويُستمتَع بزينتِهِ * وان لم يُطمَع في لِينتِهِ * فقالَ لهما القاضي اِمّا انْ تُبِينا * والّا فَبِينا * فابتدرَ الغلامُ وقالَ *

نظم

اعارني اِبرةً لِارفو طِمْـ * ـراً عفاها البِلى وسوّدها
فانخرمت في يدي على خطأٍ * مِنّي لمّا جذبتُ مِقوَدها
فلم يرَ الشيخُ ان يُسامحني * بارشِها اذ رأى تأوّدها
بل قالَ هاتِ اِبرةً تماثلها * اوقيمةً بعد انْ تجوّدها
واعتاقَ مِيلي رَهناً لديه ونا * هيكَ بها سُبّةً تزوّدها
فالعينُ مرهى لرهنه ويدي * تقصُرعن انْ تفكّ مِرودها
فاسبُر بذا الشّرحِ غَوْرَ مسكنتي * وارثِ لمَنْ لم يكُنْ تعوّدها

فاقبلَ القاضي على الشّيخ وقال ايهٍ * بغير تمويه * فقال *

نظم

اُقسِم بالمشعر الحرام ومَن * ضمّ من الناسكين خَيفُ مِنى
لو ساعفتني الايّامُ لم ترَني * مرتهِناً مِيلَهُ الّذي رَهنا
ولا تصدّيتُ ابتغي بدَلاً * من اِبرةٍ غالها ولا ثمنا

لكنّ قوسَ الخطوبِ ترشقني * بمُصْمِياتٍ من هاهُنا وهُنا
وخُبرُ حالي كخُبْرِ حالتِهِ * ضُرًّا وبُؤْسًا وغُرْبةً وضَنى
قد عدَلَ الدهرُ بيننــا فأنا * نظيرُهُ في الشقاءِ وهو أنا
لا هو يستطيعُ فكَّ مِرْوَدِه * لمّا غدا في يدَيَّ مُرتهَنـا
ولا مجالي لضيقِ ذاتِ يدي * فيهِ اتّساعٌ للعفوِ حين جنى
فهـذهِ قصّتي وقصّتُــهُ * فانظُـرْ إلينا وبيننا ولنا

فلمّا وعى القاضي قصصَهما * وتبيّنَ خصاصتَهما وتخصّصَهما * أبرزَ لهما دينارًا من تحتِ مُصلّاهُ * وقالَ اقطعا بهِ الخِصامَ وافصِلاهُ * فتلقّفهُ الشيخُ دونَ الحدَثِ * واستخلصهُ على وجهِ الجِدّ لا العبثِ * وقالَ للحدَثِ نِصْفُهُ لي بسَهْمِ مبرّتي * وسهمُكَ لي عن أرْشِ إبرتي * ولستُ عن الحقِّ أميلُ * فقُـم وخُذِ الميلَ * فعرى الحدَثَ * لِما حدَثَ * اكتئابٌ وجمَ لهُ قلبُ القاضي * وهيّجَ أسفَهُ على الدينارِ الماضي * إلّا أنّهُ جبرَ بالَ الفتى وبَلْبالَهُ * بدُرَيْهماتٍ رضخَ بها لهُ * وقالَ لهما اجتنِبا المعاملاتِ * وادْرَءا المخاصماتِ * ولا تحضُرانِي في المحاكماتِ * فما عندي كيسُ الغراماتِ * فنهضا من عندِهِ * فرحَين برِفْدِهِ * مُفصِحَينِ بحمدِهِ * والقاضي ما يخبو ضجَرُهُ * مُذْ بضَّ حجَرُهُ * ولا ينصلُ كمَدُهُ * مذ رشحَ جلمدُهُ * حتى إذا أفاقَ من غَشْيتِهِ * أقبلَ على غاشيتِهِ * وقالَ قد أُشْرِبَ حِسّي * ونبّأني حدْسي * أنّهما صاحبا دَهاءٍ * لا خصما ادّعاءٍ * فكيفَ السبيلُ إلى سَبْرِهما *

واستنباط سرهما * فقال له نحريرُ زمرته * وشرارةُ جمرته * انّه لن يتمّ استخراج خبأهما * الّا بهما * فقفّاهما عوناً يرجعهما اليه * فلمّا مثلا بين يديه * قال لهما اصدقانی سِنّ بكرِكما * ولكما الأمانُ من تبعةِ مكركما * فأحجم الحدثُ واستقال * واقدم الشيخ وقال *

نظم

انا السّروجيّ وهٰذا ولدی * والشبلُ فی المخبر مثلُ الاسدِ

وما تعدّت يده ولا يدی * في ابرةٍ يوماً ولا في مِروَدِ

وانّما الدهرُ المسیءُ المعتدی * مال بنا حتى غدونا نجتدی

كلّ ندی الرّاحةِ عذبِ المورِدِ * وكلّ جعد الكفّ مغلولِ اليدِ

بكلّ فنّ وبكلّ مقصدِ * بالجدّ ان اجدی والّا باللّدِ

لنجلبَ الرّشحَ الى الحظّ الصّدی * ونُنفِدَ العمرَ بعيشٍ انكدِ

والموتُ من بعدُ لنا بالمرصدِ * ان لم يفاجِ اليومَ فاجیٔ في غدِ

فقال له القاضی للّه درّک فما اعذب نفثاتِ فيک * وواهاً لک لولا خداعٌ فيک * وانّی لک لمن المنذرين * وعليک من الحذرين * فلا تماكر بعدها الحاكمين * واتّقِ سطوة المتحكّمين * فما كلّ مسيطرٍ يقيلُ * ولا كلّ اوانٍ يُسمع القيلُ * فعاهده الشيخ على اتّباعِ مشورته * والارتداع عن تلبيس صورته * وفصل عن جهته * والختر يلمع من جبهته *

قال الحارث بن همام فلم ارَ اعجب منها في تصاريف الاسفار * ولا قرأتُ مثلها

في تصانيف الاسفار *

المقامة التاسعة الاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب * وهوى الاكتساب * الى ان جبت ما بين فرغانة * وغانة * اخوض الغمار * لاجني الثمار * واقتحم الاخطار * لكي ادرك الاوطار * وكنت لقفت من افواه العلماء * وثقفت من وصايا الحكماء * انه يلزم الاديب الاريب * اذا دخل البلد الغريب * ان يستميل قاضيه * ويستخلص مراضيه * ليشتد ظهره عند الخصام * ويأمن في الغربة جور الحكام * فاتخذت هذا الادب اماما * وجعلته لمصالحي زماما * فما دخلت مدينة * ولا ولجت عرينة * الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح * وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح * فبينما انا عند حاكم الاسكندرية * في عشية عرية * وقد احضر مال الصدقات * ليفضه على ذوي الفاقات * اذ دخل شيخ عفرية * تعتله امرأة مصبية * فقالت ايد الله القاضي * وادام به التراضي * اني امرأة من اكرم جرثومة * واطهر ارومة * واشرف خؤولة وعمومة * ميسمي الصون * وشيمتي الهون * وخلقي نعم العون * وبيني وبين جاراتي بون * وكان ابي اذا خطبني بناة المجد * وارباب الجد * سكتهم وبكتهم * وعاف وصلتهم وصلتهم * واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة * ان لا يصاهر غير ذي حرفة * فقيض القدر لنصبي ووصبي * ان حضر هذا الخدعة نادي ابي * فاقسم بين رهطه * انه وفق شرطه * وادعى انه طالما نظم

درّةً الى درّة * فباعهما ببدرة * فاغترّا بي بزخرفة محاله * وزوّجنيه قبل اختبار حاله * فلمّا استخرجني من كناسي * ورحّلني عن اناسي * ونقلني الى كسره * وحصّلني تحت اسره * وجدته قعدةً جثمةً * وألفيته ضجعةً نومةً * وكنت صحبته برياش وزيّ * واثاث وريّ * فما برح يبيعه في سوق الهضم * ويتلف ثمنه في الخضم والقضم * الى ان مزّق مالي باسره * وانفق مالي في عسره * فلمّا انساني طعم الراحة * وغادر بيتي انقى من الراحة * قلت له يا هذا انّه لا مخبأ بعد بؤس * ولا عطر بعد عروس * فانهض للاكتساب بصناعتك * واجتنني ثمرة براعتك * فزعم انّ صناعته قد رميت بالكساد * لما ظهر في الارض من الفساد * ولي منه سلالة * كأنّه خلالة * وكلانا ماينال معه شبعة * ولا ترقأ له من الطوى دمعة * وقد قدته اليك * واحضرته لديك * لتعجم عود دعواه * وتحكم بيننا بما اراك الله * فاقبل القاضي عليه وقال له قد وعيت قصص عرسك * فبرهن عن نفسك * والّا كشفت عن لبسك * وامرت بحبسك * فاطرق اطراق الافعوان * ثم شمّر للحرب العوان * وقال *

نظم

اسمع حديثي فانّه عجب * يضحك من شرحه وينتحب

انا امرؤ ليس في خصائصه * عيب ولا في فخاره ريب

سروج داري التي ولدت بها * والاصل غسّان حين انتسب

وشغلي الدرس والتبحّر في الـعلم طلابي وحبّذا الطلب

ورأسُ مالي سحرُ الكلام الذي * منه يُصاغ القريضُ والخُطَبُ

أغوصُ في لُجّة البيان فأختارُ * اللآلي منها وأنتخبُ

وأجتني اليانعَ الجنيَّ من الـقول * وغيري للعود مُحتطِبُ

وآخذ اللفظ فضّةً فإذا * ما صُغتُه قيل إنّه ذهبُ

وكنتُ من قبلُ أمتري نشبًا * بالأدب المقتنى وأحتلبُ

ويمتطي أخمصي لحرمته * مراتبًا ليس فوقها رُتبُ

وطالما زُفّت الصِلاتُ إلى * ربعي فلم أرضَ كلَّ من يهبُ

فاليومَ من يَعلقُ الرجاءُ به * أكسدُ شيءٍ في سوقه الأدبُ

لا عِرضُ أبنائه يُصانُ ولا * يُرقبُ فيهم إلٌّ ولا سببُ

كأنّهم في عِراصهم جِيَفٌ * يُبعَدُ من نتنها ويُجتنبُ

فحار لُبّي لما مُنيتُ به * من الليالي وصرفُها عجبُ

وضاق ذرعي لضيق ذات يدي * وساورتني الهمومُ والكُرَبُ

وقادني دهري المُليمُ إلى * سلوك ما يستشينُه الحسبُ

فبعتُ حتى لم يبقَ لي لبدٌ * ولا بتاتٌ إليه أنقلبُ

وادّنتُ حتى أثقلتُ سالفتي * بحمل دَينٍ من دونه العطبُ

ثمّ طويتُ الحشا على سغبٍ * خمسًا فلمّا أمضّني السغبُ

لم أرَ إلّا جهازها عرضاً * أجولُ في بيعهِ وأضطربُ

فجلتُ فيهِ والنفسُ كارهةٌ * والعينُ عبرى والقلبُ مكتئبُ

وما تجاوزتُ إذ عبثتُ بهِ * حدّ التراضي فيحدثُ الغضبُ

فإن يكن غاظها توهّمها * أنّ بناني بالنظم تكتسبُ

أو أنّني إذ عزمتُ خطبتها * زخرفتُ قولي لينجحَ الأربُ

فوالذي سارتِ الرفاقُ إلى * كعبتهِ تستحثّها النجبُ

ما المكرُ بالمحصنات من خُلقي * ولا شعاري التمويهُ والكذبُ

ولا يدي مذ نشأتُ نيطَ بها * إلّا مواضي اليراعِ والكتبُ

بل فكرتي تنظمُ القلائدَ لا * كفّي وشعري المنظومُ لا السخبُ

فهذهِ الحرفةُ المشارُ إلى * ما كنتُ أحوي بها وأجتلبُ

فأذن لشرحي كما أذنتَ لها * ولا تراقبْ واحكم بما يجبُ

قال فلمّا أحكمَ ما شادَه * وأكملَ إنشادَه * عطفَ القاضي إلى الفتاةِ * بعد أن شُغفَ بالأبيات * وقال أما إنّه قد ثبتَ عند جميع الحكّام * وولاةِ الأحكام * انقراضُ جيلِ الكرام * وميلُ الأيّام إلى اللئام * وإنّي لإخالُ بعلكِ صدوقاً في الكلام * بريّاً من الملام * وها هو قد اعترفَ لكِ بالقرض * وصرّحَ عن المحض * وبيّنَ مصداقَ النظم * وتبيّنَ أنّه معروقُ العظم * وإعناتُ المعذرِ ملأمة * وحبسُ المعسرِ مأثمة * وكتمانُ الفقرِ زهادة *

وانتظارُ الفَرَج بالصبرِ عِبادةٌ * فارجِعي الى خِدْرِكِ * واعذِري ابا عُذْرِكِ * ونهْنِهي من غَرْبِكِ * وسلِّمي لقضاءِ ربِّكِ * ثم انّه فرض لهما في الصَّدَقاتِ حِصّةً * وناولهما من دراهمِها قبْضةً * وقال لهما تعلَّلا بهذه العُلالة * وتندَّيا بهذه البُلالة * واصْبِرا على كَيْدِ الزمانِ وكَدِّه * فعسى اللهُ أنْ ياتيَ بالفتحِ او امرٍ من عنده * فنهضا وللشيخ فرحةُ المُطْلَقِ من الإسار * وهِزَّةُ المُوسِرِ بعد الاعسار * قال الرّاوي وكنتُ عرفتُ انّه ابوزيد ساعةَ بزغتْ شمسُهُ * ونزغتْ عِرسُه * وكِدتُ أُفصحُ عن افتنانه * وإثمارِ افنانه * ثم اشْفقتُ من عُثورِ القاضي على بُهْتانه * وتزويقِ لسانه * فلا يرى عند عرفانه * ان يُرشّحه لاحسانه * فأحجمتُ عن القولِ إحجامَ المُرتاب * وطويتُ ذِكرَه كطيّ السِّجِلّ للكِتاب * إلّا انّي قلتُ بعد ما فَصَل * ووَصَل الى ما وَصَل * لو انّ لنا من ينطلِقُ في أثَرِه * لأتانا بفَصِّ خَبَرِه * وما ينشرُ من حِبَرِه * فاتبعه القاضي احدَ أُمنائه * وامره بالتجسُّسِ من انبائه * فما لبِثَ ان رجع مُتَدَهْدِهاً * وقهقرَ مُقَهْقِهاً * فقال له القاضي مَهْيَمْ * يا ابا مريم * فقال لقد عاينتُ عَجَباً * وسمِعتُ ما انشأ لي طرباً * فقال له ماذا رأيتَ * وما الذي وعيتَ * قال لم يزلِ الشيخُ مُذْ خرج يُصفِّقُ بيديْه * ويُخالِفُ بين رِجْلَيْه * ويُغرِّدُ بملْءِ شِدْقَيْه * ويقول *

نظم

كِدتُ أُصلى ببَلِيّة * من وَقاحِ شَمَّرِيّة

وأزورُ السِّجنَ لولا * حاكمُ الاسكندرِيّة

فضحك القاضي حتى هوت دنيته * وذوت سكينته * قال فلما فاء الى الوقار * وعقب الاستغراب بالاستغفار * قال اللهم بحرمة عبادك المقربين * حرّم حبسي على المتأدبين * ثم قال لذلك الامين علىّ به * فانطلق مجدًّا في طلبه * ثم عاد بعد لأيه * مخبرا بنأيه * فقال القاضي اما انه لو حضر * لكفى الحذر * ثم لأولينه ما هو به أولى * ولأرينه ان الآخرة خير له من الاولى * قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي اليه * وفوت ثمرة التنبيه عليه * غشيتني ندامة الفرزدق حين ابان النوار * او الكسعي لما استبان النهار *

المقامة العاشرة الرحبية

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق * الى رحبة مالك بن طوق * فلبيته ممتطيا شملة * ومنتضيا عزمة مشمعلة * فلما ألقيت بها المراسي * وشددت امراسي * وبرزت من الحمام بعد سبت راسي * رأيت غلاما أفرغ في قالب الجمال * وألبس من الحسن حلة الكمال * وقد اعتلق شيخ بردنه * يدعي انه فتك بابنه * والغلام ينكر عرفته * ويكبر قرفته * والخصام بينهما متطاير الشرار * والزحام عليهما يجمع بين الاخيار والاشرار * الى ان تراضيا بعد اشتطاط اللدد * بالتنافر الى والي البلد * وكان ممن يزن بالهنات * ويغلب حب البنين على البنات * فأسرعا الى ندوته * كالسليك في عدوته * فلما احضراه * جدد الشيخ دعواه * واستدعى عدواه * فاستنطق

الغُلامُ وقد فتنه بمحاسن غُرّته * وطرّ عقله بتصفيف طُرّته * فقال إنّها إفيكةُ أفّاكٍ * على غير سفّاكٍ * وعضيهةُ محتالٍ * على من ليس بمغتالٍ * فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلانِ من المسلمين * وإلّا فاستوفِ منه اليمين * فقال الشيخ إنه جدّله خاسئًا * وأفاح دمه خاليًا * فانّي لي شاهدٌ * ولم يكن ثمّ مشاهِدٌ * ولكن ولّني تلقية اليمين * ليَبِينَ لك أيصدق أم يَمِين * فقال له انت المالكُ * لذالك * مع وجدك المتهالِك * على ابنك الهالِك * فقال الشيخ للغلام قل والّذي زيّن الجباه بالطُرر * والعيون بالحَوَر * والحواجب بالبَلَج * والمباسم بالفَلَج * والجفون بالسَّقَم * والأنوف بالشَّمَم * والخدود باللّهب * والثغور بالشَّنَب * والبنان بالتَّرَف * والخصور بالهَيَف * إنّني ما قتلت ابنك سهوًا ولا عمدًا * ولا جعلت هامته لسيفي غِمدًا * وإلّا فرمى اللّهُ جفني بالعَمَش * وخدّي بالنَّمَش * وطُرّتي بالجَلَح * وطلعي بالبَلَح * وورْدي بالبَهار * ومسكتي بالبُخار * وبَدْري بالمحاق * وفضّتي بالاحراق * وشعاعي بالإظلام * ودواتي بالأقلام * فقال الغلامُ الاصطلاء بالبليّة * ولا الإيلاءَ بهذه الاليّة * والانقياد للقَوَد * ولا الحلف بما لم يحلف به أحد * وأبى الشيخ الّا تجريعه اليمين التي اخترعها * وأمقر له جرعها * ولم يزل التلاحي بينهما يستعر * ومحجّة التراضي تعر * والغلامُ في ضمن تأبيه * يخلب الوالي بتلويه * ويُطمعه في ان يُلبّيه * الى ان ران هواه على قلبه * والَبَّ بلبّه * وسوّل له الوَجْدُ الذي تيمّه * والطّمعُ الذي توهّمه * ان يخلّص الغلام ويستخلصه * وان ينقذه من

حبالةِ الشَّيخ ثم يقْتنِصه * فقال للشيخ هل لك فيما هو اَليق بالاَقوى * واَقربُ للتقوى * فقال اِلامَ تشيرُ لاَقتفيْه * ولا اَقِف فيه * قال اَرى اَن تَقْصِرَ من القِيل والقال * وتقتصِرَ على مائة مِثقال * لا تحمّل منها بَعْضا * واَجْنِيَ الباقيَ لك عُرْضا * فقال الشيخ مامِنِّي خلافٌ * فلا يَكُنْ لوَعْدِك اِخلافٌ * فنقده الوالي عِشرين * ووزَّع على وزَعته تكمِلةَ خَمْسين * ورَقّ ثوبُ الاَصِيل * وانقطع لاَجلِه صَوْبُ التحصيل * فقال له خُذْ ماراجَ * ودَعِ اللَّجاجَ * وعليَّ في غدٍ ان اَتوصّلَ * الى اَن يَنِضّ لك الباقي ويتحصّلَ * فقال الشيخ اَفعل ذاك على ان الازمه ليلتي * ويرعاه اِنسانُ مُقلتي * حتى اذا اَعفى بعدَ اِسْفار الصُّبْح * بما بَقِيَ من مال الصُّلْح * تخلّصتْ قائبةٌ من قُوب * وبرِئ براءةَ الذئب من دمِ ابنِ يعقوب * فقال له الوالي ما اَراك سُمْتَ شَطَطًا * ولا رُمْتَ فرطًا * قال الحارث بن همام فلما رأيتُ حُجَجَ الشيخ كالحُجَجِ السُّرَيْجيَّة * علمتُ اَنه علَمُ السُّروجيّة * فلبِثتُ الى اَنْ زَهرتْ نجومُ الظلام * وانتثرتْ عقودُ الزحام * ثمّ قصدتُ فِناءَ الوالي * فاذا الشيخ للفتى كالي * فنشدته اللهَ اَهو ابو زيد * فقال اِيْ ومُحِلِّ الصَّيْد * فقلتُ مَن هذا الغلامُ * الذي هفَتْ له الاَحلامُ * فقال هو في النَّسَب فَرْخي * وفي المَكْسَب فَخّي * قلتُ فهلّا اكتفيتَ بمحاسِن فِطْرته * وكفَيْتَ الوالي الافتتانَ بطُرّته * فقال لولم تبرُز جَبْهتُه السِّينَ * لما قنَّفشتُ الخمسين * ثمّ قال بِتِ الليلةَ عندي لنُطفئَ نارَ الجوى * ونُديلَ الهوى من النَّوى * فقد اَجمعتُ على ان انسلّ بسُحْرة *

وأصلى قلب الوالى نار حسرة * قال فقضيت الليلة معه في سمر * آنق من حديقة زهر * وخميلة شجر * حتى اذا لألأ الأفق ذنب السرحان * وآن انبلاج الفجر وحان * ركب متن الطريق * واذاق الوالى عذاب الحريق * وسلم الى ساعة الفراق * رقعة محكمة الالصاق * وقال ادفعها الى الوالى اذا سلب القرار * وتحقق منا الفرار * ففضضتها فعل المتلمس * من مثل صحيفة المتلمس * فاذا فيها مكتوب *

نظم

قل لوالٍ غادرته بعد بيني * نادماً ساداً ماً يعض اليدين
سلب الشيخ ماله وفتاه * لبه فاصطلى لظى حسرتين
جاد بالعين حين اعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين
خفض الحزن يا معنى فما يجدي * طلاب الآثار من بعد عين
ولئن جل ما عراك كما جل * لدى المسلمين رزء الحسين
فقد اعتضت منه فهماً وحزماً * واللبيب الاريب يبغى ذين
فاعص من بعدها المطامع واعلم * ان صيد الظباء ليس بهين
لا ولا كل طائر يلج الفخ * ولو كان محدقاً باللجين
ولكم من سعى ليصطاد فاصطيد * ولم يلق غير خفى حنين
فتبصر ولا تشم كل برق * رب برق فيه صواعق حين
واغضض الطرف تسترح من غرام * تكتسى فيه ثوب ذل وشين

فبلاءُ الفتى اتباعُ هوى النفس وبذرُ الهوى طموحُ العين

قال الراوي فمزّقتُ رقعته شذرَ مذر * ولم أُبَلِ أعذَلَ أم عذر *

المقامة الحادية عشر الساوية

حدّث الحارث بن همام قال آنستُ من قلبي القساوة * حين حللتُ ساوة * فأخذتُ بالخبر المأثور * في مداواتها بزيارة القبور * فلما صرتُ الى محلّة الأموات * وكفات الرفات * رأيتُ جمعاً على قبرٍ يحفر * ومجنوزٍ يقبر * فانحزتُ اليهم مفكّراً في المآل * ومتذكّراً من درج من الآل * فلما ألحدُ الميت * وفات قول ليت * أشرف شيخ من رباوة * متخصّر بهراوة * وقد لفّع وجهه بردائه * ونكّر شخصه لدهائه * فقال لمثل هذا فليعمل العاملون * فادّكروا أيها الغافلون * وشمّروا أيها المقصّرون * واحسنوا النظر أيها المتبصّرون * ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب * ولا يهولكم هيل التراب * ولا تعبأون بنوازل الأحداث * ولا تستعدّون لنزول الأجداث * ولا تستعبرون لعين تدمع * ولا تعتبرون بنعيٍ يسمع * ولا ترتاعون لإلفٍ يفقد * ولا تلتاعون لمناحةٍ تعقد * يشيّع أحدكم نعش الميت * وقلبه تلقاء البيت * ويشهد مواراة نسيبه * وفكره في استخلاص نصيبه * ويخلّي بين ودوده ودوده * ثم يخلو بمزماره وعوده * طالما أسيتم على انثلام الحبّة * وتناسيتم اخترام الأحبّة * واستكنتم لاعتراض العسرة * واستهنتم بانقراض الأسرة * وضحكتم عند الدفن * ولا ضحككم ساعة الدفن وتبخترتم خلف الجنائز * ولا تبختركم

يوم قبض الجوائز * واعرضتم من تعديد النوادب * الى اعداد المآدب * ومن تحرق النواكل * الى التأنق فى المآكل * لا تبالون بمن هو بال * ولا تخطرون ذكر الموت ببال * حتى كأنكم قد علقتم من الحمام * بذمام * او حصلتم من الزمان * على امان * او وثقتم بسلامة الذات * او تحققتم مسالمة هادم اللذات * كلا ساء ما تتوهمون * ثم كلا سوف تعلمون * ثم انشد *

نظم

أيا من يدعى الفهم * الى كم يا اخا الوهم
تعبى الذنب والذم * وتخطى الخطأ الجم
اما بان لك العيب * اما انذرك الشيب
وما فى نصحه ريب * ولا سمعك قد صم
اما ناداك بك الموت * اما اسمعك الصوت
اما تخشى من الفوت * فتحتاط وتهتم
فكم تسدر فى السهو * وتختال من الزهو
وتنصب الى اللهو * كأن الموت ما عم
وحتام تجافيك * وابطاء تلافيك
طباعا جمعت فيك * عيوبا شملها انضم
اذا اسخطت مولاك * فما تقلق من ذاك

وإنْ أخفق مسعاك * تلظّيتَ من الهمّ

وإنْ لاح لك النّقْشُ * من الأصفرِ تهتشّ

وإنْ مرّ بك النّعشّ * تغاممتَ ولا غمّ

تُعاصِي النّاصِحَ البَرَّ * وتعتاصُ وتزوَرّ

وتنقادُ لِمَنْ غرَّ * ومَن مانَ ومَن نَمّ

وتسعى في هوى النّفس * وتحتالُ على الفلْس

وتنسى ظُلْمةَ الرَّمس * ولا تذكُرُ ما ثَمّ

ولَوْلا خطَك الحظُّ * لما طاحَ بك اللّحظُ

ولا كنتَ إذا الوَعظُ * جلا الأحزانَ تغتمّ

ستُذرِي الدَّمَ لا الدَّمعَ * إذا عاينتَ لا جَمعَ

يَقي في عَرصةِ الجمع * ولا خالَ ولا عَمّ

كأنّي بك تنحطّ * الى اللّحد وتنغطّ

وقد أسلمك الرهطُ * الى أضيَقَ مِن سَمّ

هُناكَ الجِسمُ ممدود * ليستأكله الدّود

الى أن ينخرَ العُودُ * ويُمسي العظمُ قد رَمّ

ومن بعدُ فلا بُدّ * من العَرضِ إذا اعتدّ

صراط جسره مد * على النار لمن أم
فكم من مرشد ضل * ومن ذي عزة ذل
وكم من عالم زل * وقال الخطب قد طم
فبادر أيها الغمر * لما يحلو به المر
فقد كاد يهي العمر * وما أقلعت عن ذم
ولا تركن إلى الدهر * وإن لان وإن سر
فتلفى كمن اغتر * بأفعى تنفث السم
وخفض من تراقيك * فإن الموت لاقيك
وسار في تراقيك * وما ينكل إن هم
وجانب صعر الخد * إذا ساعدك الجد
وزم اللفظ إن ند * فما أسعد من زم
ونفس عن أخي البث * وصدقه إذا نث
ورم العمل الرث * فقد أفلح من رم
ورش من ريشه انحص * بما عم وما خص
ولا تأس على النقص * ولا تحرص على اللم
وعاد الخلق الرذل * وعود كفك البذل

ولا تستمع العذل * ونزهها عن الضم
وزود نفسك الخير * ودع ما يعقب الضير
وهيئ مركب السير * وخف من لجة اليم
بذا أوصيت يا صاح * وقد بحت كمن باح
فطوبى لفتى راح * بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الأسر * قد شد عليه جبائر المكر لا الكسر * متعرضا للاستماحة * في معرض الوقاحة * فاختلب به أولئك الملأ * حتى أترع كمه وملأ * ثم انحدر من الربوة * جذلا بالحبوة * قال الراوي فجاذبته من ورائه * حاشية ردائه * فالتفت إلي مستسلما * وواجهني مسلما * فإذا هو شيخنا أبو زيد بعينه * ومينه * فقلت له *

شعر

إلى كم يا أبا زيد * أفانينك في الكيد
لينحاش لك الصيد * ولا تعبأ بمن ذم

فأجاب من غير استحياء * ولا ارتياء * وقال *

شعر

تبصر ودع اللوم * وقل لي هل ترى اليوم
فتى لا يقمر القوم * متى ما دست تم

فقلت له بعدا لك يا شيخ النار * وزاملة العار * فما مثلك في طلاوة علانيتك * وخبثة

نِيَّتِك * الأمِثْلُ رَوْثٍ مُفَضَّضٍ * أو كَنِيفٍ مُبَيَّضٍ * ثم تفرّقنا فانطلقتُ ذاتَ اليمين * وانطلق ذاتَ الشِّمال * وَنَاوَحْتُ مَهَبَّ الجَنُوب * وناوَحَ مَهَبَّ الشَّمال *

المقامة الثانية عشر الدمشقية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَخَصْتُ من العِراق الى الغُوطَة * وأنا اذْ ذاك ذو جُرْدٍ مربوطة * وجِدَةٍ مغبوطة * يُلْهِينِي خُلُوُّ الذَّرْع * ويَزْدَهِينِي حُفُولُ الضَّرْع * فلمّا بلغتُها بعد شِقِّ النَّفْس * وانْضاءِ العَنْس * ألفيتُها كما تَصِفُها الألْسُن * وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين * فشكرْتُ يَدَ النَّوى * وجَرَيْتُ طَلَقَ الجَمُوح مع الهَوى * وطَفِقْتُ أفُضُّ بها خُتُومَ الشَّهَوات * وأجْتَنِي قُطُوفَ اللَّذَّات * الى أن شَرَعَ سَفَرٌ في الإعراق * وقد استَفَقْتُ من الإغراق * فعادَني عِيدٌ من تذْكارِ الوَطَن * والحَنِينِ الى العَطَن * فقوّضتُ خِيامَ الغَيْبة * وأسْرَجْتُ جَوادَ الأوْبة * ولمّا تأهَّبَتِ الرِّفاق * واستَتَبَّ الاتّفاق * أحْنَا من المَسِير * دون استصحاب الخَفِير * فرُدْناه من كُلِّ قبيلة * وأعْمَلْنا في تحصيله ألفَ حِيلة * فأعْوَزَ وِجْدانُه في الأحْياء * حتّى خِلْنا أنّه ليس من الأحياء * فحارَتْ لِعَوَزِه عزُومُ السَّيّارة * وانتَدَوْا بباب جَيْرُونَ للاستشارة * فما زالوا بين عَقْدٍ وحَلٍّ * وشَزْرٍ وسَحْلٍ * الى أن نَفِدَ التَّناجي * وقَنِطَ الرّاجي * وكان حِذَتَهم شَخْصٌ مِيسَمُهُ مِيسَمُ الشُّبّان * ولَبُوسُه لَبُوسُ الرُّهبان * وبِيَدِه سُبْحَةُ النِّسْوان * وفي عَيْنِه تَرْجَمَةُ النَّشْوان * وقد قيّد لَحْظَه بالجَمْع * وأرْهَفَ أذُنَه لاستراق السَّمْع * فلمّا آنَ انكِفاؤُهم * وقد بَرِحَ له خَفاؤُهم * قال لهم يا قومِ لِيُفْرِخْ كَرْبُكم * ولْيَأْمَنْ

هربكم * فسأخفركم بما يسر وروعكم * ويبدو طوعكم * قال الراوي فاستطلعنا منه طلع
الخفارة * واسنينا له الجعالة عن السفارة * فزعم انها كلمات لقنها في المنام * ليحترس
بها من كيد الانام * فجعل بعضنا يومض الى بعض * ويقلب طرفيه بين لحظ وغض *
وتبين له انا استضعفنا الخبر * واستشعرنا الخور * فقال ما لكم اتخذتم جدي عبثا *
وجعلتم تبري خبثا * ولطالما والله جبت مخاوف الاقطار * ولججت مقاحم الاخطار *
فغنيت بها عن مصاحبة خفير * واستصحاب جفير * ثم اني ها انفي ما رابكم * واستسل
الحذر الذي نابكم * بان اوافقكم في البداوة * واوافقكم في السماوة * فان صدقكم
وعدي * فاجد واسعدي * واسعد واجدي * وان كذبكم فمي * فمزقوا اديمي *
واريقوا دمي * قال الحارث بن همام فالهمنا تصديق رؤياه * وتحقيق ما رواه * فنزعنا
عن مجادلته * واستهمنا على معادلته * وفصمنا بقوله عرى الربائث * والغينا اتقاء
العابث والعائث * ولما حكمت الرحال * وازف الترحال * استنزلنا كلماته الراقية * لنجعلها
الواقية الباقية * فقال ليقرأ كل منكم ام القرآن * كلما اظل الملوان * ثم ليقل بلسان
خاضع * وصوت خاشع * اللهم يا محيي الرفات * ويا دافع الآفات * ويا واقي المخافات *
ويا كريم المكافاة * ويا موئل العفاة * ويا ولي العفو والمعافاة * صل على محمد خاتم انبيائك *
ومبلغ انبائك * وعلى مصابيح اسرته * ومفاتيح نصرته * واعذني اللهم من نزغات الشياطين *
ونزوات السلاطين * واعنات الباغين * ومعاناة الطاغين * ومعاداة العادين * وعدوان

المُعادِين * وَغَلَبِ الغالِبين * وسَلَبِ السّالِبِين * وحِيَلِ المُحتالين * وغِيلِ المُغتالين * واجِرني اللهمّ من جَوْرِ المُجاوِرِين * ومُجاوَرةِ الجائِرين * وكُفّ عَنّي اَكُفّ الضّائِمِين * واَخرِجني من ظُلُماتِ الظّالِمِين * وادْخِلني برحْمتِك في عِبادِكَ الصّالِحِين * اللهمّ حُطْني في تُرْبتي * وغُربتي * وغَيْبتي * واَوْبتي * ونُجعتي * ورَجْعتي * وتَصرّفي ومُنصرَفي * وتَقلُّبي * ومُنقلَبي * واحفَظْني في نَفسي * ونَفائِسي * وعِرْضي * وعَرَضي * وعَدَدِي * وعُدَدِي * وسَكَني * ومَسْكَني * وحَوْلِي * وحالي * ومَالي ومآلي * ولا تُلْحِقْ بي تغييرًا * ولا تُسَلِّطْ عليَّ مُغِيرًا * واجعَلْ لي من لَدُنك سُلطانًا نصيرًا * اللهمّ احرُسْني بعَيْنِك وعَوْنِك * واخصُصْني بأمنِك ومَنِّك * وتَولّني باختيارك وخَيْرِك * ولا تَكِلْني الى كِلاءةِ غيرِك * وهَبْ لي عافيةً غيرَ عافيةٍ * وارزُقْني رفاهيةً غيرَ واهيةٍ * واكفِني مَخاشِيَ اللأواء * واكْنُفني بغواشِي الآلاء * ولا تُظْفِر بي اَظفارَ الاَعْداء * إنّك سميعُ الدُّعاء * ثم اَطرق لا يُدِيرُ لحظًا * ولا يُحِيرُ لفظًا * حتّى قُلنا قد اَبلَسَتْه خَشيةٌ * او اَخرسَتْه غَشيةٌ * ثُمّ اَقنعَ راسَه وصَعّدَ انفاسَه * وقال اُقسِمُ بالسّماءِ ذاتِ الاَبراج * والاَرْضِ ذاتِ الفِجاج * والماءِ الثّجّاج * والسِّراجِ الوَهّاج * والبَحرِ العَجّاج * والهواءِ والعَجاج * انّها لَمِنْ اَيمَنِ العُوَذ * واَغْنى عنكم مِنْ لابِسي الخُوَذ * مَنْ دَرَسَها عندَ ابتسامِ الفَلَق * لم يُشفِق من خَطْبٍ الى الشَّفَق * ومن ناجى بها طَليعةَ الغَسَق * اَمِنَ لَيْلتَه من السَّرَق * قال الراوي فتلقّنّاها * حتّى اَتقنّاها * وتدارسناها * لِكَيْ لا نَنساها * ثم سِرْنا نُزْجِي الحَمُولات

بالدَّعْوات لا بالعُداة * ونَحْمِي الحُمُولات بالكلمات لا بالكُماة * وصاحِبُنا يتعَهَّدُنا بالعِشيّ والغداةِ * ولا يَستنجِزُ مِنّا العِداتِ * حتّى اذا عاينّا أطلالَ عانةَ * قال لنا الاعانةَ الاعانةَ * فأحضرناهُ المعلومَ * والمكتومَ * وأرَيْناه المعكومَ * والمختومَ * وقلنا له اقضِ ما انت قاضٍ * فما تجد فينا غيرَ راضٍ * فما استخفَّه سوى الخِفّ والزَّيْن * ولا حلِيَ بعينه غيرُ العَيْن * فاحتمل منهما وِقْرَه * وناءَ بما يسُدُّ به فَقْرَه * ثمّ خالَسَنا مُخالسةَ الطَّرّار * وانصلَتَ مِنّا انصلاتَ الفَرّار * فأوحَشَنا فِراقُه * وأدْهشَنا انمراقُه * ولم نزَلْ نَنْشُدُه بكل نادٍ * ونستخبِرُ عنه كلَّ مُغْوٍ وهادٍ * الى أنْ قِيلَ انّه مُذْ دخل عانةَ * ما زايلَ الحانةَ * فأغراني خُبْثُ هٰذا القولِ بسَبْكِه * والانسلاكِ فيما لَسْتُ مِنْ سِلْكِه * فادّلجتُ الى الدَّسْكرة * في هيئةٍ مُنْكَرة * فاذا الشيخُ في حُلّةٍ مُمَصَّرة * بين دِنانٍ ومِعْصَرة * وحَوْلَه سُقاةٌ تَبْهَر * وشُموعٌ تَزْهَر * وآسٌ وعَبْهَر * ومِزْمارٌ ومِزْهَر * وهو تارةً يَستبزِلُ الدِّنانَ * وطَوْرًا يَستنطِقُ العِيدانَ * ودَفعةً يَستنشِقُ الرَّيحانَ * وأُخرى يُغازِلُ الغِزْلانَ * فلمّا عثرتُ على لَبْسه * وتفاوتِ يومِهِ من أمْسِه * قلتُ له أَوْلى لكَ يا ملعونُ * أأُنسيتَ يومَ جَيْرُونَ * فضحِكَ مُستغرِبًا * ثمّ انشد مُطْرِبًا *

نظم

لَزِمتُ السِّفارَ * وجُبْتُ القِفارَ * وعِفْتُ النِّفارَ * لِأجْنِيَ الفَرَح
وخُضتُ السُّيولَ * ورُضتُ الخُيولَ * لِجَرِّ ذُيولِ * الصِّبا والمَرَح
ومِطْتُ الوَقارَ * وبِعتُ العَقارَ * لحَسْوِ العُقارِ * ورَشْفِ القَدَح

وَلولا الطِّماحُ * الى شُربِ راحٍ * لما كانَ باحَ * فمى بالمُلَح
ولا كانَ ساقٍ * دَهانِى الرِّفاقُ * لأرضِ العِراقِ * بحملِى السُّبَح
فلا تَغضبَنّ * ولا تَصخَبَنّ * ولا تَعتَبَنّ * فعُذرِى وَضَح
ولا تَعجَبَنّ * بشَيخٍ أبَنّ * بمَغنىً أغَنّ * ودَنٍّ طَفَح
فإنّ المُدامَ * تُقوِى العِظامَ * وتَشفى السَّقامَ * وتَنفِى التَّرَح
وأصفَى السُّرورَ * اذا ما الوُقُورُ * أماطَ سُتورَ * الحَيا واطَّرَح
وأحلَى الغَرامَ * إذا المُستهامُ * أزالَ اكتتامَ * الهَوىٰ وافتَضَح
فبُح بِهَواكَ * وبَرِّد حَشاكَ * فزندًا أساكَ * به قد قَدَح
وداوِ الكُلومَ * وسَلِّ الهُمومَ * بِبنتِ الكُرومِ * التى تُفتَرَح
وخُصِّ الغَبُوقَ * بساقٍ يَسُوقُ * بَلاءَ المَشُوقِ * إذا ما طَمَح
وشادٍ يُشيدُ * بصوتٍ يَميدُ * جِبالُ الحَديدِ * لهُ إنْ صَدَح
وعاصِ النَّصيحَ * الذى لا يُبيحُ * وِصالَ المَليحِ * اذا ما سَمَح
وجُل في المَجالِ * ولو بالمُحالِ * ودَع ما يُقالُ * وخُذ ما صَلَح
وفارِق أباكَ * اذا ما أباكَ * ومُدَّ الشِّباكَ * وصِدْ مَن سَنَح
وصافِ الخَليلَ * ونافِ البَخيلَ * وأوْلِ الجَميلَ * ووالِ المِنَح
ولُذ بالمَتابِ * أمامَ الذَّهابِ * فمَن دَقَّ بابَ * كريمٍ فتَح

فقلتُ له بَخٍ بَخٍ لروايتك * وَأُفٍّ وتُفٍّ لغوايتك * فباللهِ من اَيِّ الاَعياصِ عِيصُك * فقد اَعضلنى عَويصُك * فقال ما اُحِبُّ اَنْ اُفْصِحَ عَنّى * ولٰكنّى ساُكَنّى *

نظم

اَنا اُطْروفةُ الزَّمانِ واُعْجوبةُ الاُمَم * وانا الحُوَّلُ الَّذى احْتالَ فى العُربِ والعَجَم
غيرَ اَنّى ابنُ حاجةٍ هاضَهُ الدَّهرُ واهتَضَم * واَبو صبيةٍ بدَوا امتثَلَ لَحْمٍ على وَضَم
واَخو العَيلةِ المُعيلُ * اِذا احْتالَ لم يُلَمْ

قال الرّاوى فعرفتُ حينئذٍ اَنّه ابو زيدٍ ذو الرَّيبِ والعَيب * ومُسوِّدُ وَجْهِ الشَّيب * وساءَنى عِظَمُ تمرُّدِه * وقُبْحُ توَرُّدِه * فقلتُ له بلسانِ الاَنَفة * واِدلالِ المَعرِفة * اَلَمْ يأْنِ لكَ ياشيخنا * اَنْ تُقلِعَ عن الخنا * فتضجَّر * وزَمْجَر * وتَنكَّر * وفكَّر * ثم قال اِنّها ليلةُ مِراحٍ * لا تَلاحٍ * ونُهزةُ شُرْبِ راحٍ * لا كِفاح * فعَدِّ عمّا بدا * الى اَنْ نتَلاقى غدا * ففارقتُه فَرَقًا من عَربدتِه * لا تعلُّقًا بعِدَتِه * وبِتُّ ليلتى لابسًا حِدادَ النَّدَم * على نَقْلى خُطا القدم * الى ابنةِ الكَرْم * لا الكَرَم * وعاهدتُ اللهَ سبحانه اَنْ لا اَحضُرَ بعدها حانةَ نَبّاذ * ولو اُعطِيتُ مُلكَ بَغداذ * ولا اَشهدَ مَعصرةَ الشَّراب * ولو رُدَّ علىَّ عَصرُ الشَّباب * ثم اِنّنا رَحَّلنا العِيس * وقتَ التَّغليس * وخَلَّينا بين الشَّيخَينِ ابى زيدٍ وابليس *

المقامة الثالثة عشر البغدادية

روى الحارثُ بن همّامٍ قال ندوتُ بضواحى الزَّوراءِ * مع مَشيخةٍ من الشعراء * لا يَعْلَقُ لهم مُبارٍ بغُبار * ولا يَجرى معهم مُمارٍ فى مِضمار * فاَفَضْنا فى حديثٍ يَفضَحُ الاَزهار *

الى ان نصّفنا النهار * فلما غاض درّ الافكار * وصبّت النفوس الى الاوكار * لمحنا عجوزا
تُقبِل من البُعد * وتُحضِر احضار الجُرد * وقد استتلت صِبية انحف من المغازِل * واضعف
من الجوازِل * فما كذبت اذ رأتنا * ان عرتنا * حتى اذا ما حضرتنا * قالت حيّا الله
المعارِف * وان لم يكونوا معارِف * اعلموا يا مآل الآمِل * وثمال الارامِل * انّي من
سروات القبائِل * وسريّات العقائِل * لم يزل اهلي وبعلي يحلّون الصدر * ويسيرون
القلب و يمطون الظهر * ويولون اليد * فلما اردى الدهر الاعضاد * وفجع بالجوارِح
الاكباد * وانقلب ظهرا لبطن * نبا الناظِر * وجفا الحاجِب * وذهبت العين * وفقدت
الراحة * وصلد الزند * ووهت اليمين * وبانت المرافق * ولم يبق لنا ثنيّة ولا ناب *
فمذ اغبرّ العيش الاخضر * وازورّ المحبوب الاصفر * اسودّ يومي الابيض * وابيضّ
فودي الاسود * حتى رثى لي العدوّ الازرق * فحبذا الموت الاحمر * وتلوي من
ترون عينه فراره * وترجمانه اصفراره * قصوى بغيته احدهم ثردة * وقصارى منيته
بردة * وكنت آليت ان لا ابذل الحرّ الا للحرّ * ولو انّي متّ من الضرّ * وقد ناجتني القرونة *
بان توجد عندكم المعونة * وآذنتني فراسة الحوباء * بانكم ينابيع الحباء * فنضّر الله امرءا
ابرّ قسمي * وصدّق توسّمي * ونظر اليّ بعينٍ يقذيها الجمود * ويقذّيها الجود * قال
الحارث بن همام فهمنا لبراعة عبارتها * وملح استعارتها * وقلنا لها قد فتن كلامك *
فكيف الحامك * فقالت يفجّر الصخر * ولا فخر * فقلنا ان جعلتنا من رواتك * لم نبخل

بمواساتك * فقالت لا رينكم اولا شعاري * ثم لاروينكم اشعاري * فابرزت ردن درع دريس * وبرزت برزة عجوز دردبيس * وانشأت تقول *

نظم

اشكو الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المتعدي البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة اعوزت * في السنة الشهباء روضا اريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم اخلها تغيض
واودعت منهم بطون الثرى * اسد التحامي واساة المريض
فمحملي بعد المطايا المطا * وموطني بعد اليفاع الحضيض
وافرخي ما تأتلي تشتكي * بؤساله في كل يوم وميض
اذا دعا القانت في ليلة * مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب في عشه * ويا جابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس الذم نقي رحيض
يطفئ نار الجوع عنا ولو * بمذقة من حازر او مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض

فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة * ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب * واستخرجت خبايا الجيوب * حتى ماحها من دينه الامتياح * وارتاح لرفدها من لم نخله يرتاح * فلما افعوعم جيبها تبرا * واولاها كل منا برا * تولت يتلوها الاصاغر * وفوها بالشكر فاغر * فاشرأبت الجماعة بعد ممرها * الى سبرها * لتبلوا مواقع برها * فكفلت لهم باستنباط السر المرموز * ونهضت اقفو اثر العجوز * حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام * مختصة بالزحام * فانغمست في الغمار * وأملست من الصبية الأغمار * ثم عاجت بخلو بال * الى مسجد خال * فاماطت الجلباب * ونضت النقاب * وانا ألمحها من خصاص الباب * وارقب ما ستبدي من العجاب * فلما انسرت أهبة الخفر * رأيت محيا ابي زيد قد سفر * فهممت بان اهجم عليه لأعنفه على ما اجرى اليه * فاستلقى استلقاء المتمردين * ثم رفع عقيرة المغردين * واندفع ينشد *

نظم

يا ليت شعري أدهري * احاط علما بقدري

وهل درى كنه غوري * في الخدع أم ليس يدري

وكم قمرت بنيه * بحيلتي وبمكري

وكم برزت بعرفٍ * عليهم و بنكرِ

اَصطادُ قوماً بوعظٍ * و آخرين بشعرِ

و اَستفزّ بخلٍّ عقلاً * و عقلا بخمرِ

و تارةً انا صخرٌ * و تارةً اُختُ صخرِ

و لو سلكتُ سبيلاً * مالوفةً طُولَ عمرِي

لخابَ قدحِي و تِدحِي * ودام عسرِي وخُسرِي

فقل لِمَنْ لامَ هذا * عُذرِي فدونكَ عذرِي

قال الحارث بن همّام فلمّا ظهرتْ على جليّةِ اَمْرِه * وبديعةِ اِمْرِه * وما زخرفَ في شِعْرِه من عُذرِه * علمتُ انّ شيطانَه المَريدَ * لا يسمعُ التّفنيدَ * ولا يفعل الّا ما يُريدُ * فثنَيتُ الى اَصحابي عِناني * واَبثثتُهم ما اَثبتَه عِياني * فوجَمُوا لِضَيعةِ الجوايز * وتعاهدُوا على مَحْرَمةِ العجائز *

المقامة الرابعة عشر المكية

حكى الحارثُ بن همّام قال نهضتُ من مدينةِ السّلام * لِحجّةِ الاِسْلام * فلمّا قضيتُ بَعونِ اللهِ التّفثَ * واستبحتُ الطِّيبَ والرّفثَ * صادفَ مَوسِمَ الخَيفِ * مَعمعانَ الصّيفِ * فاستظهرتُ للضّرورة * بما يَقِي حرَّ الظّهيرة * فبينما انا تحتَ طِرافٍ * مع رُفقةٍ ظِرافٍ * وقد حَمِيَ وَطيسُ الحصباء * واَعشَى الهجيرُ عينَ الحِرباء * اذ هجم علينا شيخٌ مُتسعسعٌ *

يتلوه فتى مترعرع * فسلم الشيخ تسليم اديب اريب * وحاور محاورة قريب لا غريب * فاعجبنا بما نثر من سمطه * وعجبنا من انبساطه قبل بسطه * وقلنا له من انت * وكيف ولجت وما استاذنت * فقال اما انا فعاف * وطالب اسعاف * وسر ضري غير خاف * والنظر الى شفيع كاف * واما الانسياب الذى علق به الارتياب * فما هو بعجاب * اذ ما على الكرماء من حجاب * فسألناه انى اهتدى الينا * وبم استدل علينا * فقال ان للكرم نشرا تنم نفحاته * وترشد الى روضه فوحاته * فاستدللت بتأرج عرفكم * على تبلج عرفكم * وبشرنى تضوع رندكم * بحسن المنقلب من عندكم * فاستخبرناه حينئذ عن لبانته * لنكفل باعانته * فقال ان لى مآربا * ولفتاى مطلبا * فقلنا كلا المرامين سيقضى * وكلاكما سوف يرضى * ولكن الكبرا الكبر * فقال اجل ومن دحا السبع الغبر * ثم وثب للمقال * كالمنشط من العقال * وانشد *

نظم

اِنى امرؤ ابدع بى * بعد الوجى والتعب

وشقتى شاسعة * يقصر عنها خببى

وما معى خردلة * مطبوعة من ذهب

فحيلتى منسدة * وحيرتى تلعب بى

اِن ارتحلت راجلا * خفت دواعى العطب

واِن تخلفت عن الرفقة ضاق مذهبى

فَزَفرَتي في صُعُدٍ * وعَبرَتي في صَبَبِ

وأنتمُ مُنتجعُ الرّاجي ومَرمى الطَّلَبِ

لُهاكُمُ مُنهلَّةٌ * ولا انهلالَ السُّحُبِ

وجارُكُم في حَرَمٍ * ووَفرُكم في حَرَبِ

ما لاذَ مُرتاعٌ بكُم * فخافَ نابَ النُّوَبِ

ولا استدرَّ آمِلٌ * حِباءَكُم فما حُبِي

فانعطِفوا في قِصَّتي * وأحسِنوا مُنقلَبي

فلو بَلَوتُم عِيشَتي * في مَطعمي ومَشربي

لَساءَكُم ضُرِّي الذي * أسلمَني للكُرَبِ

ولو خَبَرتُم حَسَبي * ونَسَبي ومَذهَبي

وما حَوَت مَعرِفتي * من العُلومِ النُّخَبِ

لَما اعتَرَتكُم شُبهةٌ * في أنَّ دائِي أدَبي

فليتَ أنِّي لم أكُن * أُرضِعتُ ثَدْيَ الأدَبِ

فقد دَهاني شُؤمُهُ * وعَقَّني فيه أبِي

فقلنا له أمّا أنتَ فقد صَرَّحتَ أبياتُك بِفاقَتِك * وعَطَبِ ناقَتِك * وسنُعْطِيك

ما يُوصِلُك الى بَلَدِك * فما مأرَبةُ وَلَدِك * فقال له قُم يا بُنَيَّ كما قامَ أبُوك * وقُه

بما فى نفسك لافُضَّ فوك فنهض نهوض البطل للبراز * واصلت لساناً كالعضب الجراز * وانشد يقول *

نظم

يا سادةً فى المعالي * لهم مبانٍ مشيده
ومن اذا ناب خطبٌ * قاموا بدفع المكيده
ومن يهون عليهم * بذل الكنوز العتيده
اريد منكم شواءً * وجرذقاً وعصيده
فان علا فرقاقٌ * به توارى الشهيده
اولم يكن ذا ولا ذا * فشبعةٌ من ثريده
فان تعذّرن طُرّاً * فعجوةٌ ونهيده
فاحضروا ما تسنّى * ولو شظاً من قديده
وروّجوه فنفسي * لما يروج مريده
والزاد لا بدّ منه * لرحلة لي بعيده
وانتم خير رهطٍ * يدعون عند الشديده
ايديكم كل يوم * لها ايادٍ جديده
وراحكم واصلاتٌ * شمل الصلات المفيده
وبغيتي في مطاوى * ما ترفدون زهيده

وفي أجرو عقبى * تنفيس كربي حميده
ولي تنائج فكر * يفضحن كل قصيده

قال الحارث بن همام فلما رأينا الشبل يشبه الاسد * ارحلنا الوالد وزودنا الولد * فقابلا الصنع بشكر نشرا اردية * واديا به دينه * ولما عزما على الانطلاق * وعقدا للرحلة حبك النطاق * قلت للشيخ هل ضاهت عدتنا عدة عرقوب * او بقيت حاجة في نفس يعقوب * فقال حاش لله وكلا * بل جل معروفكم وجلى * فقلت له فدنا كما دناك * وافدنا كما افدناك * اين الدويرة * فقد ملكتنا فيك الحيرة * فتنفس تنفس من ادكر اوطانه * وانشد والشهيق يلعثم لسانه *

نظم

سروج داري ولكن * كيف السبيل اليها
وقد اناخ الاعادي * بها واخنوا عليها
فوالتي سرت ابغي * حط الذنوب لديها
ما راق طرفي شيء * مذ غبت عن طرفيها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع * وآذنت مدامعه بالهموع * فكره ان يستوكفها * ولم يملك ان يكفكفها * فقطع انشاده المتحلي * واوجز في الوداع وولى *

المقامة الخامسة عشر الفرضية

اخبر الحارث بن همام قال ارقت ذات ليلة حالكة الجلباب * هامية الرباب *

ولا أرق صبّ طرد من الباب * ومُني بصدّ الاحباب * فلم تزل الافكار يهجن همي *
ويجلن في الوساوس فهمي * حتى تمنيت لمضض ما عانيت * ان أرزق سميرًا من
الفضلاء * ليقصر طول ليلتي الليلاء * فما انقضت مُنيتي * ولا أغمضت مُقلتي * حتى
قرع الباب قارع * له صوت خاشع * فقلت في نفسي لعلّ غرس التمني قد أثمر * وليل
الحظّ قد أقمر * فنهضت اليه عجلان * وقلت من الطارق الآن * فقال غريب أجنّه
الليل * وغشيه السيل * ويبتغي الإيواء لا غير * واذا أسحر قدم السير * قال فلمّا دلّ
شعاعه على شمسه * ونمّ عنوانه بسرّ طرسه * علمت ان مسامرته غُنم * ومساهرته نُعم *
ففتحت الباب بابتسام * وقلت ادخلوها بسلام * فدخل شخص قد حنى الدهر صعدته *
وبلّل القطر بردته * فحيّى بلسان عضب * وبيان عذب * ثم شكر على تلبية صوته * واعتذر
من الطروق في غير وقته * فدانيته بالمصباح المتقد * وتأمّلته تأمّل المنتقد * فألفيته شيخنا
ابا زيد بلا ريب * ولا رجم غيب * فأحللته محلّ من أظفرني بقصوى الطلب * ونقلني
من وقذ الكرب * الى روح الطرب * ثم أخذ يشكو الأين * وأخذت في كيف وأين *
فقال أبلعني ريقي * فقد أتعبني طريقي * فظننته مستبطنًا للسغب * متكاسلًا لهذا السبب *
فأحضرته ما يحضر للضيف المفاجئ * في الليل الداجي * فانقبض انقباض المحتشم *
وأعرض إعراض البشم * فسؤت ظنًّا بامتناعه * وأحفظني حؤول طباعه * حتى كدت
أُغلظ له في الكلام * وأسعه بحمة الملام * فتبيّن من لمحات ناظري * ما خامر خاطري *

فقال يا ضعيف اليقين * باهل المقة * عن عما اختطرته بالك * واستمع الى لا ابا لك *
فقلت هات * يا اخا الترهات * فقال اعلم اني بت البارحة حليف افلاس * ونجي
وسواس * فلما قضى الليل نحبه * وغور الصبح شهبه * غدوت وقت الاشراق * الى بعض
الاسواق * متصديا لصيد يسنح * او حر يسمح * فلحظت بها تمرا قد حسن تصفيفه * واحسن اليه
مصيفه * فجمع على التحقيق * صفاء الرحيق * وقنوء العقيق * وقبالته لبأ قد برز كالابريز الاصفر
وانجلى في اللون المزعفر * فهو يثني على طاهيه * بلسان تناهيه * ويصوب رأي
مشتريه * ولو نقد حبة القلب فيه * فاسرتني الشهوة باشطانها * واسامتني العيمة
الى سلطانها * فبقيت احير من ضب * وان هل من صب * لا وجد يوصلني الى نيل
المراد * ولذة الازدراد * ولا قدم تطاوعني على الذهاب * مع حرقة الالتهاب * لكن
حداني القرم وسورته * والسغب وفورته * على ان انتجع كل ارض * واقتنع من
الورد ببرض * فلم ازل سحابة ذلك النهار * ادلي دلوي الى الانهار * وهي لا ترجع
ببلة * ولا تجلب نقع غلة * الى ان صغت الشمس للغروب * وضعفت النفس من اللغوب *
فرحت بكبد حرى * وانثنيت اقدم رجلا واوخر اخرى * وبينما انا اسعى واقعد * واهب
واركد * اذ قابلني شيخ يتاوه آهة الثكلان * وعيناه تهملان * فما شغلني ما انا فيه من
داء الذنب * والخوى المذيب * عن تعاطي مداخلته * والطمع في مخاتلته * فقلت
له يا هذا ان لبكائك لسرا * وراء تحرقك لشرا * فاطلعني على برحائك * واتخذني

من نصحائك * فانك ستجد مني طبّاً آسياً * اوفوناً مواسياً * فقال والله ما تأوهي لعيش فات * ولا من دهر افتات * بل لانقراض العلم ودروسه * وأفول أقماره وشموسه * فقلت واي حادثة نجمت * وقضية استعجمت * حتى هاجت لك الأسى * على فقد من سلف * فأبرز رقعة من كمه * وأقسم بأبيه وأمه * لقد أنزلها بأعلام المدارس * فما امتازوا عن الأعلام الدوارس * واستنطق لها أحبار المحابر * فخرسوا ولا خرس سكان المقابر * فقلت أرنيها * فلعلي أغني فيها * فقال ما أبعدت في المرام * فرب رمية من غير رام * ثم ناولنيها * فإذا المكتوب فيها *

نظم

أيها العالم الفقيه الذي فا * ق ذكاءً فما له من شبيه
أفتنا في قضية حاد عنها * كل قاض وحار كل فقيه
رجل مات عن أخ مسلم حر * تقي من أمه وأبيه
وله زوجة لها أيها الحبر * أخ خالص بلا تمويه
فحوت فرضها وحاز أخوها * ما تبقى بالإرث دون أخيه
فاشفنا بالجواب عما سألنا * فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها * ولمحت سرها * قلت له على الخبير بها سقطت * وعند ابن نجدتها حططت * إلا أنني مضطرم الأحشاء * مضطر إلى العشاء * فأكرم مثواي * ثم استمع فتواي * فقال لقد أنصفت في الاشتراط * وتجافيت عن الاشتطاط * فصره معي *

الى مَرْبعى * لتظفر بما تبتغى * وتنقلب كما ينبغى * قال فصاحبته الى ذراه * كما
حكم الله * فادخلنى بيتاً احرج من التابوت * واوهن من بيت العنكبوت * الا انه جبر
ضيق ربعه * بتوسعة ذرعه * فحكمنى فى القرى * واطائب ما يشترى * فقلت
اريد ازهى راكب على اشهى مركوب * وانفع صاحب مع اضر مصحوب * فافكر
ساعة طويلة * ثم قال لعلك تعنى بنت نخيلة * مع لبأ سخيلة * فقلت اياهما عنيت *
ولاجلهما تعنيت * فنهض نشيطاً * ثم ربض مستشيطاً * وقال اعلم اصلحك الله ان
الصدق نباهة * والكذب عاهة * فلا يحملنك الجوع الذى هو شعار الانبياء * وحلية
الاولياء * على ان تلحق بمن مان * وتتخلق بالخلق الذى يجانب الايمان * فقد
تجوع الحرة * ولا تاكل بثديها * وتابى الدنية * ولو اضطرت اليها * ثم انى لست لك
بزبون * ولا اغضى على صفقة مغبون * وها انا قد انذرتك قبل ان ينهتك الستر *
وينعقد بيننا الوتر * فلا تلغ تدبر الانذار * وحذار من المكاذبة حذار * فقلت له والذى
حرم اكل الربو * واحل اكل اللبأ * ما فهت بزور * ولا دليتك بغرور * وستخبر حقيقة
الامر * وتحمد بذل اللبأ والتمر * فهش هشاشة المصدوق * وانطلق مغذاً الى السوق *
فما كان باسرع من ان اقبل بهما يذلح * ووجهه يكلح * فوضعهما لدى * وضع الممتن
على * وقال اضرب الجيش بالجيش * تحظ بلذة العيش * قال فحسرت عن ساعد
النهم * وحملت حملة الفيل الملتهم * وهو يلحظنى كما يلحظ الحنق * ويود من الغيظ

لو اختنق * حتى اذا اهلقمت النوعين * وغادرتهما اثراً بعد عين * اقررت حيرة و
اظلال البيات * وفكرة في جواب الابيات * فما لبث ان قام * واحضر الدواة والاقلام *
وقال قد ملأت الجراب * فامل الجواب * والا فتهيأ ان نكلت * لاغترام ما اكلت *
فقلت له ما عندي الا التحقيق * فاكتب وبالله التوفيق *

نظم

قل لمن يلغز المسائل اني * كاشف سرها الذي يخفيه
ان ذا الميت الذي قدم الشرع * اخا عرسه على ابن ابيه
رجل زوج ابنه عن رضاه * بجماة له ولا غرو فيه
ثم مات ابنه وقد علقت منه * فجاءت بابن له يحكيه
فهو ابن ابنه بغير مراء * واخو عرسه بلا تمويه
وابن الابن الصريح ادنى الى الجد * واولى بارثه من اخيه
فلذا حين مات اوجب للزوجة * ثمن التراث تستوفيه
وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل * اخوها من امها باقيه
وتخلى الاخ الشقيق من الارث * وقلنا يكفيك ان تبكيه
هاك مني الفتيا التي يحتذيها * كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما اثبت الجواب * واستثبت منه الصواب * قال لي اهلك والليل * فشمر الذيل *
وبادر السيل * فقلت اني بدار غربة * وفي ايوائي افضل قربة * لاسيما وقد اغدف جنح

الظّلام * وسبّح الرّعدُ في الغمام * فقال اغرب عافاكَ اللّهُ الى حيثُ شئتَ * ولا تطمعْ في انْ
تبيتَ * فقلتُ ولِمَ ذاك * مع خُلُوِّ ذراك * قال لانّي انعمتُ النّظرَ في التقامكَ ما حضَر *
حتّى لم تُبقِ ولم تذر * فرأيتكَ لا تنظرُ في مصلحتِك * ولا تراعي حفظَ صحّتِك * ومن امعَن
فيما امعنتَ * وتبطّن كما تبطّنتَ * لم يخلُص من كظّةٍ مُدنفةٍ * او هيضةٍ مُتلفةٍ * فدعْني
باللّهِ كفافًا * واخْرُجْ عنّي ما دُمتَ مُعافًا * فوالّذي يُحيي ويُميت * ما لكَ عندي
مبيت * فلمّا سمِعتُ اليّتَه * وبلوتُ بليّتَه * خرجتُ من بيتِه بالرّغْم * وتزوّدِ الغمّ *
تجودُني السّماءُ * وتخبِطُ بيَ الظّلماءُ * وتنبحُني الكلابُ * وتتقاذفُ بيَ الابوابُ *
حتّى ساقني اليكَ لُطفُ القضاء * فشكرًا لليدِ البيضاء * فقلتُ له احبِبْ بلقائكَ المتاح *
الى قلبيَ المُرتاحِ * ثم اخذ يفتنُّ في حكاياته * ويشمِطُ مُضحِكاتِه بمُبكياتِه * الى انْ عطس
انفُ الصّباح * وهتفَ داعي الفلاح * فتأهّبَ لاجابةِ الدّاعي * ثم عطفَ الى وداعي *
فعقتُه عن الانبعاث * وقلتُ الضيافةُ ثلث * وما حفزكَ احتثاثٌ * وان ترحّلتَ رحلةً
خرقاءَ * نغّصتَ اللّقاءَ * وسؤتَ الاصدقاءَ * فناشدو حرّجَ * ثم امَّ المخرجَ * وانشدَ ان عرّجَ *

نظم

لا تزُرْ من تُحبُّ في كُلِّ شهرٍ * غيرَ يومٍ ولا تزِدْهُ عليهِ
فاجتلاءُ الهلالِ في الشّهرِ يومٌ * ثمّ لا تنظرُ العيونُ اليه

قال الحارثُ بن همّام فودّعتُه بقلبٍ دامي القُرح * ووددتُ لوانّ ليلتي بطيّةِ الصّبح *

المقامة السادسة عشر المغربية

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب * في بعض مساجد المغرب * فلما اديتها بفضلها * وشفعتها بنفلها * اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية * وامتازوا صفوة صافية * وهم يتعاطون كأس المنافثة * ويقتدحون زناد المباحثة * فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفاد * وادب يستزاد * فسعيت اليهم * سعي المتطفل عليهم * وقلت لهم اتقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار * لا جنى الثمار * ويبغي ملح الحوار * لا ملحاء الحوار * فحلّوا الحبا * وقالوا مرحبا مرحبا * فلم اجلس الا لمحة بارق خاطف * او نغبة طائر خائف * حتى غشينا جوّاب على عاتقه جراب * فحيّانا بالكلمتين * وحيّى المسجد بالتسليمتين * ثم قال يا اولي الالباب * والفضل اللباب * اما تعلمون ان انفس القربات * تنفيس الكربات * وامتن اسباب النجاة * مواساة ذوي الحاجات * واني ومن احلّني ساحتكم * واتاح لي استماحتكم * لشريد محلّ قاص * وبريد صبية خماص * فهل في الجماعة * من يفثأ عنا حميّا المجاعة * فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء * ولم يبق الا فضلات العشاء * فان كنت بها قنوعا * فما تجد فينا منوعا * فقال ان اخا الشدائد * ليقنع بلفاظات الموائد * ونفاضات المزاود * فامر كل منهم عبده * ان يزوّده ما عنده * فاعجبه الصنع وشكر عليه * وجلس يرقب ما يحمل اليه * وثبنا نحن الى استثارة ملح الادب وعيونه * واستنباط معينه من عيونه * الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس * كقولك

ما كعب كاس * فتداعينا الى ان نستنتج له الانكار * ونفترع منه الافكار * على ان ينظم البادي ثلث جمانات في عقده * ثم تتدرج الزيادات من بعده * فيربع ذو ميمنته في نظمه * ويسبع صاحب ميسرته على زعمه * قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف * وتألفنا الفة اصحاب الكهف * فابتدر لعظم محنتي * صاحب ميمنتي * وقال لم اخا ملل * وقال مياسنه * كبر رجاء اجر ربك * وقال الذي يليه * من يرب اذا بر ينم * وقال الآخر * سكت كل من نم لك تكس * وافضت النوبة الي * وقد تعين نظم السمط السباعي علي * فلم يزل فكري يصوغ ويكسر * ويثري ويعسر * وفي ضمن ذلك استطعم * فلا اجد من يطعم * الى ان ركد النسيم * وحصحص التسليم * فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام * لشفى الداء العقام * فقالوا لو نزلت هذه باياس * لامسك على ياس * وجعلنا نفيض في استصعابها * واستغلاق بابها * وذلك الزور المعتري * يلحظنا لحظ المزدري * ويؤلف الدرر ونحن لا ندري * فلما عثر على افتضاحنا * ونضوب ضحضاحنا * قال يا قوم ان من العناء العظيم * استيلاد العقيم * والاستشفاء بالسقيم * وفوق كل ذي علم عليم * ثم اقبل علي وقال سانوب منابك * واكفيك ما نابك * فان شئت ان تنثر * ولا تعثر * فقل مخاطبا لمن ذم البخل * واكثر العذل * لذ بكل مؤمل اذا الم وملك بذل * وان احببت ان تنظم * فقل للذي تعظم

نظم

اس ارملا اذا عرا * وارع اذا المرء اسا

أَسْنِدْ أخا نباهةٍ * أَبِنْ إخاءً دَنِسا

أُسْلُ جَنابَ غاشِمٍ * مُشاغِبٍ إنْ جَلَسا

أَسِرْ إذا هَبَّ مِراً * وارْمِ بهِ إذا رَسا

أُسْكُنْ تَقَوَّ فعسى * يُسْعِفُ وَقْتٌ نَكَسا

قال فلمّا سَحَرَنا بأبياتِه * وحَسَرَنا بِبُعْدِ غاياتِه * مَدَحْناهُ حتّى استعفى * ومَنَحْناهُ الى أنِ استكفى * ثم شمَّرَ ثيابَه * وازدَفَرَ جِرابَه * ونَهَضَ يُنْشِدُ *

نظم

لِلّهِ دَرُّ عِصابةٍ * صُدُقِ المَقالِ مَقاوِلا

فاقوا الأنامَ فضائلاً * ما ثورةً وفواضِلا

حاوَرْتُهم فوجدتُ سَحْباناً لدَيْهِم باقِلا

وحَلَلْتُ فيهم سائِلاً * فلقيتُ جَوْداً سائِلا

أَقسَمتُ لو كانَ الكِرامُ حَيًا لكانوا وابِلا

ثُمّ خطا قيدَ رُمْحَين * وعادَ مُستعيذاً من الحَيْن * وقال يا عِزَّ مَن عَدِمَ الآلَ * وكَنْزَ مَن سُلِبَ المالَ * إنَّ الغاسِقَ قد وَقَبَ * ووجْهَ المَحَجَّةِ قد انتقبَ * وبيني وبين كِنّي لَيْلٌ دامِسٌ * وطريقٌ طامِسٌ * فهل من مِصباحٍ يُؤْمِنُني العِثارَ * ويُبيِّنُ لي الآثارَ * قال فلمّا جِيءَ بالمُلْتَمَس * وجلّى الوُجوهَ ضوءُ القَبَس * رأيتُ صاحبَ صَيْدِنا * هو أبو زيدِنا * فقلتُ لأصحابي هذا الذي أشرتُ الى أنّه اذا نطقَ أصاب * وإنِ استُمطِرَ صاب *

فَانْطلقوا نحوه الاعناق * واحدقوا به الاحداق * وسألوه ان يسامرهم ليلته * على ان يجبروا عَيلته * فقال حبًّا لِما احببتم * ورحبا بكم ان رحبتم * غير انّي قصدتكم واطفالي يتضوّرون من الجوع * ويدعون لي بوشك الرجوع * وان استرأتوني خامرهم الطيش * ولم يصفُ لِي العيش * فدعوني لاذهب فامدّ مخمصتهم * واُسيغ غصّتهم * ثم انقلب اليكم على الاثر * متأهّبا لِلسّمر * الى السحر * فقلنا لِاحد الغلمة اتبعه الى فئته * ليكون اسرع لفيئته * فانطلق معه مضطبنا جرابه * ومُحتضنا ايابه * فابطأ بطأ جاوز حدّه * ثم عاد الغلام وحده * فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث * قال اخذ بي في طرقٍ متعبة * وسبلٍ متشعّبة * حتى افضينا الى دويرةٍ خربة * فقال ههنا مناخي * ووكرا فراخي * ثم استفتح بابه * واختلج منّي جرابه * وقال لعمري لقد خففت عنّي * واستوجبت الحسنى منّي * وهاك نصيحة هي من نفائس النصائح * ومغارس المصالح * وانشد *

نظم

اذا ما حويت جنى نخلةٍ * فلا تقربنها الى قابل

واِمّا سقطتَ على بيدرٍ * فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثنّ اذا ما لقطتَ * فتنشب في كفّة الحابل

ولا توغلنّ اذا ما سبحتَ * فانّ السلامة في الساحل

وخاطب بهاتِ وجاوب بسوف * وبع آجلًا منك بالعاجل

ولا تُكثِرَنَّ على صاحِبٍ * فما مَلَّ قطُّ سِوى الواصِلِ

ثم قال أَخِذْنها في تأمُّرِك * واقتدْ بها في أمورك * وبادِرْ الى صحبك * في كلاءة ربك * فاذا بلغتهم فأبلغهم تحيتي * واتلُ عليهم وصيتي * وقُل لهم عني إن السهو في الخرافات * لمن أعظم الآفات * ولستُ ألغي احتراسي * ولا أجلب الهوس الى راسي * قال الراوي فلمّا وقعنا فحوى شعره * على نكره ومكره * تلاومنا على تركه * والاغترار بإفكه * ثم تفرقنا بوجوه باسرةٍ * وصفقةٍ خاسرةٍ *

المقامة السابعة عشر القهقرية

حدث الحارث بن همام قال لحظتُ في بعض مطارح البَيْن * ومطامح العَيْن * فتيةً عليهم سيمى الحجى * وطلاوة نجوم الدجى * وهم في مماراةٍ مشتدةِ الهبوب * ومباراةٍ مشتطةِ الألهوب * فهزَّني لقصدهم هوى المحاضرة * واستحلاء جنى المناظرة * فلما التحقتُ برهطهم * وانتظمتُ في سمطهم * قالوا أأنتَ ممّن يُباري في الهيجاء * ويُلقي دلوه في الدلاء * فقلتُ بل انا من نظّارة الحرب * لا من أبناء الطعن والضرب * فاضربوا عن حجاجي * وافاضوا في التحاجي * وكان في بحبوحة حلقتهم * واكليل رفقتهم * شيخٌ قد برته الهموم * ولوحته السموم * حتى عاد أنحل من قلم * وأقحل من جلم * إلا أنه كان يُبدي العُجاب * اذا أجاب * ويُنسي سحبان * كلما أبان * فاعجبتُ بما أوتي من الإصابة * والتبريز على تلك العصابة * وما زال يُفصح

مِن كُلِّ مُعَمّى * ويُصْمِي في كُلِّ مَرْمى * الى أن خَلَت الجِعاب * ونَفِدَ السُّؤالُ والجَوابُ * فلمّا رأى انفاضَ القَوم * واضطرارَهم الى الصَّوم * عَرّض بالمُطارَحة * واستأذنَ في المُفاتَحة * فقالوا حَبّذا * ومَن لنا بِذا * فقال أتعرِفون رسالةً أرضُها سَماؤُها * وصُبْحُها مَساؤُها * نُسِجَت على مِنوالَين * وتَجَلَّت في لَونَين * وصَلَّت الى جِهَتَين * وبَدَت ذاتَ وَجهَين * إن بَزَغَت من مَشرِقها * فناهيك برَونَقِها * وإن طَلَعَت من مَغرِبها * فيا لَعَجَبِها * قال فكأنَّ القَومَ رُمُوا بالصُّمات * او حَقَّت عليهم كلمةُ الانصات * فما نَبَس منهم إنسانٌ * ولا فاهَ لأحَدِهم لِسانٌ * فحين رآهم بُكْمًا كالأنعام * وصُموتًا كالأصنام * قال لهم قد أجَّلْتُكم أجَلَ العِدَّة * وأرخَيتُ لكم طِوَلَ المُدَّة * ثم هُهُنا مَجمَعُ الشَّمْل * ومَوقِفُ الفَصل * فان سَمَحَت خَواطِرُكم مَدَحْنا * وان صَلَدَت زِنادُكم قَدَحْنا * فقالوا والله واللهِ ما لنا في لُجَّة هذا البَحرِ مَسبَحٌ * ولا في ساحِلِه مَسرَحٌ * فأرِحْ أفكارَنا من الكَدّ * وهَنِّ العَطِيَّةَ بالنَّقد * واتَّخِذْنا إخوانًا يَثِبُون اذا وثَبْتَ * ويَثْبُتون متى استَثبَتَّ * فأطرَقَ ساعةً * ثم قال سَمعًا لكم وطاعةً * فاستَملُوا مِنّي * وانقُلُوا عَنّي * الانسانُ صَنيعةُ الإحسان * ورُبَّ الجَميلِ فِعلُ النَّدب * وشِيمةُ الحُرِّ ذَخيرةُ الحَمْد * وكَسْبُ الشُّكرِ استِثمارُ السَّعادة * وعُنوانُ الكَرَمِ تَباشيرُ البِشر * واستِعمالُ المُداراة يُوجِبُ المُصافاة * وعَقدُ المَحَبَّة يَقتَضي النُّصح * وصِدقُ الحَديثِ حِليةُ اللِّسان * وفَصاحةُ المَنطِق سِحرُ الألباب * وشَرَكُ الهَوى آفةُ النُّفوس * ومَلَلُ الخِلّان *

شَينُ الخلائق * وسُوءُ الطَّمع * يُباينُ الورَع * والتزامُ الحزامة * زِمامُ السلامة * وتطلُّبُ المثالب * شرُّ المعائب * وتتبُّعُ العثرات * يُدحِضُ المودات * وخلوصُ النيَّة * خلاصةُ العطيَّة * وتهنيةُ النوال * ثمنُ السؤال * وتكلُّفُ الكُلَف * يُسهّلُ الخلَف * وتيقُّنُ المعونة * يُسنّي المؤونة * وفضلُ الصدر * سعةُ الصدر * وزينةُ الرعاة * مقتُ السعاة * وجزاءُ المدائح * بثُّ المنائح * ومهرُ الوسائل * تشفيعُ المسائل * ومجلبةُ الغواية * استغراقُ الغاية * وتجاوُزُ الحدّ * يُكِلُّ الحدّ * وتعدّي الأدب * يُحبطُ القرَب * وتناسي الحقوق * يُنشئُ العقوق * وتحاشي الريَب * يرفعُ الرتب * وارتفاعُ الأخطار * باقتحام الأخطار * وتنوُّهُ الأقدار * بمواتاةِ الأقدار * وشرفُ الأعمال * في تقصير الآمال * واطالةُ الفكرة * تنقيحُ الحكمة * ورأسُ الرياسة * تهذُّبُ السياسة * ومع التَّجاجة * تُلغى الحاجة * وعند الأوجال * تتفاضلُ الرجال * بتفاضُلِ الهمم * تتفاوتُ القيم * وبتزيُّدِ السفير * يهنُ التدبير * وبخللِ الأحوال * تتبيَّنُ الأهوال * وبموجبِ الصبر * ثمرةُ النصر * واستحقاقُ الاحماد * بحسبِ الاجتهاد * ووجوبُ الملاحظة * كِفاءُ المحافظة * وصفاءُ الموالي * بتعهُّدِ الموالي * وتحلّي المروّات * بحفظ الأمانات * واختبارُ الإخوان * بتخفيفِ الأحزان * ودفعُ الأعداء * بكفِّ الأوداء * وامتحانُ العقلاء * بمقارنةِ الجهلاء * وتبصُّرُ العواقب * يؤمِّنُ المعاطِب * واتّقاءُ الشنعة * ينشرُ السمعة * وقبحُ الجفاء * ينافي الوفاء * وجوهرُ الأحرار * عند الأسرار * ثم قال هذه مائتا لفظة * تحتوي على أدبٍ وعظة *

فَمَنْ ساقها هذا المساق * فلا مِراءَ ولا شِقاق * ومن رام عكس قالبها * وان يَرُدَّها على
عَقبها * فليقل الاسرار * عند الاحرار * وجَوْهَرُ الوفاء * يُنافي الجفاء * وقُبْحُ السُّمعة * يَنْشُرُ
الشُّنعة * ثم على هذا المسحب فليسحبها * ولا يرهبها * حتى تكونَ خاتمةُ فِقَرِها * وآخرةُ
دُرَرِها * ورَبُّ الإحسان * صنيعةُ الانسان * قال الراوي فلمّا صدع برسالتِهِ الفريدة *
وأُمْلوحتِهِ المُفيدة * عَلِمْنا كيف يتفاضَلُ الإنشاءُ * وانَّ الفضلَ بيدِ الله يُؤتيهِ من يشاءُ *
ثُمَّ اعتلق كُلٌّ مِنّا بذَيْلِهِ * وفَلَذَ له فِلْذَةً من نَيْلِهِ * فأبى قبولَ فِلْذَتي * وقال لستُ أرْزَأُ
تَلامذتي * فقلتُ له كُنْ ابا زيد على شُحوبِ سَحْنَتِك * ونُضوبِ ماءِ وَجْنَتِك * فقال انا هو على
نُحُولي وقُحُولي * وقَشَفِ مُحولي * فأخذتُ في تَثْريبِهِ * على تشريقِهِ وتغريبِهِ * فحَوْقَلَ
واسْتَرْجَعَ * ثم أنْشَدَ من قَلْبٍ مُوجَع *

نظم

سَلَّ الزَّمانُ عليَّ عَضْبَهْ * لِيَرُوعَني وأحَدَّ غَرْبَهْ
وَاسْتَلَّ من جَفْنِي كَرا * هُ مُراغِمًا وأسالَ غَرْبَهْ
وأجالَني في الأُفُقِ أطْـ * ـوِي شَرْقَهُ وأجُوبُ غَرْبَهْ
فَبِكُلِّ جَوٍّ طَلْعَةٌ * في كُلِّ يومٍ لي وغَرْبَهْ
وكذا المُغَرَّبُ شَخْصُهُ * مُتَغَرِّبٌ ونَواهُ غَرْبَهْ

ثُمَّ وَلّى يَجُرُّ عِطْفَيْهِ * ويَخْطِرُ بيدَيْهِ * ونحن بين مُتَلَفِّتٍ اليه * ومُتَهافِتٍ عليه * ثم لم نَلْبَثْ
أنْ حَلَلْنا الحُبا * وتَفَرَّقْنا أيادي سَبا *

المقامة الثامنة عشر السنجارية

حكى الحارث بن همام قال قفلت ذات مرة من الشام * انحو مدينة السلام * في ركب من بني نمير * ورفقة اولي خير ومير * ومعنا ابو زيد السروجي عقلة العجلان * وسلوة الثكلان * واعجوبة الزمان * والمشار اليه بالبنان في البيان * فصادف نزولنا سنجار * ان اولم بها احد التجار * فدعا الى مأدبته الجفلى * من اهل الحضارة والفلى * حتى سرت دعوته الى القافلة * وجمع فيها بين الفريضة والنافلة * فلما اجبنا مناديه * وحللنا ناديه * احضر من اطعمة اليد واليدين * ما حلي في الفم وحلي بالعين * ثم قدم جاما كانما جمد من الهواء * او جمع من الهباء * او صيغ من نور الفضاء * او قشر من الدرة البيضاء * وقد اودع لطائف النعيم * وضمخ بالطيب العميم * وسيق اليه شرب من تسنيم * وسفر عن مرأى وسيم * وارج نسيم * فلما اضطرمت بمحضره الشهوات * وقرمت الى مخبره اللهوات * وشارف ان تشن على سربه الغارات * وينادى عند نهبه يا للثارات * نشز ابو زيد كالمجنون * وتباعد عنه تباعد الضب من النون * فراودناه على ان يعود * ولا يكون كقدار في ثمود * فقال والذي ينشر الاموات من الرجام * لا عدت دون رفع الجام * فلم نجد بدا من تألفه * وابرار حلفه * فاشلناه والعقول معه شائلة * والدموع عليه سائلة * فلما فاء الى مجثمه * وخلص من مأثمه * سألناه لم قام * ولاي معنى استرفع الجام * فقال ان الزجاج نمام *

وانى آليت مذ اعوام * ان لا يضمنى ونموما مقام * فقلنا ماسبب يمينك الصرى * واليتك الحرى * فقال كان لى جار لسانه يتقرب * وقلبه عقرب * ولفظه شهد ينفع * وخباه سم منقع * فملت لمجاورته * الى محاورته * واغتررت بمكاشرته * في معاشرته * واستهوتني خضرة دمنته لمنادمته * واغرتني خدعة سمته بمناسمته * فمازجته وعندى انه جار مكاسر * فبان انه عقاب كاسر * وآنسته على انه حب موانس * فوضح انه حباب موالس * وصالحته ولا اعلم انه عند نقده * ممن يفرح بفقده * وعاقرته ولم ادر انه بعد فره * ممن يطرب لمفره * وكانت عندى جارية * لا يوجد لها فى الكمال مجارية * ان سفرت خجل النيران * وصليت القلوب بالنيران * وان بسمت ازرت بالجمان * وبيع المرجان بالمجان * وان رنت هيجت البلابل * وحققت سحر بابل * وان نطقت عقلت لب العاقل * واستنزلت العصم من المعاقل * وان قرأت شفت المفؤود * واحيت الموءود * وخلتها اوتيت من مزامير آل داود * وان غنت ظل معبد لها عبدا * وقيل سحقا لاسحاق وبعدا * وان زمرت اضحى زنام عندها زنيما * بعد ان كان لجيله زعيما * وبالاطراب زعيما * وان رقصت امالت العمائم عن الرءوس * وانستك رقص الحبب في الكؤوس * فكنت ازدرى معها حمر النعم * واحلى بتمليها جيد النعم * واحجب مرآها عن الشمس والقمر * وازود ذكراها عن شرائع السمر * وانا مع ذلك اليح * من ان تسرى برياها ريح * او يكهن بها سطيح * او ينم عليها برق مليح * فاتفق لوشك الحظ

المَنحوس * ونَكَدِ الطالِعِ المنحوس * أنْ أنطقتني بوصفِها حُميّا المُدام * عند الجارِ النّمّام *
ثمّ ثابَ الفهمُ * بعد أن صَرِدَ السَّهمُ * فأحسستُ الخبالَ والوبالَ * وضَيعةَ ما أُودِعَ ذلك
الغِربالَ * بَيدَ أنّي عاهدتُه * على كَتْمِ ما لفظتُه * وان يحفظَ السِرَّ لوا حفظتُه * فزعم انّه
يَخْزُنُ الأسرارَ * كما يَخْزُنُ اللئيمُ الدِينارَ * وانّه لا يَهتِكُ الأستارَ * ولو عُرِّضَ لان يَلِجَ
النّارَ * فما غَبَرَ على ذلك الزَّمانُ * الا يومٌ او يومانِ * حتى بدا للأميرِ تلك المَدَرَة * ووالِيها
ذي المَقدُرَة * أن يَقصِدَ بابَ قَيلِه * مُجِدًّا عارضَ خَيلِه * ومُستمطِرًا عارِضَ نَيلِه * وارتادَ
ان يَصحَبَه تُحفةً تُلائم هَواه * ليُقدِّمَها بين يدي نَجواه * وجَعَلَ يَبذُلُ الجعائِلَ لرُوّادِه *
ويُسَنّي المراغِبَ لمن يُظفِرُه بمُرادِه * فاستَفَّ ذلك الجارُ الختّارُ الى بَذْوِلِه * وعصى في
ادّراعِ العارِ عَذلَ عَذولِه * فأتى الوالِيَ ناشِرًا أُذُنيه * وانّه ما كنتُ أسرّرتُه اليه * فما راعني
الّا انسيابُ صاغِيَتِه اليَّ * وانثيالُ حَفَدَتِه عليَّ * يَسومُني ايثارَه بالدُّرَّةِ اليتيمة * على ان اتحكّمَ
عليه في القِيمة * فغَشِيَني من الغَمِّ * ما غَشِيَ فرعونَ وجُنودَه من اليَمِّ * ولم أزَلْ أُدافِعُ عنها
ولا يُغني الدِّفاعُ * واستَشفِعُ اليه ولا يُجدي الاستشفاعُ * وكلَّما رأى منّي ازديادَ
الاعتياصِ * وارتيادَ المَناصِ * تجرّمَ وتضرَّمَ * وحَرَّقَ عليَّ الأُرَّمَ * ونفسي مع ذلك
لاتَسمَحُ بمفارقةِ بَدري * ولا بأنْ أنزِعَ قلبي من صَدري * حتى آلَ الوعيدُ ايقاعًا *
والتقريعُ قِراعًا * فقادَني الاشفاقُ من الحَيْنِ * الى أنْ قَضَتُه سوادَ العَينِ * بصُفرةِ
العَينِ * ولم يَحظَ الواشي بغيرِ الإثمِ والشَّينِ * فعاهدتُ اللهَ تعالى مُذْ ذلك العهد *

أنْ لا أُحاضِرَنَّهُما من بَعْدُ * والزُّجاجُ مخصوصٌ بهذه الطِّباعِ الذَّميمة * وبه يُضرَبُ المثَلُ في النَّميمة * فقد جرى عليه سَيْلُ يميني * ولذلكم السَّبَبِ لم تَمتدَّ اليه يميني * نظم

فلا تعذلوني بَعْدَ ما قد شَرَحْتُه * على أنْ حَرِمتُم بي اقتطافَ القطائفِ

فقد بانَ عُذْري في صَنيعي وإنَّني * ما رتَقُ فَتْقي من تَليدي وطارفِ

على أنَّ ما زَوَّدتُكم من فُكاهةٍ * ألَذُّ من الحلْوا لدى كُلِّ عارِفِ

قال الحارثُ بن همّام فقبِلْنا اعتذارَه * وقَبَّلنا عِذارَهُ * وقُلنا له قدَّما وَقَذَتِ النَّميمةُ خيرَ البَشَر * حتّى انتَشَر عن حَمّالةِ الحطَبِ ما انتَشَر * ثمّ سألْناهُ عمّا أحدثَ جارُهُ القَتّات * ودُخْلُلُه المُقْتات * بعدَ أنْ راشَ له نَبْلَ السِّعاية * وجَذَمَ حَبلَ الرِّعاية * فقال أخذَ في الاستخذاء والاستكانة * والاستشفاع اليَّ بذوي المكانة * وكنتُ حرَّجتُ على نفسي * أنْ لا يَسترجعه أُنْسي * أو يرجعَ الى أمْسي * فلم يكُنْ له منّي سوى الرَّدّ * والاصرار على الصَّدِّ * وهو لا يكتئبُ من النَّجْه * ولا ينتَئبُ من وقاحةِ الوَجْه * بل يُلِظُّ بالوسائل * ويُلِحُّ في المسائل * فما أنقذَني من إبرامِه * ولا أبعدَ عليه نَيْلَ مرامِه * الا أُبياتٌ نفَثَ بها الصَّدْرُ المَوْتور * والخاطِرُ المَبْتور * فإنَّها كانتْ مَدْحَرةً لشيطانِه * ومَسْجَنةً له في أوطانِه * وعند انتشارِها بَتَّ طلاقَ الحُبور * ودعا بالوَيْلِ والثُّبور * وأيِسَ من نشْرٍ وصِلَى المقبور * كما يَئِسَ الكفّار من أصحابِ القُبور * فناشَدْناهُ أنْ يُنْشِدَنا إيّاها * ويُنْشِقَنا رَيّاها * فقال أجَلْ * خُلِقَ الانسانُ من عَجَل * ثمّ أنشدَ لا يزْويه خَجَل * ولا يَثْنيه وَجَل *

نظم

ونديم محضته صدق ودّى * ان توهمته صديقا حميما
ثم اوليته قطيعة قال * حين الفيته صديدا حميما
خلته قبل ان يجرب الفا * ذا ذمام فبان جلفا ذميما
وتخبّرته كليما فامسى * منه قلبي بما جناه كليما
وتظنيته معينا رحيما * فتبينته لعينا رجيما
وترأيته مريدا فجلّى * عنه سبكي له مريدا لئيما
وتوسمت ان يهبّ نسيما * فابى ان يهبّ الا سموما
بتّ من لسعه الذى اعجز الرا * قي سليما وبات مني سليما
وغدا امره غداة افترقنا * مستقيما والجسم مني سقيما
لم يكن رائعا خصيبا ولكن * كان بالشر رائعا لي خصيما
قلت لما بلوته ليته كا * ن عديما ولم يكن لي نديما
بغّض الصبح حين نمّ الى قلـ * ـبي لان الصباح يلفى نموما
ودعاني الى هوى الليل اذ كا * ن سواد الدجى رقيبا كتوما
وكفى من يشي ولو فاه بالصد * ق اثاما فيما اتاه ولوما

قال فلما سمع ربّ المنزل قريضه وسجعه * واستملح تقريضه وسبعه * بوّاه مهاد كرامته * وصدّره على تكرمته * ثم استحضر عشر صحاف من العرب * فيها حلواء القند والضرب *

وقال له لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة * ولا يسع ان يجعل البريّ كذي الظنّة * وهذه الآنية تتنزّل منزلة الابرار * في صون الاسرار * فلا تولها الابعاد * ولا تلحق هوّ ابعاد * ثم امر خادمه بنقلها الى مثواه * ليتحكم فيها بما يهواه * فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرؤوا سورة الفتح * وابشروا باندمال القرح * فقد جبر الله تكلكم * وسنّى اكلكم * وجمع في ظلّ الحلواء شملكم * وعسى ان تكرهوا شيئاً وهو خير لكم * ولما همّ بالانصراف * مال الى استهداء الصحاف * فقال للاديب انّ من دلائل الظرف * سماحة المهدي بالظرف * فقال كلاهما والغلام * فاحذف الكلام * وانهض بسلام * فوثب في الجواب * وشكره شكر الروض للسحاب * ثم اقتادنا ابو زيد الى حوائه * وحكّمنا في حلوائه * وجعل يقلّب الاواني بيده * وينفض عددها على عدده * ثم قال لست ادري اشكر لك النمام ام اكفر * واتناسى فعلته ام اذكر * فانه وان كان اساف الجريمة * ونمنم النميمة * فمن غيمه انهلّت هذه الديمة * وبسيفه انحازت لي هذه الغنيمة * وقد خطر ببالي * ان ارجع الى اشبالي * واقنع بما تسنّى لي * ولا اتعب نفسي ولا اجمالي * وانا اودّعكم وداع محافظ * واستودعكم خير حافظ * ثم استوى على راحلته * راجعاً في حافرته * ولاوياً الى زافرته * فغادرنا بعد ان وخدت عنسه * وزايلنا انسه * كدست غاب صدره * او ليل افل بدره *

المقامة التاسعة عشر النصيبية

رَوَى الحارث بن همّام قال امْحَلَ العِراقُ ذاتَ العُوَيم * لاِختلافِ انواءِ الغيم * وتحدّثَ الرُّكبانُ بريفِ نَصِيبِين * وبُلَهْنِيَةِ اهلِها المُخصِبين * فاقتعدتُ مَهْرِيًّا * واعتقلتُ سَمْهَرِيًّا * وسِرتُ تلفِظُني ارضٌ الى ارضٍ * ويجذِبُني رَفْعٌ من خَفْضٍ * حتى بلغتُها نِقضًا على نِقضٍ * فلما انختُ بمغنـاها الخصيب * وضربتُ في مرعاها بنصيب * نويتُ ان اُلقِيَ بها جِراني * واَتّخِذَ اهلَها جيراني * الى ان تحيى السنةُ الجمادُ * ويتعهّدَ ارضَ قومي العِهادُ * فوالله ما تمضمضت مُقلتي بنومِها * ولا تمخّضت لَيلتي عن يومِها * او الفيتُ ابا زيدٍ السَّروجيّ يجُولُ في ارجاءِ نصِيبين * ويخبِطُ بها خَبْطَ المُصابين والمُصِيبين * وهو ينثُرُ من فِيهِ الدُّرَرَ * ويحتلِبُ بكفّيهِ الدِّرَرَ * فوجدتُ بها جِهادي قد حازَ مَغنَمًا * وقِدحي الفذَّ قد صار تَوأَمًا * ولم ازل اَتْبَعُ ظِلَّهُ اَينما انبعث * واَلتقِطُ لفظَهُ كلَّما نفَث * الى انْ عراهُ مرضٌ امتدَّ مَداه * وعرقتهُ مُداه * حتى كاد يسلُبُهُ ثوبَ المحيا * ويُسلِمُهُ الى ابي يحيى * فوجدتُ لفوتِ لُقياه * وانقطاعِ سُقياه * ما يجِدُهُ المُبعَدُ عن مَرامِه * والمُرضَعُ عند فِطامِه * ثم اُرجِفَ بانّ رهنَهُ قد غلِق * ومِخلبَ الحِمامِ به قد علِق * فقلِقَ صحبُهُ لِارجافِ المُرجِفين * وانثالُوا الى عقوتِهِ مُوجِفين *

نظم

حيارى يميدُ بهم شجوُهم * كانّهمُ ارتضعوا الخندرِيسا
اَسالُوا الغُروبَ وعطّوا الجُيوبَ * وصكّوا الخُدودَ وشجّوا الرُّؤُسا

يودُّون لو سا لمَتْهُ المنُونُ * وغالَتْ نفائسَهم والنفوسا

قال الراوى وكنت فيمن التفّ باصحابه * واغذّ الى بابه * فلمّا انتهينا الى فنائه * وتصدّينا لاستنشاء انبائه * برز الينا فتاه * مغترة شفتاه * فاستطلعناه طِلعَ الشيخ في شكاته * وكُنهِ قوى حركاته * فقال قد كان في قبضة المرضة * و عركة الوعكة * الى ان شفّه الدنف * واستشفّه التلف * ثم منّ الله بتقوية دمائه * فافاق من اغمائه * فارجعوا ادراجكم * وانضوا انزعاجكم * فكأنْ قد غدا وراح * وساقاكم الراح * فاعظمنا بشراه * واقترحنا ان نراه * فدخل مؤذنًا بنا * ثم خرج آذنًا لنا * فلقينا منه لقىً * ولسانًا طلقًا * وجلسنا محدقين بسريره * محدّقين الى اساريره * فقلّب طرفه فى الجماعة * ثم قال اجتلوها بنت الساعة * وانشد *

نظم

عافانى الله وشكرًا له * من علّة كادت تُعفّينى
ومنّ بالبرء على انّه * لا بدّ من حتفٍ سيبريني
ما يتمنّا سانى ولكنّه * الى تقضّى الأكل ينسئنى
ان حمّ لم يغن حميمٌ ولا * حمى كليب منه يحميني
وما ابالى آدنا يومه * ام اخّر الحين الى حين
فاىّ فخرٍ في حيوة ارى * فيها البلايا ثمّ تبلينى

قال فدعونا له بامتداد الاجل * وارتداد الوجل * ثم تداعينا الى القيام * لاتقاء الابرام *

فقال كلّا بل ابتهجوا ببياض يومكم عندي * لتشفوا بالمفاكهة وجدي * فإنّ منا جاتكم قوت نفسي * ومغناطيس أنسي * فتحرّينا مرضاته * وتحامينا معاصاته * ثمّ أقبلنا على الحديث نمخض زبده * ونلغي زبده * الى أن حان وقت المقيل * وكلّت الألسن من القال والقيل * وكان يوما حامي الوديقة * يانع الحديقة * فقال إنّ النعاس قد أمال الأعناق * وراود الآماق * وهو خصم الدّ * وخطب لا يردّ * فصلوا حبله بالقيلولة * واقتدوا فيه بالآثار المنقولة * قال الراوي فاتّبعنا ما قال * وقلنا وقال * فضرب الله على الآذان * وأفرغ السنة في الأجفان * حتّى خرجنا من حكم الوجود * وصرفنا بالهجود عن السجود * فما استيقظنا الّا والحرّ قد باخ * واليوم قد شاخ * فتكرّعنا لصلوة العجماوين * وأدّينا ما حلّ من الدين * ثمّ تحفّتنا للارتحال * الى ملقى الرحال * فالتفت ابو زيد الى شبله * وكان على شاكلته وشكله * وقال إنّي لأخال أبا عمرة * قد أضرم في أحشائهم الجمرة * فاستدع أبا جامع * فإنّه بشرى كلّ جائع * وأردفه بأبي نعيم * الصابر على كلّ ضيم * ثمّ عزّز بأبي حبيب * المحبّب الى كلّ لبيب * المقلّب بين احراق وتعذيب * وأهب بأبي ثقيف * فحبّذا هو من أليف * وهلمّ بأبي عون * فما مثله من عون * ولو استحضرت أبا جميل * فجمّل أيّ تجميل * وحيّ هل بأمّ القرى * المذكّرة بكسرى * ولا تتناس أمّ جابر * فكم لها من ذاكر * وناد أمّ الفرج * ثمّ افتك بها ولا حرج * واختم بأبي رزين * فهو مسلاة كلّ حزين * وإن تقرن به أبا العلاء * تمّ

أسمك من البخلاء * وإياك واستدناء المرجفين * قبل استقلال حمول البين * وإذا نزع القوم عن المراس * وصافحوا أبا إياس * فاطف عليهم أبا السرو * فإنه عنوان السرو * قال ففقه ابنه لطائف رموزه * بلطافة تمييزه * فطاف علينا بالطيبات والطيب * الى أن دنت الشمس بالمغيب * فلما أجمعنا على التوريع * قلنا له ألم ترالى هذا اليوم البديع * كيف بدا صبحه قمطريرا * ومسيه مستنيرا * فسجد حتى أطال * ثم رفع رأسه وقال *

نظم

لا تيأسن عند النوب * من فرجة تجلو الكرب
فلكم سموم هب ثم * جرى نسيما فانقلب
وسحاب مكروه تنشا * فاضمحل وما سكب
ودخان خطب خيف منـ * ـه فما استبان له لهب
ولطالما طلع الأسى * وعلى تفيئته غرب
فاصبر إذا ما ناب روع * فالزمان أبو العجب
وترج من روح الإلـ * ـه لطائفا لا تحتسب

قال فاستمليناه أبياته الغر * ووالينا لله تعالى الشكر * وودعناه مسرورين ببره * مغمورين ببره *

تفسير ما تضمنته هذه المقامة من ألفاظ لغوية

وكنى طفيلية وكنايات صوفية قوله

ذاتَ العُوَيم يعني به الزمان المُتقادم * ومِثلُه ذاتُ الزُّمَيْن * والسَّمْهَرِيّةُ الرِّماحُ * في تَسمِيَتِها بذلك قولان * احدهما انها سُمِّيَت به لصَلابَتِها من قولهم اسمَهَرَّ الشيءُ اذا اشتَدَّ * وقيل انها منسوبةٌ الى سَمهَر زوج رُدَينةَ وكانا جميعاً يُقوِّمان الرِّماحَ فنُسِبَت اليهما * وقوله نِقضاً على نِقضٍ اى مَهزولاً على مهزولٍ * وقوله والجِرانُ باطنُ العُنُق وقيل انَّ السِّياطَ تُعمَل منه * وقوله فضَرَبَ اللهُ على الآذانِ اى انامَنا ومنه قوله عزوجلَّ فضَرَبنا على آذانهم في الكَهْف اى انمناهم وقيل في تفسيره مَنَعْناهم السَّمْعَ * وقوله تَكَرَّعْنا لصلوةِ العَجماوَين اى غَسَلنا اَكارِعَنا وهو كِنايةٌ عن الوُضوء والعَجما وانِ صلوةُ الظُّهْر والعَصْر سُمِّيتا بذلك لِاسرار القراءة فيهما ومنه الحديثُ صلوةُ النَّهارِ عَجماءُ * وقوله هَلُمَّ اى قُل له هَلُمَّ وهي بمعنى هاتِ وبمعنى اقبِل * والافصحُ ان يُوحَّدَ لفظُها مع المذكَّر والمونّث والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين لِاخوانهم هَلُمَّ الينا * ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلُمَّ وللاثنين هلُما وللجمع هَلُمّوا وللمونث الواحدة هلُمّي وللاثنتين هَلُمّا وللجمع هلْمُمْن * وقولُه حَيَّ هَلَ اى عَجِّلْ يقال حَيَّ هَلْ بفلان بتسكين اللّام وفتحها وتنوينِها وباثبات النون معها ومنه قولُ ابنِ مسعودٍ في عُمَر رَضِيَ اللّهُ عنهما اذا ذُكِر الصّالحون فحَيَّ هَلاً بعُمَر وفي حَيَّ هَلَ لُغاتٌ اُخَرُ اضرَبنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضِعَ استيفاءِ شَرحِها فهذا تفسيرُ الفاظِ اللغويّة واما تفسيرُ الكُنى الطُّفَيليّة والكنايات الصوفيّة فابو يحيى كنيةُ ملَكِ الموت * وابو عَمْرةَ كنيةُ الجُوْع ويُكنى ايضاً اباما لكٍ * وابو جامع

الخوانُ * وابو نعيم الخبزُ الحُوّارَى * وابو حبيبٍ الجدى * وابو نقيفٍ الخلّ * و ابوعَوْنٍ الملح * وابوجميلٍ البقلُ * وامّ القِرى السكباج * وامّ جابرٍ الهريسةُ * وامّ الفرج الجُوذابةُ * وابو رزينٍ الخبيص * وابو العلاءِ الفالوذج * وابو ياسٍ الغسول والمُرجفان الطَّسْتُ والابريقُ * وابو السّرو البخورُ *

المقامة العشرون الميافارقينية

حكى الحارثُ بن همام قال يمّمتُ ميّافارقين * مع رُفقةٍ مُوافقين * لا يمارُون فى المناجاة * ولا يدرُون ما طعمُ المداجاة * فكنتُ بهم كمَن لم يرِمْ عن وِجاره * ولا ظعن عن الِفهِ وجارِه * فلمّا انخنا بها مطايا التّسيار * وانتقلنا عن الاكوار الى الاوكار * تواصينا بتذكار الصُّحبة وتناهينا عن التقاطع فى الغُربة * واتّخذنا ناديًا نعتمره طرفى النّهار * ونتهادى فيه طُرف الاخبار * فبينا نحنُ فيه فى بعض الايّام * وقد انتظمنا فى سلكِ التيام * وقف علينا ذو مِقْولٍ جرِيٍّ * وجرسٍ جُهُورِيٍّ * فحيّى تحيّةَ نفّاثٍ فى العُقد * قنّاصٍ للاسد والنقد * ثم قال *

نظم

عندى يا قومِ حديثٌ عجيبْ * فيه اعتبارٌ لِلّبيبِ الاريبْ

رأيتُ فى ريعانِ عُمرى اخا * بأسٍ له حدُّ الحُسامِ القضيبْ

يُقدِمُ فى المعركِ اقدامَ مَن * يُوقِنُ بالفتكِ ولا يستريبْ

فيفرِجُ الضيقَ بكرّاتِهِ * حتى يُرى ما كان ضنكًا رحيبْ

ما بارز الاقران الا انثنى * عن موقف الطعن برمح خضيب
ولا سما يفتح مستصعبا * مستغلق الباب منيعا مهيب
الا ونودي حين يسمو له * نصر من الله وفتح قريب
هذا وكم من ليلة باتها * يميس في برد الشباب القشيب
يرتشف الغيد ويرشفنه * وهو لدى الكل المفدى الحبيب
فلم يزل ينتره دهره * ما فيه من بطش وعود صليب
حتى اصارته الليالي لقى * يعافه من كان منه قريب
قد اعجز الراقي تحليل ما * به من الداء واعيى الطبيب
وصار مرمى البيض وصار منه * من بعد ما كان المجاب المجيب
وآض كالمنكوس في خلقه * ومن يعش يلق دواهي المشيب
وها هو اليوم مسجى فمن * يرغب في تكفين ميت غريب

ثم اعلن بالنحيب * وبكى بكاء المحب على الحبيب * ولما رقأت دمعته * وانطفأت لوعته * قال يا نجعة الرواد * وقدوة الاجواد * والله ما نعت ببهتان * ولا اخبرتكم الا عن عيان * ولو كان في عصاي مسير * ولغيمي مطير * لاستأثرت بما دعوتكم اليه * ولما وقفت موقف الدال عليه * ولكن كيف الطيران بلا جناح * وهل على من لا يجد من جناح * قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون * ويتحافتون فيما يأتون * فقدرهم

أنهم على صرفه بحرمان * أو مطالبته ببرهان * فَفَرَط منه أن قال يا لامع القاع ويرامع البقاع *
ما هذا الارتياء * الذي يأباه الحياء * حتى كأنكم كُلِّفتم مشقة لا شُقّة * او استوهبتم بلدة لا بردة *
او هززتم لكسوة البيت * لا لتكفين الميت * أُفٍّ لمن لا تندى صفاته * ولا ترشح حصاته *
فلما أبصرت الجماعة بذلاقته * ومرارة مذاقته * رفأه كلٌّ بنيله * واحتمل طله خوف
سيله * قال الحارث بن همّام وكان هذا السائل واقفا خلفي * ومحتجبا بظهري عن طرفي *
فلما أرضاه القوم بسيبهم * وحقّ عليّ التأسّي بهم * خلعت خاتمي من خنصري *
ولفتُّ اليه بصري * فاذا هو شيخنا السروجيّ بلا فرية * ولا مرية * فأيقنت أنها أكذوبة
تكنّ بها * وأحبولة نصبها * الا أنني طويته على غرّه * وصنت شغاه عن فرّه * فحصبته
بالخاتم * وقلت أرصده لنفقة المأتم * فقال واهاً لك * فما أضرم شعلتك * وأكرم
فعلتك * ثم انطلق يسعى قدما * ويهرول هرولته قِدما * فنزعت الى عرفان ميته * وامتحان
دعوى حميته * فقرعت ظنبوبي * وألهبت ألهوبي * حتى أدركته على غلوة * واجتليته
في خلوة * فأخذت بجمع أردانه * وعقته عن سنن ميدانه * وقلت والله ما لك منّي
ملجأ ولا منجا * أو تريني ميتك المسجّى * فكشف عن سراويله * وأشار الى غرموله *
فقلت له قاتلك الله فما ألعبك بالنهى * وأحيلك على اللهى * ثم عدت الى أصحابي
عود الرائد الذي لا يكذب أهله * ولا يبرقش قوله * وأخبرتهم بالذي رأيت * وما ورّيت
ولا رأيت * فقهقهوا من كيت وكيت * ولعنوا ذلك الميت *

المقامة الحادية والعشرون الرازية

حكى الحارث بن همام * قال عُنيتُ مُذ اَحكمتُ تدبيري * وعرفتُ قبيلي من دبيري * بأن اُصغي الى العظات * واُلغي الكلم المحفظات * لِاَتحلّى بمحاسن الاخلاق * واَتخلّى مما يسم بالاِخلاق * وما زلتُ آخذ بهذا الادب * واُخمِد به جمرة الغضب * حتى صار التطبّع فيه طباعا * والتكلّف له هوىً مطاعا * فلما خللتُ بالرّيّ * وقد خللتُ حبا الغيّ * وعرفتُ الحيّ من اللّيّ * رأيتُ بها ذات بُكرة * زُمرة اِثر زُمرة * وهم مُنتشرون انتشار الجراد * ومُستنّون استنان الجياد * ومتواصفون واعظا يقصدونه * ويُحِلّون ابن شمعون دونه * فلم يتكاءدني لاستماع المواعظ * واختيار الواعظ * ان اُقاسي اللاغط * واحتمل الضاغط * فاصحبتُ اصحاب المطواعة * وانخرطتُ في سلك الجماعة * حتى افضينا الى نادٍ جمع الاميرَ والمامور * وحشد النبيه والمغمور * وفي وسطها لته * ووسط اهلته * شيخٌ قد تقوّس واقعنسس * وتقلنس وتطلّس * وهو يصدع بوعظٍ يشفي الصدور * ويُلين الصخور * فسمعته يقول * وقد افتتنت به العقول * ابن آدم ما اَغراك بما يغرّك * واَضراك بما يضرّك * واَلهجك بما يُطغيك * واَبهجك بمن يُطريك * تعنّى بما يُعنّيك * وتُهمل ما يغنيك * وتنزع في قوس تعدّيك * وترتدي الحرص الذي يُرديك * لا بالكفاف تقتنع * ولا من الحرام تمتنع * ولا للعظات تستمع * ولا بالوعيد ترتدع * دأبك ان تتقلّب مع الاهواء * وتخبط خبط العشواء * وهمّك ان تدأب في الاحترات *

وتجمع التراث للوراث * يعجبك التكاثر بما لديك * ولا تذكر ما بين يديك * وتسعى ابداً الى غاربك * ولا تبالي الك ام عليك * اتظن ان ستترك سدى * وان لا تحاسب غدا * ام تحسب ان الموت يقبل الرشا * او يميز بين الاسد والرشا * كلا والله لن يدفع المنون * مال ولا بنون * ولا ينفع اهل القبور * سوى العمل المبرور * فطوبى لمن سمع ووعى * وحقق ما ادعى * ونهى النفس عن الهوى * وعلم ان الفائز من ارعوى * وان ليس للانسان الا ما سعى * وان سعيه سوف يرى * ثم انشد انشاد وجل * بصوت زجل *

نظم

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى * اذا سكن المثرى الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضياً * بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه * بمخلبه الاشغى يغول ونابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره * فكم خامل اخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه * اخو ضلة الا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الاله وخوفه * لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يضاهي الوبل حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان قصارى مسكن الحي حفرة * سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله * وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فظلّ القومُ بين عَبْرةٍ يُذْرُونَها * وتَوْبةٍ يُظهِرونها * حتّى كادتِ الشمسُ تَزولُ * والفريضةُ تحولُ * فلمّا خشعتِ الاصْواتُ * والتأمَ الإنْصاتُ * واستكنّتِ العَبَراتُ * والعباراتُ * استصرخ مُستصرِخٌ بالاميرِ الحاضِر * وجعل يَجأرُ اليه من عاملةِ الجائِر * والاميرُ صاغٍ الى خَصْمِه * لاهٍ عن كَشْفِ ظُلْمِه * فلمّا ايِسَ من رَوْحِه * استنهض الواعظ لنُصْحِه * فنَهض نَهضةَ الشمّيرِ * وانشد مُعرِّضًا بالاميرِ *

نظم

عَجَبًا لِراجٍ ان ينالَ وِلايةً * حتّى اذا ما نالَ بُغيتَه بَغى
يُسْدِي ويُلْحِمُ في المظالمِ والغا * في وِرْدِها طَوْرًا وطورًا مُولِغا
ما ان يُبالي حين يتّبعُ الهوى * فيها أأَصْلَحَ دِينَه ام اوْتَغا
يا وَيْحَه لو كانَ يوقِنُ انّه * ما حالَهُ الّا تحولُ لما طَغى
اوَلو تبيَّنَ ما ندامَةُ مَن صَغا * سَمْعًا الى افكِ الوُشاةِ لما صَغا
فانقَدْ لمن اضحى الزِّمامُ بكفِّه * وتغاضَ إنْ ألغى الرِّعايةَ اوْ لَغا
وارْعَ المرارَ اذا دَعاك لرَعْيِه * ورِدِ الأُجاجَ اذا حماك السّيِّغا
واحمِلْ اذاهُ ولو امضّك مَسُّه * واسالَ غَرْبَ الدمعِ منك وافرَغا
فليُضحِكنّك الدهرُ منه اذا نَبا * عنه وشبَّ لكيْدِه نارَ الوَغى
ولَيُنزِلَنّ به الشماتَ اذا بَدا * مُتخلِّيًا من شُغلِه مُتفرِّغا
ولَتا وِيَنّ له اذا ما خَدُّه * اضحى على تُرْبِ الهوانِ مُمرَّغا

هذا الله ولسوف يوقف موقفا * فيه يرى رب الفصاحة الثغا

وليحشرن اذل من فقع الفلا * ويحاسبن على النقيصة والشغا

ويؤاخذن بما اجتنى وبما اجتبى * ويطالبن بما احتسى وبما ارتغى

ويناقشن على الدقائق مثل ما * قد كان يفعل بالورى بل ابلغا

حتى يعض على الولاية كفه * ويود لو لم يبغ منها ما بغى

ثم قال ايها المتوشح بالولاية * المترشح للرعاية * دع الادلال بدولتك * والاغترار بصولتك * فان الدولة ريح قلب * والقدرة برق خلب * وان اسعد الرعاة من سعدت به رعيته * واشقاهم في الدارين من ساءت رعايته * فلا تك ممن يذر الآخرة ويلغيها * ويحب العاجلة ويبتغيها * ويظلم الرعية ويؤذيها * واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها * فوالله مايغفل الديان * ولا تهمل بانسان * ولا يلغى الاساءة والاحسان * بل سيوضع لك الميزان * وكما تدين تدان * قال فوجم الوالي لما سمع * وامتقع لونه وانتقع * وجعل يتأفف من الامرة * ويردف الزفرة بالزفرة * ثم عمد الى الشاكي فاشكاه * والى المشكو فاشجاه * والطف الواعظ وحباه * وعزم عليه ان يغشاه * فانقلب عنه المظلوم منصورا * والظالم محصورا * وبرز الواعظ يتهادى بين رفقته * ويتباهى بفوز صفقته * واتبعته اخطو متقاصرا * واريه لمحا باصرا * فلما استشف ما اخفيه * وفطن لتقلب وجهي فيه * قال خير دليليك من ارشد * ثم اقترب مني وانشد *

نظم

أَنا الَّذِي تَعْرِفُهُ يا حارِثُ * حِدْثُ مُلُوكٍ فَكِهٌ مُنافِثُ
أُطْرِبُ ما لا تُطْرِبُ المَثالِثُ * طَوْراً أَخُو جِدٍّ وطَوْراً عابِثُ
ما غَيَّرَتْنِي بَعْدَكَ الحَوادِثُ * ولا الْتَحَى عُودِي خَطْبٌ كارِثُ
ولا فَرَى نابِي حَدٌّ فارِثُ * بل مِخْلَبِي بِكُلِّ صَيْدٍ ضابِثُ
وكُلُّ سَرْحٍ فِيهِ ذِئْبِي عائِثُ * حَتَّى كَأَنِّي لِلأَنامِ وارِثُ
* سامُهُم وحامُهُم ويافِثُ *

قال الحارث بن همام * فقلتُ تاللهِ إنَّكَ لأبو زيدٍ * ولقد قُمْتَ للهِ ولا عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ * فَتَهَلَّلَ تهلُّلَ الكريمِ اذا أُمَّ * وقال اسمعْ يا ابنَ أُمَّ *

نظم

عليكَ بالصِّدْقِ ولو أَنَّهُ * أَحْرَقَكَ الصدقُ بنارِ الوعيد
وابْغِ رِضا اللهِ فأَغْبَى الوَرَى * مَن أَسْخَطَ المولى وأَرْضَى العَبِيدْ

ثُمَّ إِنَّهُ وَدَّعَ أَخْدانَهُ * وانطلَقَ يَسْحَبُ أَرْدانَهُ * فطَلَبْناهُ مِن بَعْدُ بالرَّيِّ * واستَنْشَرْنا خَبَرَهُ من مَدارِجِ الطَّيِّ * فما فِينا من عَرَفَ قَرارَهُ * ولا دَرَى أَيَّ الجَرادِ عارَهُ *

المقامة الثانية والعشرون الفراتية

حكى الحارثُ بن همّام قال أَوَيْتُ في بَعْضِ الفَتَرات * الى سَقْيِ الفُرات * فلَقِيتُ بها كُتّاباً أَبْرَعَ من بَنِي الفُرات * وأَعْذَبَ أَخْلاقاً من الماءِ الفُرات * فأَطَفْتُ بهم لِتَهَذُّبِهِم * لا لِذَهَبِهِم * وكاثَرْتُهُم لِأَدَبِهِم * لا لِمَآدِبِهِم * فجالَسْتُ منهم أَضْرابَ القَعْقاعِ بْنِ شَوْر *

وَوَصَلتُ بهم الى الكَوْرِ بعدَ الحَوْر * حتّى انّهم اشركُوني في المَرْتَع والمَرْبَع * وَاَحَلّوني مَحَلّ الانملة من الاِصْبَع * واتّخذُوني ابنَ اُنسِهم عهدَ الولاية والعَزل * وخازِنَ سِرّهم في الجِدّ والهَزل * فاتّفقَ ان نُدِبُوا في بعضِ الاَوقات * لاِستقراءِ مَزارعِ الرَّزداقات * فاختارُوا من الجَوارِي المُنشِيات * جاريةً حالكةَ الشِّيات * تَحْسَبُهــا جامدةً وهي تمُرُّ مَرَّ السَّحاب * وتَنساب في الحَبابِ كالحُبابِ * ثم دَعَوني الى الموافقة * واستدعَوني للمُرافقة * فلمّا توَرّكنا على المَطِيّة الدَّهْماء * وتَبَطّنّا الوالِيةَ الماشِيةَ على الماء * اَلفَينا بها شيخاً عليه سَحَقُ سِربالٍ * وسِبُّ بالٍ * فعافَتِ الجماعةُ مَحضَره * وعنّفَت من اَحضَره * وَهَمّت باِبرازِه من السَّفِينة * لولا ماثابَ اليها من السَّكِينة * فلما لَحِ مِنّا استثقالَ ظِلّهِ * واستبرادَ طَلّه * تعرّض للمُنافثةِ فصُمِّت * وحَذِلَ بعدَ اَنْ عطَس فما شُمِّت * فاَخْرَدَ يَنظُر فيما آلت حالُه اليه * وينتظِرُ نُصرةَ المَبْغِيّ عليه * وجُلنا نحنُ في شُجونٍ * من جِدٍّ ومُجونٍ * الى اَنِ اعترضَ ذِكرُ الكِتابتَين وفضلِهما * وتبيانِ اَفضلِهما * فقال قائلٌ اِنّ كَتَبةَ الاِنشاءِ اَنبلُ الكُتّاب * ومالَ مائلٌ الى تفضيلِ الحُسّاب * واحتَدّ الحِجاجُ * وامتدّ اللّجاجُ * واشتَدّ الضِّجاجُ * حتّى اذا لم يَبْقَ للجِدالِ مَطرَحٌ * ولا للمِراءِ مَسْرَحٌ * قال الشيخُ لقد اَكثرتم يا قومِ اللَّغَطَ * واثرتُم الصَّوابَ والغَلَطَ * واِنّ جَلِيّةَ الحُكمِ عندي * فارتضُوا بنَقدي * ولا تستفتُوا احداً بَعدِي * اِعلَموا انّ صِناعةَ الانشاءِ اَرفَع * وصِناعةَ الحِساب اَنفَع * وقَلَمُ المكاتبة خاطِبٌ * وقَلمُ المحاسبة حاطِبٌ * واَساطِيرُ البلاغاتِ تُنسَخُ

لتُدرس * ودساتيرُ الحسبانات تُنسخ وتُدرس * والمُنشي جُهينةُ الاخبار * وحقيبةُ الاسرار * ونجيّ العظماء * وكبيرُ الندماء * وقلمه لسانُ الدولة * وفارسُ الجولة * ولقمانُ الحكمة * وترجمانُ الهمّة * وهو البشيرُ والنذيرُ * والشفيع والسفيرُ * به تُستخلص الصياصي * وتملك النواصي * ويُقتادُ العاصي * ويُستدنى القاصي * صاحبه بريءٌ من التبعات * آمنٌ كيدَ السُّعاة * مُفرَّظ بين الجماعات * غيرُ مُعرَّض لنظم الجماعات * فلمّا انتهى في الفصل * الى هذا الفصل * لحظ من لمحاتِ القوم انه ازدرع حُبًّا وبغضًا * وارضى بعضًا واحفظ بعضًا * فعقّب كلامه بان قال الّا انّ صناعة الحساب موضوعةٌ على التحقيق * وصناعة الانشاء مبنيّةٌ على التلفيق * وقلمُ الحاسبِ ضابطٌ * وقلمُ المُنشيء خابطٌ * وبين اتاوة توظيفِ المعاملات * وتلاوة طَوامير السجلّات * بونٌ لا يُدركه قياسٌ * ولا يعتوره التباسٌ * اذ الاتاوةُ تملأُ الاكياسَ * والتلاوةُ تُفرّغُ الراسَ * وخراجُ الاوارج يُغني الناظرَ * واستخراجُ المدارج يُعني الناظرَ * ثم انّ الحسبةَ حفظةُ الاموال * وحملةُ الاثقال * والنقلةُ الاثباتُ * والسفرةُ الثقاتُ * واعلامُ الانصاف والانتصاف * والشهودُ المقانعُ في الاخلاف * عند اشتجارِ الرجال * واشتغارِ الجدال * ومنهم المستوفي الذي هو يدُ السلطان * وقطبُ الديوان * وقسطاسُ الاعمال * والمهيمنُ على العمّال * واليه المآبُ في السلم والهرج * وعليه المدارُ في الدخل والخرج * وبه مناطُ الضرّ والنفع * وفي يده رِباطُ الاعطاءِ والمنع * ولولا قلمُ الحُسّاب * لأودت ثمرةُ الاكتساب * ولاتّصل التغابُن

الى يوم الحساب * ولكان نظام المعاملات محلولا * وجرح الظلامات مطلولا * وجيد التناصف مغلولا * وسيف التظالم مسلولا * على أن يراع الانشاء متقول * ويراع الحساب متأول * والمحاسب مناقش * والمنشىء ابو براقش * ولكليهما حمة حين يرقى * الى أن يلقى ويرقى * واعنات فيما ينشى * حتى يغشى ويرشى * الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم * قال الحارث بن همام فلما امتع الاسماع * بما راق وراع * استنسبناه فاستراب * وأبى الانتساب * ولو وجد منسابا لانساب * فحصلت من لبسه على غمة * حتى ادكرت بعد أمة * فقلت والذى سخر الفلك الدوار * والفلك السيار * انى لأجد ريح ابى زيد * وان كنت اعهده ذا أرواء وأيد * فتبسم ضاحكا من قولي * وقال انا هو على استحالة حالي وحولي * فقلت لأصحابي هذا الذى لا يفرى فريه * ولا يبارى عبقريه * فخطبوا منه الود * وبذلوا له الوجد * فرغب عن الالفة * ولم يرغب فى التحفة * وقال اما بعد ان سحقتم حقي * لأجل سحقي * وكسفتم بالي * لاخلاق سربالي * فما اراكم الا بالعين السخينة * ولا لكم مني الا صحبة السفينة * ثم انشد *

نظم

اسمع أخى وصية من ناصح * ما شاب محض النصح منه بغشه
لا تعجلن بقضية مبتوتة * في مدح من لم تبله او خدشه
وقف القضية فيه حتى تجتلى * وصفيه في حالى رضاه وبطشه

ويبين خُلَّبُ برقه من صدقه * للشائمين ووبله من طشه
فهناك إن ترما يشين فواره * كرما وإن ترما يزين فافشه
ومن استحق الارتقاء فرقه * ومن استحط فحطه في حشه
واعلم بأن التبر في عرق الثرى * خاف إلى أن يستثار ببحثه
وفضيلة الدينار يظهر سرها * من حكه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تعظم جاهلا * لصقال ملبسه ورونق رقشه
أو أن تهين مهذبا في نفسه * لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم أخي طمرين هيب لفضله * ومفوف البردين عيب لفحشه
وإذا الفتى لم يغش عارا لم تكن * أسماله إلا مراقي عرشه
ما إن يضر العضب كون قرابه * خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عتم أن استوقف الملاح * وصعد من السفينة وساح * فندم كل منا على ما فرط في ذاته * وأغضى جفنه على قذاته * وتعاهدنا على أن لا نحتقر شخصا لرثاثة برده * وأن لا نزدري سيفا مخبوا في غمده *

المقامة الثالثة والعشرون البغدادية

حكى الحارث بن همام قال نبا بي مألف الوطن * في شرخ الزمن * لخطب خشي * وخوف غشي * فأرقت كأس الكرى * ونصصت ركاب السرى * وجبت في سيري

وعورًا لم تدمِّثها الخُطا * ولا اهتدت اليه القطا * حتى وردتُ حِمى الخلافة * والحرم العاصم من المخافة * فسروتُ إهابَ الروع واستشعارَه * وتسربلت لباس الأمن وشعارَه * وقصرتُ همّي على لذةٍ أجتنيها * ومُلحةٍ أجتليها * فبرزتُ يومًا الى الحريم * لأروض طرفي * وأُجيل في طُرَفه طرفي * فاذا فرسانٌ متتالون * ورجالٌ منثالون * وشيخٌ طويلُ اللسان * قصيرُ الطيلسان * قد لبّب فتى جديدَ الشباب * خلقَ الجلباب * فركضتُ إثر النظّارة * حتى وافينا باب الامارة * وهناك صاحبُ المعونة متربعًا في دَسته * ومروِّعًا بسمته * فقال له الشيخ أعزّ الله الوالي * وجعل كعبه العالي * إني كفلتُ هذا الغلام فطيمًا * وربّيته يتيمًا * ثم لم آلُه تعليمًا * فلما مهر وبهر * جرّد سيف العدوان وشهر * ولم أخله يلتوي عليّ ويتفح * حين يرتوي منّي ويلتقح * فقال له الغلام علامَ عثرت منّي * حتى تنشر هذا الخزي عنّي * فوالله ما سترتُ وجهَ برّك * ولا هتكت حجاب سرّك * ولا شققتُ عصا أمرك * ولا ألغيتُ تلاوة شكرك * فقال له الشيخ ويلك * وأيّ ريبٍ أخزى من ريبك * وهل عيبٌ أفحش من عيبك * وقد ادّعيت سحري واستلحقته * وانتحلت شعري واسترقته * واستراقُ الشعر عند الشعراء * أفظع من سرقة البيضاء والصفراء * وغيرتُهم على بنات الأفكار * كغيرتهم على البنات الأبكار * فقال الوالي للشيخ وهل حين سرق سلخ * ام مسخ ام نسخ * فقال والذي جعل الشعر ديوان العرب * وترجمان الأدب * ما أحدث سوى أن بتر شمل شرحه * واغار على ثلثي

سرحة * فقال أنشد أبياتك برمّتها * ليتضح ما اختاره من جملتها * فأنشد *

نظم

يا خاطبَ الدنيا الدنيّةِ إنها * شَرَكُ الردى وقرارةُ الأكدارِ
دارٌ متى ما أضحكتْ في يومها * أبكتْ غداً بُعداً لها من دارِ
وإذا أظلَّ سحابُها لم ينتقع * منه صدىً لجهامه الغرّارِ
غاراتُها ما تنقضي وأسيرُها * لا يُفتدى بجلائلِ الأخطارِ
كم مُزدهىً بغرورها حتّى بدا * مُتمرّداً مُتجاوزاً المقدارِ
قلبتْ له ظهرَ المِجنِّ وأولغتْ * فيه المُدى ونزتْ لأخذِ الثارِ
فاربأ بعمرك أن يمرّ مضيَّعاً * فيها سُدىً من غيرِ ما استظهارِ
واقطعْ علائقَ حبّها وطِلابها * تلقَ الهدى ورفاهةَ الأسرارِ
وارقبْ إذا ما سالمتْ من كيدها * حربَ العدى وتوثّبَ الغدّارِ
واعلمْ بأنّ خطوبَها تفجا ولو * طالَ المدى ووَنَتْ سُرى الأقدارِ

فقال له الوالي ثم ماذا صنع هذا * قال أقدم للؤمه في الجزاء * على أبياتي السداسيّة الأجزاء * فحذف منها جزئين * ونقص من أوزانها وزنين * حتّى صار الرزء فيها رزئين * فقال بيّن ما أخذ * ومن أين فلذ * فقال أرعني سمعك * وأخلِ للتفهّم ذرعك * حتّى تتبيّن كيف أضات عليّ * وتقدر قدر اجترامه إليّ * ثمّ أنشد وأنفاسه تتصعّد *

نظم

يا خاطِبَ الدُّنْيا الدَّنِيَّةِ * اِنَّها شَرَكُ الرَّدا

دارٌ متى ما اَضحكتْ * في يومها اَبكتْ غدا

واذا اظلّ سحابُها * لم يَنْتَقِعْ منه صَدا

غاراتُها ما تنقضي * واَسيرُها لا يُفتدَى

كَمْ مُزْدَهًى بغرورِها * حتّى بَدا مُتَمرِّدا

قلبتْ لهُ ظهرَ المِجَنِّ * واولغتْ فيه المُدى

فارْبأْ بعمرِك اَن يَمُرَّ * مُضيَّعاً فيها سُدا

واقطعْ علائقَ حُبِّها * وطِلابِها تَلْقَ الهُدى

وارْقُبْ اذا ما سالمتْ * من كَيْدِها حَرْبَ العِدا

واعلَمْ بانّ خطوبَها * تَفْجأُ ولو طالَ المَدا

فالتفتَ الوالي الى الغلامِ * وقال تبًّا لك من خِرِّيجٍ مارِقٍ * وتلميذٍ سارِقٍ * فقال الفتى بَرِئتُ من الادبِ وبَنيهِ * ولحِقتُ بمن يُناويهِ * ويُقوِّضُ مبانيهِ * اِن كانت اَبياتُهُ نمتْ الى عِلْمي * قبلَ اَن اَلَّفتُ نظمي * وانّما اتّفقَ تواردُ الخواطِرِ * كما قد يقعُ الحافِرُ على الحافرِ * قال فكأنّ الواليَ جوّزَ صِدْقَ زَعْمِهِ * فندِمَ على بادرةِ ذَمِّهِ * وظلّ يُفكّرُ فيما يكشِفُ له من الحقائقِ * ويُميِّزُ به الفائقَ من المائقِ * فلم يَرَ الّا اخذَهما بالمُناضَلةِ * ولَزَّهما في قَرَنِ المُساجَلةِ * فقال لهما اِنْ اَردتُّما افتضاحَ العاطِلِ * واتِّضاحَ الحقِّ من الباطِلِ *

فترا سلا في النظم وتباريا * وتجاولا في حلبة الاجازة وتجاريا * ليهلك من هلك عن بينة * ويحيى من حي عن بينة * فقالا له بلسان واحد * وجواب متوارد * قد رضينا بسبرك * فمرنا بامرك * فقال اني مولع من انواع البلاغة بالتجنيس * وأراه لها كالرئيس * فانظما الآن عشرة ابيات تلحمانها بوشيه * وترصعانها بحليه * وضمناها شرح حالي * مع الف لي بديع الصفة * المى الشفة * مليح التثني * كثير التيه والتجني * مغرى بتناسي العهد * واطالة الصد * واخلاف الوعد * وانا له كالعبد * قال فبرز الشيخ مجليا * وتلاه الفتى مصليا * وتجاريا بيتا فبيتا على هذا النسق * الى ان كمل نظم الابيات واتسق * وهي *

نظم

وأحوى حوى رقي برقة لفظه * وغادرني الف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني * لفي اسره مذ حاز قلبي باسره
أصدق منه الزور خوف ازوراره * وارضى استماع الهجر خشية هجره
واستعذب التعذيب منه وكلما * اجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة * واحفظ قلبي وهو حافظ سره
واعجب ما فيه التباهي بعجبه * واكبره عن ان افوه بكبره
له مني المدح الذي طاب نشره * ولي منه طي الود من بعد نشره
ولو كان عدلا ما تجنى وقد جنى * على وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تَثْلِيثُهُ ثَنيتُ أَعِنَّتي * بِدارًا الى مَن أَجْتَلي نورَ بَدْرِهِ

وإِنّي على تصريفِ أَمْرِي وأَمْرِهِ * أرى المُرَّ حُلْوًا في انقيادي لأَمْرِهِ

فلمّا أَنْشَدَها الوالي مُتَراسِلَين * بُهِتَ لِذَكائِهِما المُتَعادِلَين * وقال أَشْهَدُ باللّهِ انكما فَرْقَدا سَماءٍ * وكَزَنْدَيْنِ في وِعاءٍ * وانّ هذا الحَدَث لَيُنْفِقُ مِمّا آتاهُ اللّه * ويستغني بوُجْدِهِ عمّن سِواه * فَتُبْ أَيُّها الشيخُ من اتِّهامِهِ * وتُبْ الى إِكْرامِهِ * فقال الشيخُ هَيْهاتَ أَنْ تُراجِعَهُ مِقَتي * أو تَعَلَّقَ بِهِ ثِقَتي * وقد بَلَوْتُ كُفْرانَهُ للصَّنيع * ومُنِيتُ منه بالعُقوقِ الشَّنيع * فاعترضه الفَتى وقال يا هذا إِنّ اللَّجاجَ شُؤْمٌ * والحَنَقَ لُؤْمٌ * وتحقيقُ الظِّنَّةِ إِثْمٌ * وإِعْناتُ البَرِيِّ ظُلْمٌ * وهَبْنِي اقْتَرَفْتُ جَرِيرَةً * او اجْتَرَحْتُ كَبيرةً * أما تَذْكُرُ أَنْ أَنْشَدْتَني لنفسك * في إِبّانِ أُنْسِك *

نظم

سامِحْ أَخاكَ اذا خَلَطْ * منه الاصابَةَ بالغَلَطْ

وتَجافَ عن تعنيفِهِ * إِنْ زاغَ يومًا او قَسَطْ

وَاحْفَظْ صَنيعَكَ عندَهُ * شَكَرَ الصَّنيعةَ أَمْ غَمَطْ

وأَطِعْهُ إِنْ عاصى وهُنْ * إِنْ عَزَّ وادْنُ اذا شَحَطْ

وَاقْنَ الوَفاءَ ولو أَخَلَّ * بما اشترطتَ وما اشترطْ

وَاعْلَمْ بأَنَّكَ إِنْ طَلَبْتَ مُهَذَّبًا رُمْتَ الشَّطَطْ

مَن ذا الذي ما ساءَ قَطّْ ومَن لهُ الحُسْنى فَقَطْ

أوَما ترى المحبوبَ والمكروهَ لُزّا في نَمَط
كالشوكِ يبدو في الغصونِ مع الجَنيّ المُلتَقَط
ولذاذةُ العمرِ الطويلِ يشوبها نَغَصُ الشَّمَط
ولوِ انتقدتَ بني الزمانِ وجدتَ أكثرهم سَقَط

قال فجعل الشيخ يُنضنِض نضنضةَ الصِّلّ * ويُحملِق حملقةَ البازي المُطِلّ * ثم قال والذي زيّن السماءَ بالشُّهُب * وأنزل الماءَ من السُّحُب * ما رَوَغي من الاصطلاح * الا لتوقّي الافتضاح * فانّ هذا الفتى اعتادَ أن أَمُونه * وأُراعيَ شؤونه * وقد كان الدهرُ يُسمِح فلم أكُن أَشِحّ * فأمّا الآن فالوقتُ عَبوس * وحَشْوُ العيش بُؤس * حتى انّ بِزّتي هذه عارَة * وبيتي لا تطور به فارَة * قال فرقّ لمقاليهما قلبُ الوالي * وأَوى لهما من غِيَرِ الليالي * وصبا الى اختصاصهما بالإسعاف * وأمرَ النَّظّارة بالانصراف * قال الراوي وكنتُ مُتشوّفًا الى مرأى الشيخ لعلّي أعلمُ عِلمه * اذا عاينتُ وَسمه * ولم يكنِ الزحامُ يُسفِر عنه * ولا يُفرِج لي فأَدنو منه * فلما تقوّضتِ الصفوف * وأجفلَ الوقوف * توسّمتُه * فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه * فعرفتُ حينئذٍ مغزاه فيما أتاه * وكدتُ أنقضّ عليه * لأستعرفَ اليه * فزجرني بإيماضِ طَرْفه * واستوقفني بإيماء كفّه * فلزمتُ موقفي * وأخّرتُ منصرفي * فقال الوالي ما أمرُكما * ولأيّما سببٍ مُقامُكما * فابتدره الشيخ وقال انّه أُنَيسي * وصاحبُ مابوسي * فتسمّح عند هذا القولِ بتأنيسي *

وَرَخَّصَ في جلوسي * ثم أفاضَ عليهما خِلعتين * ووصلهما بنصابٍ من العين * واستعهدهما
ان يتعاشرا بالمعروف * الى إظلالِ اليومِ المخوف * فنهضا من ناديه * مُشيدَين بشكرِ اياديه *
وتبعتهما لا أعرِفُ مثواهما * وأتزوّدُ من نجواهما * فلمّا أجزنا حِمى الوالي * وأفضينا
الى الفضاءِ الخالي * أدركني أحدُ جلاوِزتِه * مُهيبًا الى حوزتِه * فقلتُ لابي زيدٍ ما أظنّه
استحضرني * الّا ليستخبرني * فماذا أقول * وفي أيِّ وادٍ معه أجول * فقال بيِّن له غباوة قلبِه *
وتلاعبي بلبِّه * ليعلمَ أنّ ريحه لاقت إعصارًا * وجدولَه صادفَ تيّارًا * فقلتُ أخافُ أن يتّقد
غضبُه * فيلفحك لهبُه * او يستشري طيشُه * فيسري اليك بطشُه * فقال انّي أرحلُ الآن
الى الرُّها * وأنّى يلتقي سُهيلٌ والسُّها * فلمّا حضرتُ الوالي وقد خلا مجلسُه * وانجلى
تعبُّسُه * أخذ يصفُ أبا زيدٍ وفضلَه * ويذمُّ الدهرَ له * ثم قال نشدتُك اللهَ ألستَ الذي أعاره
الدَّستَ * فقلتُ لا والذي أجلسك في هذا الدَّست * ما أنا بصاحبِ ذلك الدَّست *
بل أنت الذي تمّ عليه الدَّست * فازورّت مُقلتاه * واحمرّت وجنتاه * وقال واللهِ ما أعجزني
قطُّ فضحُ مُريبٍ * ولا تكشيفُ مَعيبٍ * ولكن ما سمعتُ بأنّ شخصًا دلّس * بعد ما تطلّس *
فبهذا تمّ له أن لبّس * فما كُنيةُ ذلك القُريد * فقلتُ ابو زيد * فقال انه بابي كيدٍ * ألبقُ
منه بابي زيد * أفتدري أين سكع * ذلك اللُّكع * قلتُ أشفقَ منك لتعدّي طورِه *
فظعنَ عن بغداذ من فورِه * فقال لا قرّبَ اللهُ له نوى * ولا كلأه أين ثوى * فما زاولتُ
أشدَّ من نُكرِه * ولا ذُقتُ أمرَّ من مكرِه * ولولا حُرمةُ أدبِه * لأوغلتُ في طلبِه * الى

أن يقع فأوقع به * وإني لأكره أن تشيع فعلته * بمدينة السلام * فأفتضح بين الأنام * وتحتط مكانتي عند الإمام * وأصير ضحكة الخاص والعام * فعاهدني على أن لا أتفوه بما اعتمد * ما دمت حِلًّا بهذا البلد * قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأوّل * ووفيت له كما وفى السموأل *

المقامة الرابعة والعشرون القطيعية

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع * في إبّان الزبيع * فتية وجوههم أبلج من أنواره * وأخلاقهم أبهج من أزهاره * وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره * فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر * ويغني عن رنات المزاهر * وكنا تقاسمنا على حفظ الوداد * وحظر الاستبداد * وأن لا ينفرد أحدنا بالتذاذ * ولا يستأثر ولو برذاذ * فأجمعنا في يوم سما دجنه * ونما حسنه * وحكم بالاصطباح مزنه * على أن نلتهي بالخروج * إلى بعض المروج * لنسرح النواظر * في الرياض النواضر * ونصقل الخواطر * بشيم المواطر * فبرزنا ونحن كالشهور عدة * وكندماني جذيمة مودة * إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت * وتنوعت أزاهيرها وتلونت * ومعنا الكميت الشموس * والسقاة الشموس * والشادي الذي يطرب السامع ويلهيه * ويقري كل سمع ما يشتهيه * فلما اطمأن بنا الجلوس * ودارت علينا الكؤوس * وغل علينا ذو طمر * عليه طمر * فتجهمناه تجهم الغيد الشيب * ووجدنا صفو يومنا قد شيب * إلا أنه سلم تسليم

أُولِي الفَهم * وَجلس يغُضّ لطائِم النَّثرِ والنَّظم * ونحنُ ننزوِي من انبساطه * وننبري لطيّ بساطِه * الى ان غنّى شادِينا المُغرِبُ * وُمغرّدُنا المُطرِبُ *

نظم

اِلامَ سُعادُ لا تصِلينَ حبلِي * ولا تأوِينَ لي ممّا أُلاقي

صَبرتُ عليكِ حتّى عِيلَ صبرِي * وكادتْ تبلُغُ الرُّوحُ التراقِي

وها انا قد عزمتُ على انتصافٍ * أُساقِي فيه خِلّي ما يُساقِي

فانْ وَصْلًا أَلَذُّ به فوَصْلٌ * وانْ صرمًا فصَرْمٌ كالطّلاقِ

قال فاستفهمنا العابِثَ بالمثاني * لِمَ نصَبَ الوَصْلَ الاوّلَ ورَفعَ الثّانِي * فأقسم بتربةِ أَبَوَيْه * لقد نطق بما اختاره سِيبويه * فتشعّبت حينئذٍ آراءُ الجمعِ * في تجويزِ النّصبِ والرّفعِ * فقالت فِرقةٌ رفعُهما هو الصّواب * وقالتْ طائفةٌ لا يجوزُ فيهما الّا الانتصابُ * واستبهم على آخرينَ الجوابُ * واستعرَ بينهم الاصطخابُ * وذلك الواغِلُ يُبْدِي ابتسامَ ذي مَعرِفةٍ * وانْ لم يفُهْ ببِنْتِ شَفَةٍ * حتّى اذا سكنتِ الزّماجِرُ * وصمتَ المزجورُ والزّاجِرُ * قال يا قومِ انا أُنبِّئكم بتأويلِه * وأُميِّزُ صحيحَ القولِ من عليلِه * انّه ليجُوزُ رفعُ الوَصْلَين ونَصبُهما * والمُغايرةُ في الاعرابِ بينهما * وذلكم بحسَبِ اختلافِ الاضمارِ * والتّقديرِ المحذوفِ في هذا المِضمارِ * قال فَفَرطَ من الجماعةِ افراطٌ في مُماراتِه * وانخراطٌ الى مُباراتِه * فقال أمّا اذا دعوتُم نَزالِ * وتلبّبتُم للنِّضالِ * فما كلمةٌ هي انْ شئتُم حرفٌ محبوبٌ * او اسمٌ لما فيه حرفُ حلوبٌ * وايّ اسمٍ يتردّدُ بين فردٍ حازمٍ * وجمعٍ مُلازمٍ * وايّةُ هاءٍ اذا

التحقت اماطت المثقل * واطلقت المعتقل * واين تدخل السين فتعزل العامل * من
غير ان تجامل * وما منصوب ابدا على الظرف * لا يخفضه سوى حرف * واى مضاف
اخل من عرى الاضافة بعروة * واختلف حكمه بين مساء وغدوة * وما العامل الذى
يتصل آخره باوله * ويعمل معكوسه مثل عمله * واى عامل نائبه ارحب منه وكرا *
واعظم مكرا * واكثر لله تعالى ذكرا * وفي اى موطن يلبس الذكران * براقع النسوان *
وتبرز ربات الحجال * بعمائم الرجال * واين يجب حفظ المراتب * على المضروب
والضارب * واما اسم لا يفهم الا باستضافة كلمتين * او الاقتصار منه على حرفين * وفي
وضعه الاول التزام * وفى الثانى الزام * وما وصف اذا اردف بالنون * نقص صاحبه
فى العيون * وقوم بالدون * وخرج من الزبون * وتعرض للهون * فهذه ثنتا عشرة مسئلة
وفق عددكم * وزنة لددكم * ولو زدتم زدنا * وان عدتم عدنا * قال المخبر بهذه الحكاية
فورد علينا من احاجيه اللاتى هالت لما انهالت * ما حارت له الافكار وحالت * فلما
اعجزنا العوم في بحره * واستسلمت تمائمنا لسحره * عدلنا من استثقال الرؤية له الى
استنزال الرواية عنه * ومن بغى التبرم به الى ابتغاء التعلم منه * فقال والذى نزل
النحو فى الكلام * منزلة الملح فى الطعام * وحجب مطالعه عن بصائر الطغام * لا انلتكم
مراما * ولا شفيت لكم غراما * او تخولنى كل يد * ويختصنى كل منكم بيد * فلم يبق
فى الجماعة الا من اذعن لحكمه * ونبذ اليه خبأة كمه * فلما حصله تحت وكائه * اضرم

شعلة ذكائه * فكشف حينئذٍ من اسرار الغازه * وبدائع اعجازه * ما جلا به صدأ الاذهان * وجلّى مطلعه بنور البرهان * قال الراوي فهمنا * حين فهمنا * وعجبنا * اذ اجبنا * وندمنا * على ما ندَّ منا * واخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكياس * ونعرض عليه ارتضاع الكأس * فقال مأربٌ لا حفاوة * ومشربٌ لم يبق له عندي حلاوة * ثم شمخ بانفه صلفا * ونأى بجانبه انفا * وانشد *

نظم

نهاني الشيب عما فيه افراحي * فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة * وقد انار مشيب الراس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت * روحي بجسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلاف يدٌ * ولا اجلت قداحي بين اقداح
ولا صرفت الى صرفٍ مشعشعةٍ * همي ولا رحت مرتاحا الى راح
ولا نظمت على مشمولةٍ ابدا * شملي ولا اخترت ندمانا سوى الصاحي
محا المشيب مراحي حين خط على * راسي فابغض به من كاتبٍ ماح
ولاح يلحى على جري العنان الى * ملهى فسحقا له من لائحٍ لاح
ولو لهوت وفودي شائبٌ لخبا * بين المصابيح من غسان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم * والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم انه انساب انسياب الأيم * واجفل اجفال الغيم * فعلمت انه سراج سروج * وبدر

الأدب الذي يجتاب البروج * وكان قصارانا التحرّق لبُعده * والتفرّق من بعده *

تفسير ما أُودع هذه المقامة من النكت العربيّة والأحاجيّ النحويّة

امّا صدر البيت الاخير من الأُغنية الّذي هو فان وَصلا الّذ به فوصل فانّه نظير قولهم المرءُ مجزيٌّ بعمله إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌّ * وهذه المسئلة اودعها سيبويه كتابه وجوّز في اعرابها اربعة اوجه * احدها وهو اجودها ان تنصب خيرَ الاوّل وترفع الثاني * وتنصب شرّ الاوّل وترفع الثاني * ويكون تقديره ان كان عمله خيرًا فجزاؤه خيرٌ * وان كان عمله شرًّا فجزاؤه شرٌّ * فينتصب الاوّل على انّه خبر كان ويرتفع الثاني على انه خبر مبتدإٍ محذوف وقد حذفت في هذا الوجه كان واسمها لدلالة حرف الشرط الّذي هو إنْ على تقديرهما وحذفت ايضًا المبتدأ لدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرًا ما يقع بعدها * والوجه الثاني ان تنصبهما جميعًا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرًا فهو يُجزى خيرًا وان كان عمله شرًّا فهو يُجزى شرًّا فينتصب الاوّل على انه خبر كان وينتصب الثاني انتصاب المفعول به * والوجه الثالث ان ترفعهما جميعًا ويكون تقدير الكلام ان كان في عمله خيرٌ فجزاؤه خيرٌ فيرتفع خيرُ الاوّل على انه اسم كان ويرتفع خيرُ الثاني لانه خبر مبتدإٍ محذوف على ما بيّن في شرح الوجه الاوّل وقد يجوز ان يرتفع خيرُ الاوّل على انه فاعل كان وتُجعل كان المقدّرة ههنا هي التامّة التي تأتي بمعنى حدث ووقع فلا تحتاج الى خبر كقوله تعالى وإن كان ذو عُسرةٍ *

ويكون التقدير في المسئلة ان كان خيرٌ فجزاءه خيرٌ * اى ان حدث خيرٌ فجزاءه خيرٌ *
والوجهُ الرابعُ وهو اضعفها ان ترفع الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب
الثاني على ما بين ذكره في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله
خيرٌ فهو يجزي خيراً وعلى حسب هذا التفسير والمقدرات المحذوفات فيه يجري اعراب
البيت الذي عُنِيَ به وممّا ينتظم في هذا السلك قولهم المرءُ مقتولٌ بما قتل
به إن سيفاً فسيفٌ وإن خنجراً فخنجرٌ * واما الكلمةُ
التي هي حرفٌ محبوبٌ * او اسمٌ لما فيه حرفٌ حلوبٌ * فهي نَعَم إن اردتَ بها تصديق
الإخبار والعِدَة عند السؤال فهي حرفٌ * وإن عنيتَ بها الإبل فهي اسم * والنَّعَم
تذكَّر وتؤنَّث وتنطلق علي الإبل وعلى كلّ ماشيةٍ فيها إبلٌ * وفي الابلِ الحرفُ وهي
الناقة الضامرة * سُمّيت حرفاً تشبيهاً لها بحرف السيف * وقيل انّها الضخمة تشبيهاً لها
بحرف الجبل * واما الاسم المتردّد بين فردٍ حازمٍ وجمعٍ ملازمٍ فهو سراويلُ * قال
بعضهم هو واحدٌ جمعُه سراويلاتٌ فعلى هذا القول هو فردٌ وكنّى عن ضمّه الخصر بانّه
حازمٌ * وقال آخرون بل هو جمعٌ وواحده سِرْوالٌ مثل شِمْلالٍ وشماليل فهو على هذا
القول جمعٌ ومعنى قوله ملازمٍ اى لا ينصرف وانّما لم ينصرف هذا النوعُ من الجمع
وهو كلّ جمعٍ ثالثه الفٌ بعدها حرفٌ مشدّدٌ او حرفان او ثلثة اوسطها ساكنٌ لثقله وتفرّده
دون غيره من الجموع بان لا نظير له في الاسماء الآحاد * وقد كنى في هذه الاُحجيّة

عمّا لا ينصرف بالملازِم * وامّا الهاءُ التى اذا التحقت اماطتِ الثِقل واطلقتِ المعتقل فهى الهاءُ اللاحقة بالجمع المقدَّم ذكرُه مثل صَيارِفةٍ وصَياقِلةٍ فينصرفُ هذا الجمعُ عند التحاقِ الهاءِ به لانّها قد اصارته الى مِثالِ الآحاد نحو رَفاهِيَةٍ وكراهِيَةٍ فخفَّ بهذا السَّبَب وصُرِفَ لهذهِ العلّة * وقد كنَى فى هذه الأُحْجيّة عما لا ينصرف بالمعتقل كما كنى فى التى قبلها عمّا لا ينصرف بالملازِم * وامّا السينُ التى تعزِلُ العامِلَ من غير ان تُجامِلَ * فهى التى اذا دخلت على الفعل المستقبل وفصلت بينه وبين انِ التى كانت قبل دخولها من ادواتِ النَّصب فيرتفعُ حينئذٍ الفعلُ وينتقلُ انْ عن كونها الناصبةَ للفعل الى ان تصيرَ المخفَّفةَ من الثقيلة * وذلك كقوله سبحانه * عَلِمَ ان سيكونَ منكم مَرضى وتقديرُه عَلِمَ انّه سيكونُ * وامّا المنصوبُ على الظَّرف الذى لا يَخفِضُه سوى حرف فهو عند اذ لا يجرُّه غيرُ مِنْ خاصّةً * وقولُ العامّةِ ذهبتُ الى عِندِه لحنٌ * وامّا المضاف الذى أخَلَّ من عُرى الاضافة بعُروةٍ * واختلَفَ حكمُه بين مَساءٍ وغُدوةٍ * فهو لَدُنْ * ولَدُن من الاسماءِ الملازِمةِ للاضافة وكل ما ياتى بعدها فمجرورٌ بها الّا غُدوةً فان العربَ نَصبتها بلَدُن لكثرةِ استعمالهم إيّاها فى الكلام ثم نوّنتها ايضا لِتُبيّن بذلك انّها منصوبة لا انّها من نوع المجرورات التى لا تنصرفُ * وعند بعض النحويين انّ لدن بمعنى عِند والصَّحيحُ انّ بينهما فرقاً لطيفا وهو انّ عند يشتمِلُ معناها على ما هو فى مُلكتك ومُكنتك مما دنا منك وبَعُدَ عنك ولَدُنْ يختصُّ معناها بما حضرك وقرُبَ منك * واما

العامل الذى يتصل آخره باوله ويعمل معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها
اى وكلتا هما من حروف النداء وعملهما فى الاسم المنادى سيّان وان كانت يا اجول
فى الكلام واكثر فى الاستعمال وقد اختار بعضهم ان ينادى باى القريب فقط كالهمزة *
واما العامل الذى نائبه ارحب منه وكرًا واعظم مكرًا واكثر لله تعالى ذكرًا فهو باء القسم *
وهذه الباء هى اصل حروف القسم بدلالة استعمالها مع ظهور فعل القسم في قولك
أقسم بالله ولدخولها ايضًا على المضمر فى قولك بك لافعلن ثم قد أبدلت الواو منها
فى القسم لانهما جميعًا من حروف الشفة ثم لتناسب معنييهما لان الواو تفيد الجمع والباء
تفيد الالصاق والمعنيان متقاربان ثم صارت الواو المبدلة من الباء ادور فى الكلام
واعلق بالاقسام ولهذا الغز بانها اكثر لله تعالى ذكرًا ثم ان الواو اكثر موطنًا من الباء
لان الباء لا تدخل الا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل
والحرف وتجر تارة بالقسم وتارة باضمار رُبَّ وتنتظم ايضًا مع نواصب الفعل
وادوات العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر * واما الموطن الذى فيه يلبس
الذكران براقع النسوان وتبرز ربات الحجال بعمائم الرجال فهو اول مراتب العدد
المضاف وذلك ما بين الثلثة الى العشرة فانه يكون مع المذكر بالهاء ومع المونث
بحذفها كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسومًا * والهاء فى غير هذا الموطن
من خصائص المونث مثل قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد رأيت كيف انعكس في هذا الموطن

حكمُ المذكّر والمونّث حتى انقلب كلٌّ منهما في ضدّ قالَبه * وبَرزَ في بزّة صاحِبه * واما الموضعُ الذي يَجِبُ فيه حِفظُ المَراتِب على المضروب والضارب فهو حيث يشتبهُ الفاعلُ بالمفعول لِتعذّرِ ظُهورِ علامة الإعْراب فيهما او في أَحَدِهما * وذلك اذا كانا مَقْصُورَيْن مِثْلَ موسى وعيسى او من اَسماء الاشارة نحو ذاك وهذا فيجبُ حِيْنَئِذٍ لِازالَـةِ اللَّبس اقرارُ كلٍّ منهما في رُتْبَتِه لِيُعْرَف الفاعلُ منها بتقدمه والمفعولُ بتأخُّرِه * واما الاسمُ الذي لا يُفْهَم الا باستضافةِ كَلِمَتَين او الاقتصارِ منه على حرفَين فهو مَهْما وفيها قولان اَحَدُهما انَّها مُرَكَّبَة من مَهْ التي بمعني اُكْفُفْ ومِنْ ما والقولُ الثاني وهو الصحيحُ اَنَّ الاصلَ فيها ما فزيدَتْ عليها ما اُخرى كما تُزادُ على إن فصار لفظُها ما ما فثقُل عليهم توالى كَلِمَتَين بلفظٍ واحدٍ فابدلوا من الألِف الأُولى هاء فصارتا مَهْما * ومهما من اَدَواتِ الشرط والجزاءِ ومتى لَفِظْتَ بها لم يَتِمّ الكلامُ ولا عُقِل المعنى الّا بايراد كلمتين بعدها كقولك مهما تَفعَلْ اَفعَلْ وتكون حينئذٍ مُلتزِما للفعل وإن اقتصَرْتَ منها على حرفين وهما مَهْ التي بمعنى اُكْفُفْ فُهِم المعنى وكُنْتَ مُلزِمًا مَنْ خاطَبْتَه اَن يَكُفَّ * واما الوصفُ الذى اذا رُدِفَ بالنون نَقَص صاحِبُه في العُيون وقُوّم بالدّون وخَرَج من الزَّبون وتعرَّضَ للهُون فهو ضَيْفٌ * اذ الحقته النُّونُ استحالَ الى ضَيفَنٍ وهو الذى يَتْبَعُ الضَّيفَ * ويتنزَّل في النَّقْد منزِلَةَ الزَّيْف *

المقامة الخامسة والعشرون الكرجية

حكى الحارثُ بن همّام قال شَتَوْتُ بالكَرَج لِدَيْنٍ اَقتَضِيه * واَرَبٍ اَقْضِيه * فبلوتُ من

شِتائها الكالح * وصِرّها النافح * ما عرّفني جهد البلاء * وعكف بي على الاصطلاء * فلم اكن ازايل وجاري * ومستوقد ناري * الّا لضرورة أدفع اليها * او اقامة جماعة احافظ عليها * فاضطررت في يوم جَوّه مزمهر * ودجنه مكفهر * الى ان برزت من كناني * لِمُهِمّ عناني * فاذا شيخ عاري الجلدة * بادي الجردة * وقد اعتمّ بريطة * واستثفر بفويطة * وحواليه جمع كثيف الحواشي * وهو ينشد ولا يحاشي *

نظم

يا قوم لا ينبئكم عن فقري * أصدق من عريي أوان القرّ
فاعتبروا بما بدا من ضُرّي * باطن حالي وخفيّ أمري
وحاذروا انقلاب سلم الدهر * فانّني كنت نبيه القدر
آوي الى وفر وحدّ يفري * تفيد صفري وتبيد سمري
وتشتكي كومي غداة اقري * فجرّد الدهر سيوف الغدر
وشنّ غارات الرزايا الغبر * ولم يزل يسحتني ويبري
حتّى عفت داري وغاض درّي * وبار سعري في الورى وشعري
وصرت نضو فاقة وعسر * عاري المطا مجرّدا من قشري
كانّني المغزل في التعرّي * لا دفء لي في الصنّ والصنّبر
غير التضحّي واصطلاء الجمر * فهل خضمّ ذو رداء غمر
يسترني بمطرف او طمر * طلاب وجه الله لا لشكري

ثم قال يا أرباب الثراء * الرافلين في الفراء * من أوتي خيراً فلينفق * ومن استطاع أن يرفق فليرفق * فإن الدنيا غدور * والدهر عثور * والمكنة زورة طيف * والفرصة مزنة صيف * وإني والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته * وأعددت الأهب له قبل موافاته * وها أنا اليوم يا سادتي * ساعدي وسادتي * وجلدتي بردتي * وحفنتي * جفنتي * فليعتبر العاقل بحالي * وليبادر صرف الليالي * فإن السعيد من اتعظ بسواه * واستعد لمسراه * فقيل له قد جلوت علينا أدبك * فأجل لنا نسبك * فقال تباً لمفتخر * بعظم نخر * إنما الفخر بالتقى * والأدب المنتقى * ثم أنشد *

نظم

لعمرك ما الانسان إلا ابن يومه * على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما * فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

ثم إنه جلس محقوقفاً * واجرنثم مقفقفاً * وقال اللهم يا من غمر بنواله * وأمر بسؤاله * صل على محمد وآله * وأعني على البرد وأهواله * واتح لي حراً يؤثر من خصاصة * ويواسي ولو بقصاصة * قال الراوي فلما جلى عن النفس العصامية * والملح الأصمعية * جعلت ملامح عيني تعجمه * ومرامي لحظي ترجمه * حتى استبنت أنه ابو زيد * وأن تعريه أحبولة لصيد * ولمح هو أن عرفاني قد أدركه * ولم يأمن أن يهتكه * فقال أقسم بالسمر * والقمر * والزهر * والزهر * إنه لن يسترني إلا من طاب خيمه * واشرب ماء المروءة أديمه * فعقلت ما عناه * وإن لم يدر القوم معناه * وساءني ما يعانيه من

الرِّعْدة * واقشعرار الجِلدة * فعمدتُ لفروةٍ هي بالنهارِ رياشي * وفي الليل فراشي * فنضوتُها عنّي * وقلتُ له اقبلها منّي * فما كذَّبَ أن افتراها * وعيني تراها * ثم انشدَ *

نظم

لله مَنْ ألبسني فروةً * أضحتْ من الرِّعدة لي جُنَّه
ألبسنيها واقيًا مُهجتي * وُقِيَ شرَّ الإنس والجِنَّه
سيلبسُ اليومَ ثنائي وفي * غدٍ سيكسى سُندسَ الجنَّه

قال فلمّا فتن قلوبَ الجماعة * بافتنانه في البراعة * ألقَوا عليه من الفِراء المُغشّاة * والجِبابِ المُوشّاة * ما آدهُ ثِقلُه * ولم يكدْ يُقِلُّه * فانطلقَ مُستبشرًا بالفرج * مستَسقيًا للكرج * وتبعتُه الى حيثُ ارتفعتِ التَّقِيّة * وبدتِ السَّماءُ نقيّة * فقلتُ له لشَدَّ ما قرَّسكَ البردُ * فلا تتعرَّ من بعدُ * فقال ويكَ ليس من العدل * سُرعةُ العذل * فلا تعجلَنَّ بلومٍ هو ظُلْمٌ * ولا تقفُ ما ليس لكَ به علمٌ * فوالذي نوَّر الشَّيبة * وطيَّبَ تُربةَ طيبةَ * لو لم أتعرَّ لرُحتُ بالخيبة * وصفرِ العيبة * ثُمّ نزعَ الى الفِرار * وتبرقع بالاكفهرار * وقال أما تعلمُ ان شِنشِنتي الانتقالُ من صيدٍ الى صيدٍ * والانعطافُ من عمرٍو الى زيدٍ * وأراكَ قد عُقتني * وعفّقتني * وأفتّني أضعافَ ما أفدتني * فاعفِني عافاك اللهُ من لغوِك * واسدُدْ دوني بابَ جِدِّك ولهوِك * فجبذتُه * جبذَ التِّلعابة * وجعجعتُ به للدُّعابة * وقلتُ له والله لو لم أُوارِكَ * وأُغطِّ على عوارِك * لما وصلتَ الى صِلةٍ * ولا انقلبتَ أكسى من بصلةٍ * فجازِني عن إحساني

اليك * وسترى لك وعليك * بان تسمح لي برد الفروة * او تعرفني كافات الشتوة * فنظر الي نظر المتعجب * وازمهر ازمهرار المتغضب * ثم قال اما رد الفروة فابعد من رد امس الدابر * والميت الغابر * واما كافات الشتوة فسبحان من طبع على ذهنك * واوهى وعاء خزنك * حتى انسيت ما انشدتك بالدسكرة * لابن سكرة * نظم

جاء الشتاء وعندي من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ثم قال لجواب يشفي * خير من جلباب يدفي * فاكتف بما وعيت واكتفي * ففارقته وقد ذهبت فروتي لشقوتي * وحصلت على الرعدة طول شتوتي *

المقامة السادسة والعشرون وتعرف بالرقطاء

حدث الحارث بن همام قال حللت سوق الاهواز * لابسا حلة الاعواز * فلبثت فيها مدة * اكابد شدة * وازجي اياما مسودة * الى ان رأيت تمادي المقام * من عوادي الانتقام * فرمقتها بعين القالي * وفارقتها مفارقة الطلل البالي * وظعنت عن وشلها كميش الازار * راكضا منها الى المياه الغزار * حتى اذا سرت منها مرحلتين * وبعدت تسرى ليلتين * تراأت لي خيمة مضروبة * ونار مشبوبة * فقلت آتيهما العلي انقع صدى * او اجد على النار هدى * فلما انتهيت الى ظل الخيمة * رأيت غلمة روقة * وشارة مرموقة * وشيخا عليه بزة سنية * ولديه فاكهة جنية * فحييته * ثم تحاميته * فضحك الي *

واحسن الرد عليّ * وقال الا تجلس الى من تروق فاكهته * وتشوق مفاكهته * فجلست
لاغتنام محاضرته * لا لالتقام ما بحضرته * فحين سفر عن آدابه * وكشر عن انيابه *
عرفت انه ابو زيد بحسن مُلَحه * وقبح قَلَحه * فتعارفنا حينئذ * وحفت بي فرحتان
ساعتئذ * ولم ادر بايهما انا اصفى فرحا * واوفى مرحا * ابا سفاره * من دجنة اسفاره *
ام بخصب رحاله * بعد اضمحلاله * وتاقت نفسي الى ان افض ختم سره * وابطن داعية
يسره * فقلت له من اين ايابك * والى اين انسيابك * وبم امتلأت عيابك * فقال
اما المقدم فمن طوس * واما المقصد فالى السوس * واما الجدة التي اصبتها * فمن
رسالة اقتضبتها * فسألته ان يفرشني دخلته * ويسرد عليّ رسالته * فقال دون مرامك
حرب البسوس * او تصحبني الى السوس * فصاحبته اليها قهرا * وعكفت بها عليه شهرا *
وهو يعللني كأسات التعليل * ويجرني اعنة التأميل * حتى اذا حرج صدري * وعيل
صبري * قلت له انه لم يبق لك علة * ولا لي تعلة * وفي غد ازجر غراب البين * وارحل
عنك بخفي حنين * فقال حاش لله ان اخلفك * او اخالفك * وما ارجأت ان احدثك *
الا لابثك * واذا كنت قد استربت بعدتي * واغراك ظن السوء بمباعدتي * فاصخ لقصص
سيرتي الممتدة * واضفها الى اخبار الفرج بعد الشدة * فقلت هات فما اطول طيلك * واهول
حيلك * فقال اعلم ان الدهر العبوس * القاني الى طوس * وانا يومئذ فقير وقير *
لا فتيل لي ولا نقير * فالجأني صغر اليدين * الى التطوق بالدين * فادنت لسوء

الاتفاق * ممن هو عسر الاخلاق * وتوهمت تسني النفاق * فتوسعت في الانفاق * فما افقت حتى بهظني دين لزمني حقه * ولازمني مستحقه * فحرت في امري * واطلعت غريمي على عسري * فلم يصدق املاقي * ولا نزع عن ارهاقي * بل جد في التقاضي * والح في اقتيادي الى القاضي * وكلما خضعت له بالكلام * واستنزلت منه رفق الكرام * ورغبته في ان ينظر لي بمياسرة * او ينظرني الى ميسرة * قال لا تطمع في الانظار * واحتجان النضار * فوحقك ما ترى مسالك الخلاص * او تريني سبائك الخلاص * فلما رأيت احتداد لدده * وان لا مناص لي من يده * شاغبته * ثم واثبته * ليرافعني الى والي الجرائم * لا الى الحاكم في المظالم * لما بلغني من افضال الوالي وفضله * وتشدد القاضي وبخله * فلما حضرنا باب اميرطوس * آنست ان لا باس ولا بؤس * فاستدعيت دواة وقطا * وانشأت اليه رسالة رقطا * وهي اخلاق سيدنا تحب * وبعقوته يلب * وقربه تحف * ونأيه تلف * وخلته نسب * وقطيعته نصب * وغربه ذلق * وشهبه تأتلق * وظلفه زان * وقويم نهجه بان * وذهنه قلب وجرب * ونعته شرق وغرب *

نظم

سيد قلب سبوق مبر * فطن مغرب عزوف عيوف
مخلف متلف اغر فريد * نابه فاضل ذكي انوف
مغلق ان ابان طب اذا نا * ب هياج وجل خطب مخوف

مناظم شرفه تأتلف * وشؤبوب حبائه يكف * ونائل يديه فاض * وشح قلبه غاض * وخلف سخائه يحتلب * وذهب عيابه يحترب * من لف لفه فلح وغلب * وتاجر بابه جلب وخلب * كف عن هضم بري * وبريء من دنس غوي * وقرن ليانه بعز * ونكب عن مذهب كز * ليس بوثاب عند نهزة شر * بل يعف عفة بر *

نظم

فلذا يحب ويستحق عفاته * شغفا به فلبابه خلاب

اخلاقه غر ترف وفوقه * فوق اذا اناضلته فلاب

سجح يهش وذو تلاف ان هفا * خل فليس بحقه يرتاب

لا باخل بل باذل خرق اذا * يعتر بر زلا يليه باب

ان عض ازل فل غرب عضاضه * بمنابه فانحت منه ناب

وجد بره من لب وفطن * وقرب وشطن * ان اذعن لقريع زمن * وجابر زمن * منذ رضع ثدي لبانه * خص بافاضة تهتانه * نعش وفرج * وضا فرفا بهج * ونافر فازع * وفاء بحق ابلج * اتعب من سيلي * رقرظان هز وبلي * وتوج صفاته * بحب عفاته *

نظم

فلا خلا نابهجة * يمتد ظل خصبه

فانه بر بمن * آنس ضوء شهبه

زان مزايا ظرفه * يلبس خوف ربه

فليهن سيدنا فوزه * بمفاخر تأثلت * وجلت * وفوته بصنائع تمت * ونمت * ويلائم
قرب حضرته * غوث رقه بحظ من حظوته * فانه تلميذ ندب * وشريد جذب * وجريح
نوب أثرت * وناظم قلائد تسيرت * اذا جاش بخطبة فلا يوجد قائل * ثم قس ثم باقل *
فان خبر قلت حبر نمنمت * وخلت رياضا قد نمت * هذا ثم شربه برض * وقوته
قرض * وفلقه غسق * وجلبابه خلق * وقد قلق لتوفر غريم غاشم * يستحثه بحق لازم *
فان من سيدنا بكفه * بهبات كفه * توشح بمجد فاق * وباء بأجر فكي من وثاق *
لا خلت سجايا خلقه * ترف شائم برقه * بمن رب أزلي * حي أبدي * قال فلما استشف
الامير لآليها * ولمح السر المودع فيها * أوعز في الحال بقضاء ديني * وفصل ما بين
خصمي وبيني * ثم استخلصني لمكاثرته * واختصني بأثرته * فلبثت بضع سنين أنعم
في ضيافته * وأرتع في ريف رأفته * حتى اذا غمرتني مواهبه * وأطال ذيلي ذهبه *
تلطفت في الارتحال * على ما ترى من حسن الحال * قال فقلت له شكرا لمن أتاح لك
لقيان السمح الكريم * وأنقذك به من ضغطة الغريم * فقال الحمد لله على سعادة الجد *
والخلوص من الخصم الألد * ثم قال أيما أحب اليك أن أحذيك من العطاء *
أم أتحفك بالرسالة الرقطاء * فقلت املاء الرسالة أحب الي * فقال وهو وحقك
أخف علي * فان نحلة ما يلج في الآذان * أهون من نحلة ما يخرج من الأردان *
ثم كأنه أنف واستحيا * فجمع لي بين الرسالة والحذيا * ففزت منه بسهمين * وفصلت

عنه بغنمين * وأُبتُ الى وطني قريرَ العين * بما حزتُ من الرسالة والعين *

المقامة السابعة والعشرون البدوية

حكى الحارثُ بن همّام قال مِلتُ في رَيّقِ زماني الّذي غبر * الى مُجاورةِ أهلِ الوبر * لآخُذَ أخذَ نفوسِهم الأبيّة * وألسنتِهم العربيّة * فشمّرتُ تشميرَ من لا يألو جُهدًا * وجعلتُ أضرِبُ في الارضِ غورًا ونجدًا * الى أنِ اقتنيتُ هجمةً من الرّاغية * وثلّةً من الثاغية * ثم أويتُ الى عربٍ أردافِ أقيالٍ * وأبناءِ أقوالٍ * فأوطنوني أمنعَ جنابٍ * وفلّوا عنّي حدَّ كلِّ نابٍ * فما تأوّبني عندهم همٌّ * ولا قرعَ صفاتي سهمٌ * الى أن أضللتُ في ليلةٍ مُنيرةِ البدر * لقحةً غزيرةَ الدّرّ * فلم أطِب نفسًا بإلغاءِ طلبِها * وإلقاءِ حبلِها على غاربِها * فقعدتُ فرسًا مِحضارًا * واعتقلتُ لدنًا خطّارًا * وسريتُ ليلتي جمعاءَ * أجوبُ البيداءَ * وأقتري كُلَّ شجراءَ ومرداءَ * الى أن نشرَ الصُّبحُ راياتِه * وحيعلَ الدّاعي الى صلاتِه * فنزلتُ عن متنِ الرّكوبة * لأداءِ المكتوبة * ثم جُلتُ في صهوتِها * وفررتُ عن شحوتِها * وسرتُ لا أرى أثرًا إلّا قفوتُه * ولا نشزًا إلّا علوتُه * ولا واديًا إلّا جزعتُه * ولا راكبًا إلّا استطلعتُه * وجدّي مع ذلك يذهبُ هدرًا * ولا يجدُ وِردُه صدرًا * الى أن حانت صكّةُ عُمَيّ * ولفحَ هجيرٌ يُذهِلُ غيلانَ عن ميّ * وكان يومًا أطولَ من ظِلِّ القناة * وأحرَّ من دمعِ المِقلات * فأيقنتُ أنّي إن لم أستكِنّ من الوقدة * وأستجِمَّ بالرّقدة * أدنفني اللّغوب * وعلِقت بي شعوب * فعُجتُ الى سرحةٍ كثيفةِ الأغصان * ورِيقةِ الأفنان * لأغوّرَ

تحتها الى المُغَيرِبان * فوالله ما استروح نفسي * ولا استراح فرسي * حتى نظرت الى سانح * في هيئة سائح * وهو ينتجع نُجعتي * ويشتدّ الى بقعتي * فكرهت انعياجه الى مَعاجي * واستعذت بالله من شرّ كل مُفاجي * ثم ترجّيت ان يتصدّى مُنشدًا * او يتبدّى مُرشدًا * فلمّا اقترب من سرحتي * وكاد يحلّ بساحتي * ألفيته شيخنا السَّروجيّ مُتَّشحًا بجرابه * ومُضطغنًا أُهبة تجوابه * فآنسني اذ ورد * وانساني ما شرد * ثم استوضحته من اين اثره * وكيف عُجَره وبُجَره * فانشد بديهًا * ولم يقل ايها *

نظم

قُل لمستطلع دخيلة امري * لك عندي كرامة وعزازه
انا ما بين جوب ارض فارض * وسُرًى في مفازة فمفازه
زادي الصيد والمطيّة نعلي * وجهازي الجراب والعكّازه
فاذا ما هبطت مصرًا فبيتي * غرفة الخان والنديم جُزازه
ليس لي ما أُساء إن فات او أُحزن إن حاول الزمان ابتزازه
غير اني ابيت خلوًا من الهمّ ونفسي عن الاسى مُنحازه
ارقد الليل ملأ جفني وقلبي * باردٌ من حرارة وحزازه
لا أُبالي من ايّ كأس تعوّقت ولا حلاوة من مزازه
لا ولا استجيز ان اجعل الذلّ مجازًا الى تسنّي اجازه
واذا مطلب كسا حلّة العا * ر فبُعدًا لمن يروم نجازه

وَمَتَى اهتزّ لِلدَّنَاءَةِ نِكْسٌ * عَافَ طَبْعِي طِبَاعَهُ واهتزازَه

فالمنايا ولا الدنايا وخيرٌ * من ركوبِ الخنا ركوبُ الجنازة

ثُمَّ رفع الى الطَّرْفه * وقال لأمرٍ مَّا جدع قصيرٌ أنفه * فأخبرتُه خبرَ ناقتي السارحة * وما عاينته في يومي والبارحة * فقال دع الالتفات * الى ما فات * والطِّماح * الى ما طاح * ولا تأسَ على ما ذهب * ولو أنّه وادٍ من ذهب * ولا تستمل من مال عن ريحك * وأضرم نارَ تباريحك * ولو كان ابن بوحك * او شقيق روحك * ثُمَّ قال هل لك في ان تقيل * وتتحامى القال والقيل * فإنّ الأبدان انضاء تعبٍ * والهاجرة ذات لهبٍ * ولن يصقل الخاطر * وينشّط الفاتر * كقائلة الهواجر * وخصوصاً في شهري ناجر * فقلت ذاك اليك * وما أريد ان أشقّ عليك * فافترش الترب واضطجع * واظهر ان قد هجع * وارتفقت على ان أحرس * ولا أنعس * فأخذتني السنة * لما زمّت الألسنة * فلم أُفق الّا والليل قد تولّج * والنجم قد تبلّج * ولا السروجيّ ولا المسرج * فبتّ بليلة نابغيّة * واحزان يعقوبيّة * أساور الوجوم * وأساهر النجوم * أفكّر تارةً في رحلتي * واُخرى في رجعتي * الى ان وضح لي عند افترار ثغر الضوء في وجه الجوّ * راكبٌ يخدّ في الدَّوّ * فألمعت اليه بثوبي * ورجوت ان يعرّج الى صوبي * فلم يعبأ بالماعي * ولا أوى لالتياعي * بل سار على هينته * وأصماني بسهم اهانته * فأوفضت اليه لأستردفه * واحتمل تغطرفه * فلمّا ادركته بعد الأين * واجلت فيه مسرح العين * وجدت ناقتي مطيّته * وضالّتي لقطته * فما كذبت

أَنْ أَذْ رِبْتُهُ مِن سَنامِها * وَجانَبْتُهُ طَرَفَ زِمامِها * وَقُلْتُ أَنا صاحِبُها وَمُضِلُّها * وَلِيَ رِسْلُها وَنَسْلُها * فَلا تَكُنْ كَأَشْعَبَ * فَتَتْعَبَ وَتُتْعِبَ * فَأَخَذَ يُدَاغِ وَيُصَيِّئُ * وَيَتَقَحَّ وَلا يَسْتَحْيِي * وَبَيْنا هُوَ يَنْزُو وَيَلِينُ * وَيَشْتَدُّ وَيَسْتَكِينُ * اذ غَشِيَنا ابو زيدٍ لابِسًا جِلْدَ النَّمِرِ * وَهاجِمًا هُجُومَ السَّيْلِ الْمُنْهَمِرِ * فَخِفْتُ وَاللّٰهِ أَنْ يَكُونَ يَوْمُهُ كَأَمْسِهِ * وَبَدْرُهُ مِثْلَ شَمْسِهِ * فَأَلْحَقَ بِالقارِظَيْنِ * وَأَصِيرَ خَبَرًا بعد عَيْنٍ * فلم أَرَ إِلّا أَنْ أَذْكَرْتُهُ العُهُودَ المَنْسِيَّةَ * وَالفَعْلَةَ الأَنْسِيَّةَ * وناشَدْتُهُ اللّٰهَ أَوافَى اليوم لِلتَّلافِي * ام لِما فيه ائْتِلافِي * فقال معاذَ اللّٰهِ أَنْ أُجْهِزَ عَلَى مَكْلُومِي * او أَصِلَ حَرُورِي بِسُمُومِي * بل وافَيْتُكَ لِأَخْبُرَ كُنْهَ حالِكَ * وَأَكُونَ يمينًا لِشِمالِكَ * فَسَكَنَ عند ذلك جَاشِي * وانجابَ اسْتِيحاشِي * وَأَطْلَعْتُهُ طِلْعَ اللِّقْحَةِ * وَتَبَرْقُعَ صاحِبِي بالقِحَةِ * فنظر اليه نظرَ لَيْثِ العريسة * الى الفَرِيسَة * ثُمَّ أَشْرَعَ قِبَلَهُ الرُّمْحَ * وَأَقْسَمَ له بِمَنْ أَنارَ الصُّبْحَ * لَئِنْ لم يَنْجُ مَنْجَا الذُّبابِ * ويَرْضَ من الغنيمة بالإِيابِ * لَيُورِدَنَّ سِنانَهُ وَرِيدَهُ * وَلَيَفْجَعَنَّ به وَلِيدَهُ وَوَدِيدَهُ * فَنَبَذَ زِمامَ الناقة وحاصَ * وَأَفْلَتَ وله حُصاصٌ * فقال لي ابو زيدٍ تَسَلَّمْها وَتَسَنَّمْها * فَإِنَّها إِحْدَى الحُسْنَيَيْنِ * وَوَيْلٌ أَهْوَنُ من وَيْلَيْنِ * قال الحارث بن همّام فَحِرْتُ بين لَوْمِ ابي زيدٍ وَشُكْرِهِ * وَزِنَةِ نَفْعِهِ بِضُرِّهِ * فكأنّه نُوجِيَ بِذاتِ صَدْرِي * أو تَكَهَّنَ ما خامَرَ سِرِّي * فقابَلَنِي بِوَجْهٍ طَلْقٍ * وَأَنْشَدَ بِلِسانٍ ذَلْقٍ *

نظم

يا أَخِي الحامِلَ ضَيْمِي * دُونَ إِخْوانِي وَقَوْمِي

اِنْ يَكُنْ ساءَكَ اَمْسِي * فَلَقَدْ سَرَّكَ يَوْمِي

فَاغْتَفِرْ ذاكَ لِهٰذا * واطَّرِحْ شُكْرِي ولَوْمِي

ثُمَّ قالَ انا تَئِقٌ * وَانْتَ مَئِقٌ * فكيفَ نَتَّفِقُ * ثُمَّ وَلَّى يَفْرِي اَدِيمَ الاَرْضِ * ويَرْكُضُ طِرْفَهُ اَيَّما رَكْضٍ * فما عَدَوْتُ اَنِ اقْتَعَدْتُ مَطِيَّتِي * وعُدْتُ لِطِيَّتِي * حتّى وَصَلْتُ الى حِلَّتِي * بعدَ اللَّتَيّا والَّتِي *

تفسيرُ ما اُودِعَ هذه المَقامَةَ من الاَلفاظِ اللُّغَوِيَّةِ والاَمْثالِ العَرَبِيَّةِ

قولهُ * رَيِّقِ زَمانِي يعني اَوَّلَهُ ورايِقَهُ وقد يُخَفَّفُ فيقالُ رَيْقٌ * قولهُ * لِآخُذَ اَخْذَ نُفُوسِهِم الاَبِيَّةِ يعني اَقْتَدِي بِهِم يقالُ منهُ اَخَذَ اِخْذَهُ واَخْذَهُ بكسرِ الهَمْزَةِ وفَتْحِها * والهَجْمَةُ نَحْوُ المِائَةِ من الاِبِلِ * والثَّلَّةُ القَطِيعُ من الغَنَمِ * والراغِيَةُ الابلُ والثاغِيَةُ الشاءُ ومنهُ قولُهُم ما لَهُ راغِيَةٌ ولا ثاغِيَةٌ اي لا ناقةٌ ولا شاةٌ * وقولُهُ * اَرْدافُ اَقْيالٍ اي يَخْلُفُونَ المُلوكَ اذا غابُوا * وقولهُ اَبْناءُ اَقْوالٍ اي فُصَحاءُ يقالُ لِلمِنْطِيقِ اِنَّهُ ابنُ اَقْوالٍ * وقولهُ فقد ثَرَّتُ فرسًا مِحْضارًا الثَّدُّ ثُرالوُثوبُ على ظَهْرِ الفَرَسِ * والمِحضارُ والمِحْضِيرُ الشديدُ العَدْوِ ماخوذٌ من الحُضْرِ * وقولهُ اَقْتَرِي كُلَّ شَجْراءَ ومَرْداءَ الاقتِراءُ تتبُّعُ الارضِ * والشَّجْراءُ ذاتُ الشَّجَرِ * والمَرْداءُ الخالِيَةُ من النَّباتِ ومنهُ اشتقاقُ الاَمْرَدِ لخُلُوِّ وَجْهِهِ من الشَّعْرِ * وقولهُ حَيْعَلَ الداعي الى صَلواتِهِ يَعْنِي بهِ قولَ المُؤَذِّنِ حَيَّ على الصلواةِ وحَيَّ على الفَلاحِ والمصدرُ منهُ الحَيْعَلَةُ * ومثلهُ من المصادِرِ الهَيْلَلَةُ * والحَوْلَقَةُ * والبَسْمَلَةُ *

والحَسبلةُ * والسبحلةُ * والجعلفةُ * والحمدلةُ * فالهيللةُ حكايةُ قولِ لا الهَ الا اللّٰه * والحولقةُ حكايةُ قولِ لاحَولَ ولا قُوّةَ الا باللّٰه * والبَسملةُ حكايةُ قولِ بِسمِ اللّٰه * والحَسبلةُ حكايةُ قولِ حَسبُنا اللّٰه * والسّبحلةُ حكايةُ قولِ سُبحانَ اللّٰه * والجَعلفةُ حكايةُ قولِهم جُعِلتُ فِداك * والحمدلةُ حكايةُ قَولِ الحمدُ للّٰه * وقوله نزلتُ عن متنِ الرَكُوبة يعني المركوبةَ يقال ناقةٌ رَكوبٌ ورَكوبةٌ وحَلوبٌ وحَلوبةٌ وقد قُرِئَ فمنها رَكوبتُهم * والصّهوةُ مَقعدُ الفارِس * والشّحوةُ الخَطوةُ * والجَزعُ قَطعُ الوادِي عَرضًا * وقولُه صَكّةُ عُمَيٍّ يعني به قائمَ الظّهيرة وقد اختُلِفَ في اَصله فقيل كانَ عُمَيٌّ رَجلًا مِغوارًا فغَزا قومًا عندَ قائمِ الظّهيرة وصَكّهم صَكّةً شديدةً فصارَ مَثَلًا لكُلّ مَن جاءَ ذلكَ الوقتَ * وقيل المُرادُ به الظّبيُ لانّه يسدَرُ في الهَواجِر فيَصطَكُّ بما يَستقبلُه كاصطكاكِ الاَعمى ثم صُغّرَ الاَعمى تصغيرَ الترخيم فقيل عُمَيٌّ كما صَغّروا اَسوَدَ واَزهَرَ فقالوا سُوَيدٌ وزُهَيرٌ * وقولُه وكان يومًا اَطولَ من ظِلّ القَناة يُوصَفُ اليومُ الطَّويلُ بظِلّ القَناة كما يُوصَفُ اليومُ القصيرُ باِبهام القَطاة * والعَرَبُ تزعُمُ اَنّ ظِلّ الرُّمحِ اَطولُ ظِلٍّ ومنه قولُ الشاعر *

نظم

ويومٍ كظِلّ الرُّمحِ قَصّرَ طُولَه * دَمُ الزِّقّ عنّا واصطفاقُ المَزاهِرِ

قولُه * واَحرّ من دَمعِ المِقلات وهي التي لا يَعيشُ لها وَلَدٌ فدَمعُها ابدًا حارٌّ لحُزنها لانّه يقالُ اِنّ دَمعةَ الحُزن حارّةٌ ودَمعةَ السُّرورِ بارِدةٌ ولهذا قيل للمدعوّ له اَقَرَّ اللّٰهُ عَينَه

ماخوذٌ من القُرّ وهوا لبَرْدُ وقيل للمدعوّ عليه اَسْخَنَ اللهُ عينَه ماخوذٌ من السُّخْنَة وهى الحرارة * وقيل اِنَّ اِقرارَ العَيْنِ ماخوذٌ من القَرار فكاَنَّه دعا له ان يرُزقَ ما يُقِرُّ عينَه حتى لا تطمَحَ الى ما لغيره وكانتِ الجاهليّةُ تزعُمُ اَنَّ المِقْلاتَ اذا وَطِئتْ على قتيلٍ شريفٍ عاشَ وَلَدُها واِلى هذا اَشارَ بِشْرُبن اَبى حازِمٍ فى قوله *

نظم

تَظَلُّ مَقاليتُ النّساءِ يطَاْنَه * يقُلْنَ الا يُلْقى على المَرْءِ مِيزَرُ

وقولُه عَلِقَتْ بى شَعُوب يَعْنى المَنِيَّةَ ولا تَدْخُل هذا الاسمَ اَداةُ التعريف مثل دَجْلَةَ وعَرَفَةَ * وقولُه لا غُوِّرَ تحتَها الى المُغَيْرِبان التغويرُ النُّزولُ للقائلة كما اَنَّ التعريسَ النُّزولُ آخِرَ الليل للتهويم والاستراحةِ والمغيربان تصغيرُ المَغْرِب وكان قياسُ تصغيره المُغَيْرِبَ اِلّا اَنَّ العرَبَ اَلحقَتْ آخِرَه اَلِفًا ونونًا على طريق الشُذوذ * وقولُه مُضْطَغِنًا اُهْبَةَ تَجْوابِه الاضطِغانُ اَنْ يَحْمِلَ الشَّيْءَ تحتَ حِضْنِه والاضطِبانُ اَنْ يَجْعلَهُ تحتَ ضِبْنِه والضِبْنُ ما بَيْنَ الابْطِ والكَشْحِ وكلاهما مُتَقارِبٌ واَوَّلُ مَراتِبِ الحَمْلِ الابْطُ ثمّ الضِّبْنُ وهو اَسْفَلُ الابِطِ ثمّ الحِضْنُ وهو عند الجَنْبِ والتَّجْوابُ مصدرُ جابَ وجميعُ المَصادِرِ الّتى جاءَتْ على تَفْعالٍ هى بفَتْحِ التاء الا قولَهم تِبْيانٌ وتِلْقاءٌ لا غيرُ وقال بعضُهم وتِنْضالٌ ايضا * وقولُه عُجَرى وبُجَرى يُريدُ به جميعَ اَمْرى الظّاهر والباطن واَصلُ العُجَرِ العُقَدُ الناتيةُ فى العَصَبِ والبُجَرِ العُقَدُ الناتيةُ فى البَطْنِ * وقولُه لم يَقُلْ اِيهًا اى لَمْ يامُرْنى بالكَفِّ يقال للمُسْتَزادِ اِيهٍ ولِمَنْ يُسْتَكَفُّ اِيهًا * وقولُه لا مَرٍ ما جَدَعَ

قَصيرٌ اَنْفَه قَصيرٌ هذا هو مَولى جَذِيمَةَ الاَبْرش وكانَ جَدَعَ اَنْفَه بِيَدِه حينَ قَتَلَتِ الزَّبّاءُ مَولاهُ ثم اَتاها وَاَوْهَمَها اَنَّ عَمْرو بنَ عَدِيّ بن اُخْتِ جَذِيمَة هو الّذى جَدَعَ اَنْفَه اِتّهاماً له بِاَنّه غشّ خالَه جَذِيمَةَ اِذْ اَشارَ عليه بقَصْدِها فحَظِىَ قَصيرٌ بهذا القَول عندَها حَتّى جَهَّزَتْه مِراراً الى العِراق فكانَ يأتيها بالطُّرَف منه اِلى اَنِ اسْتَصْحَبَ في آخِرِ نَوْبَةٍ الرِّجالَ فى الصَّناديق وتَوَصَّلَ الى قَتْلِها والاَخْذِ بثارِ مَوْلاه منها وقِصَّتُها مَشْهورةٌ * وقولُه ولوكانَ ابنَ بُوحٍ يَعْنى وَلَدَ الصُّلْب اشارةً الى اَنّه وُلِدَ في باحَةِ الدّار وهى عَرْصَتُها وجَمْعُها بُوحٌ * وقيلَ البُوحُ من اَسْماءِ الذَّكَر ايضاً * وقولُه في شَهْرَىْ ناجِرٍ هما شَهْرا الحَرِّ وقيلَ اِنّهما حَزيرانُ وتَمّوزُ وانكر ابو بكر بنُ دُرَيْد هذا القولَ وقال هُما طُلُوعُ نَجْمَيْن * وقولُه فبِتُّ بلَيْلةٍ نابِغِيّةٍ اَوْمَأَ به الى قول النّابغة *

نظم

فبِتُّ كأنّى ساوَرَتْنى ضَئيلةٌ * من الرُّقْشِ في اَنْيابِها السَّمُّ ناقِعُ

وقولُه اَلْمَعْتُ اليه بثَوبى يَعْنى اَشَرْتُ يُقالُ منه لَمَعَ وَاَلْمَعَ بمعنىً واحدٍ * قولُه يَلْدَغُ وَيَصْئِى هذا المَثَلُ يُضْرَبُ لمن يَظْلِمُ وَيَشْكو يقالُ صَأَتِ العقربُ تَصْئِى صَئِيّاً بفتح الصاد وكسرها اذا صَوَّتَتْ * وكذلك الفَرْخُ وما اَحْسَنَ قولَ ابن الرُّومىّ في هذا المعنى *

نظم

تُشْكِى المُحِبَّ وتَشْكُو وهى ظالِمةٌ * كالقَوسِ تُصْمِى الرَّمايا وهى مِرْنانُ

وقولُه يَنْزُو وَيَلِينُ هذا المَثَلُ يُضْرَبُ لمن يَتَعَزَّزُ ثم يَذِلُّ ويقال اِنّ اصلَه الجَدْىُ يَنْزُو

وهو صغير فانا كبر لان * وقوله لاَ اِسًا جِلْدَ النَّمِرِ هذا المَثَلُ يُضرَبُ للمُتَّقِحِ الجَرِيِّ لان النمر اَجرأُ سَبُعٍ واقلّه احتمالاً للضيم ومِنْ هذا اشتقاقُ قولِهم تَنَمَّر اى صار مِثْلَ النَّمِر * وقولهُ فالْحَق بالقارظَيْن الاصلُ فى القارظِ انه الّذى يَجْنِى القَرَظَ وهو النباتُ المدبوغ به والقارظان المُشارُ اليهما اَحَدُهما من عَنْزَةَ والآخَرُ من النَّمِرِ بن قاسِطٍ وكانا خَرَجا يَجْنِيان القرظَ فلم يَرجِعا ولا عُرِفَ لهما خَبَرٌ فضُرِبَ بهما المَثَلُ لكُلِّ غائبٍ لا يُرْجى اِيابُه واليهما اَشارَ ابو ذُوَيْبٍ في قوله *

نظم

وحتّى يَؤُوبَ القارِظانِ كلاهما * ويُنْشَرَ فى القتلى كُلَيْبُ لوائِلِ

وقوله اَصِلَ حَرورِى بسُمومِى الحَرورُ الريحُ الحارَّةُ ليلاً والسَّمومُ الريحُ الحارَّةُ نَهارًا وقد تُقامُ اِحدٰهما مُقامَ الأُخرى مَجازًا * وقوله لَيْثُ العَرِيسةِ يَعْنى به ماوَى السَّبُعِ يقال فيه عريسٌ وعريسةٌ بِاثباتِ الهاءِ وحذفِها كما يُقالُ غابٌ وغابةٌ وعَرِينٌ وعرينةٌ فاما الغِيْلُ والخِيْسُ فلم يُلحِقوا بهما الهاءَ * وقولهُ اَفلَتَ وله حُصاصٌ هذا المَثَلُ يُضرَبُ لمن نَجا من هَلَكةٍ اَشفى عليها بعدَ ما كادَ يَهْوِى فيها والحُصاصُ العَدْوُ * وقيل انه الضُّراطُ فكأنّه لفَزَعِه يَعْدُو ويَضْرِطُ * وقوله وَيْلٌ اَهْوَنُ من وَيْلَيْن هذا المَثَلُ يُضرَبُ تسليةً لمَنْ نالَه بعضُ المكروهِ ومثلُه قولُ الشاعرِ

نظم

ابا مُنذِرٍ اَفنيتَ فاستَبْقِ بَعْضَنا * حَنانَيْكَ بعضُ الشَّرِّ اَهْوَنُ مِن بَعْضِ

وقوله انا تَئِقٌ وانت مَئِقٌ فكيف نَتَّفِقُ هذا المَثَلُ يُضرَبُ للمُتنافِيَيْن فى الخُلُقِ فان التَّئِقَ

هو المُمتلِئ غيظًا ماخوذٌ من قولهم اَتأَقْتُ الإناءَ اذا ملأْتَه والمَئِق هو الباكي فكأنَّ التَّئِق ينزِع الى الشَّرّ لغيظه والمَئِق يَضيق ذَرعًا باحتماله ومثله قولُ الآخر انا كَلِفٌ وانت صَلِفٌ فكيف نأتَلِف * وقوله لِطِيَّتي يَعني لقصدي ووِجهتي وقد يُقال فيه طِيَةٌ بالتخفيف * وقوله بعد اللُّتَيّا والتي اللُّتَيّا تصغير الّتي وهو على غيرِ قياسِ التصغيرِ المُطَّرِد لان القياسَ ان يُضمّ اوّلُ الاسْم اذا صُغِّر وقد اُقِرّ هذا الاسم على فَتحتِهِ الاَصْليةِ عندَ تصغيره الا انَّ العربَ عوَّضَتْه عن ضمِّ اوَّلِه بانْ زادتْ اَلِفًا في آخره وقد اَجْرَتْ اَسماءَ الاشارةِ عند تصغيرها على حُكمِه فقالَتْ في تصغيرِ الّذي والّتي اللَّذَيّا واللُّتَيّا وفي تصغيرِ ذا وذاك ذَيّا وذَيّاك وقد اختُلِفَ في معنى قولهم بعد اللُّتَيّا والّتي فقيل هما من اَسْماءِ الداهية وقيل المرادُ بهما بعد صغيرِ المكروهِ وكبيرِهِ *

المقامة الثامنة والعشرون السمرقندية

اخبر الحارثُ بن همّام قال استبضَعتُ في بعض اَسْفارِي القَنْد * وقصدتُ به سَمَرْقَنْد * وكُنْتُ يومئذٍ قويمَ الشَّطاط * جمومَ النَّشاط * اَرْمي عن قوسِ المِراح * الى غَرَضِ الأَفْراح * واَستعينُ بماءِ الشَّباب * على مَلامِحِ السَّراب * فوافَيْتُها بُكرةَ عَرُوبَةَ * بعد اَنْ كابَدْتُ الصُّعوبة * فسعيتُ وما وَنَيْتُ * الى ان حصلَ البيتُ * فلمّا نقلتُ اليه قَنْدي * وملكتُ قولَ عندي * عُجْتُ الى الحمّام على الاَثَر * فاَمطتُ عنّي وَعْثاءَ السَّفَر * واَخذتُ في غُسْلِ الجُمعةِ بالاَثَر * ثم بادرتُ في هَيْئَةِ الخاشع * الى

مَسْجِدِها الجامِع * لأَلْحَق بِمَنْ يَقْرُبُ مِنَ الإمام * وَيُقرِّبُ أَفْضَلَ الأَنْعام * فَحَظِيتُ بأن جَلَيْتُ في الحَلْبَة * وتَخَيَّرتُ المرْكَزَ لاستِماعِ الخُطْبَة * ولم يَزَلِ النَّاسُ يدخلون في دِينِ الله أفواجاً * ويَرِدُونَ فُرادَى وأزواجاً * حتَّى إذا اكتظَّ الجامِعُ بحفله * واظَلَّ تساوِي الشَّخْصِ وظِلِّه * بَرَزَ الخطيبُ في أُهْبَتِه * مُتهادِياً خَلْفَ عُصْبَتِه * فارتقى في مِنْبَرِ الدَّعوة * الى أن مَثَلَ بالذِّرْوة * فسَلَّمَ مُشيراً باليمين * ثم جلس حتَّى خُتِمَ نَظْمُ التَّاذِينِ * ثم قامَ وقال * الحمدُ للهِ الممدوحِ الأسماء * المحمودِ الآلاء * الواسعِ العَطاء * المَدْعُوِّ لحسمِ اللأْواء * مالِكِ الأُمَم * ومُصَوِّرِ الرِّمَم * ومُكرِمِ أهلِ السَّماحِ والكَرَم * ومُهلِكِ عادٍ وإرَم * أدركَ كُلَّ سِرٍّ عِلْمُه * ووَسِعَ كُلَّ مُصِرٍّ حِلْمُه * وعَمَّ كُلَّ عالَمٍ طَوْلُه * وهَدَّ كُلَّ مارِدٍ حَوْلُه * أحمدُه حمدَ مُوَحِّدٍ مُسْلِم * وأدعوه دُعاءَ مُؤَمِّلٍ مُسَلِّم * وهو اللهُ لا اله الَّا هو الواحِدُ الأَحَد * العادِلُ الصَّمَد * لا وَلَدَ له ولا والِد * ولا رِدْءَ مَعَه ولا مُساعِد * أرسلَ محمَّداً للإسلامِ مُمَهِّداً * وللمِلَّةِ مُوَطِّداً * ولأدِلَّةِ الرُّسُلِ مُؤَكِّداً * وللأسْوَدِ والأحْمَرِ مُسَدِّداً * وَصَلَ الأرْحام * وعَلَّمَ الأحكام * ووَسَمَ الحَلالَ والحَرام * ورَسَمَ الإحْلالَ والإحْرام * كرَّمَ اللهُ مَحَلَّه * وكَمَّلَ الصَّلوةَ والسَّلام له * ورَحِمَ آلَهُ الكُرَماء * وأهْلَهُ الرُّحَماء * ما هَمَرَ رُكامٌ * وهَدَرَ حَمامٌ * وسَرَحَ سَوامٌ * وسَطا حُسامٌ * اعْمَلوا رحمكمُ اللهُ عَمَلَ الصُّلَحاء * واكدَحوا لمعادِكم كَدْحَ الأصِحَّاء * واردَعوا أهواءَكم رَدْعَ الأعداء * وأعِدُّوا للرِّحلةِ إعدادَ السُّعَداء * وادَّرِعوا حُلَلَ الوَرَع *

وداووا علل الطمع * وسوّوا أود العمل * وعاصوا وساوس الأمل * وصوّروا لأوهامكم حؤول الأحوال * وحلول الأهوال * ومساورة الإعلال * ومصارمة المال والآل * وادّكروا الحمام وسكرة مصرعه * والرمس وهول مطّلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والمحوا الدهر ولؤم كرّه * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمرّ مطعما * وطحطح عرمرما * ودمّر ملكا مكرّما * همّه سكّ المسامع * وسحّ المدامع * وإكداء المطامع * وإرداء المسمع والسامع * عمّ حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحسّاد * والأساود والآساد * ما مؤمّل الآمال * وعكس الآمال * ولا وصل الأوصال * وكلم الأوصال * ولا سرّ الأوساء * ولؤم وأساء * ولا أصحّ الأولاد الداء * وروّع الأوداء * الله الله * رعاكم الله * إلامَ مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الإصرار * وحمل الآصار * واطّراح كلام الحكماء * ومعاصاة إله السماء * أما الهرم حصادكم * والمدر مهادكم * أما الحمام مدرككم * والصراط مسلككم * أما الساعة موعدكم * والساهرة موردكم * أما أهوال الطامة لكم مرصدة * أما دار العصاة الحطمة الموصدة * حارسهم مالك * ورواؤهم حالك * وطعامهم السموم * وهواؤهم السموم * لا مال أسعدهم ولا ولد * ولا عدد حماهم ولا عُدد * ألا رحم الله امرأ ملك هواه * وأمّ مسالك هداه * وأحكم طاعة مولاه * وكدح لروح مأواه * وعمل ما دام العمر مطاوعا * والدهر موادعا * والصحة كاملة * والسلامة حاصلة * وإلا دهمه عدم المرام * وحصر

الكلام * وإلمامُ الآلام * وحمومُ الحِمام * وهدُّ الحواسّ * ومِراسُ الأرماس * آهًا لها حسرةً ألمُها مؤكّد * وأمدُها سرمد * ومُمارسُها مُكمَد * ما لِوَلَهِه حاسمٌ * ولا لِسدمه راحمٌ * ولا لهُ مما عراه عاصمٌ * ألهمكم اللهُ أحمدَ الإلهام * وردّكم رداءَ الإكرام * وأحلّكم دار السلام * وأسألهُ الرحمةَ لكم ولأهلِ ملّةِ الإسلام * وهو أسمحُ الكرام * والمُسلِّم والسلام *

قال الحارثُ بن همّام فلمّا رأيتُ الخطبةَ نخبةً بلا سقطٍ * وعروسًا بغير نقطٍ * دعاني الإعجابُ بنمطها العجيب * إلى استجلاءِ وجهِ الخطيب * فأخذتُ أتوسّمهُ جِدًّا * وأقلّبُ الطرفَ فيه مُجِدًّا * إلى أن وضحَ لي بصدقِ العلامات * أنّه شيخنا ذو المقامات * ولم يكن بدٌّ من الصمت * في ذلك الوقت * فأمسكتُ حتّى تحلّلَ من النفل والفرض * وحلّ الانتشارُ في الأرض * ثم واجهتُ تِلقاءَه * وابتدرتُ لِقاءَه * فلما لحظني خفّ في القيام * وأحفى في الإكرام * ثم استصحبني إلى داره * وأودعني خصائصَ أسراره * وحين انتشر جناحُ الظلام * وحانَ ميقاتُ المنام * أحضرَ أباريقَ المُدام * معكومةً بالفِدام * فقلتُ أتحسوها أمامَ النوم * وأنت إمامُ القوم * فقال مَهْ أنا بالنهار خطيبٌ * وفي الليل أطيبُ * فقلتُ والله ما أدري أأعجبُ من تسلّيك عن أُناسك * ومسقطِ راسك * أم من خطابتك مع أدناسك * ومداركاسك * فأشاحَ بوجهه عنّي * ثم قال اسمعْ منّي *

نظم

لا تبكِ إلفًا نأى ولا دارا * ودُرْ مع الدهرِ كيفما دارا

واتخذ الناس كلهم سكنا * ومثل الارض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره * وداره فاللبيب من دارا

ولا تضع فرصة السرور فما * تدري ايوما تعيش ام دارا

واعلم بان المنون جائلة * وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت لا تزال قانصة * ما كر عصر المحيا وما دارا

فكيف ترجى النجاة من شرك * لم ينج منه كسرى ولا دارا

قال فلما اعتورتنا الكؤوس * وطربت النفوس * جرعني اليمين الغموس * على ان احفظ عليه الناموس * فاتبعت مرامه * ورعيت ذمامه * ونزلته بين الملا منزلة الفضيل * وسدلت الذيل على مخازي الليل * ولم يزل ذلك دأبه ودأبي * الى ان تهيأ ايابي * فودعته وهو مصر على التدليس * ومسر حسوا الخندريس *

المقامة التاسعة والعشرون الواسطية

حكى الحارث بن همام * قال الجاني حكم دهر قاسط * الى ان انتجع ارض واسط * فقصدتها وانا لا اعرف بها سكنا * ولا املك فيها مسكنا * ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء * والشعرة البيضاء * في اللمة السوداء * قادني الحظ الناقص * والجد الناكص * الى خان ينزله شذاذ الآفاق * واخلاط الرفاق * وهو لنظافة مكانه * وظرافة سكانه * يرغب الغريب في ايطانه * وينسيه هوى اوطانه * فاستفردت منه بحجرة * ولم اناقش في اجرة * فما كان الا كلمح طرف * او خط

حرف * حتى سمعت جاري بيت بيت * يقول لنزيله في البيت * قم يا بني لا قعد
جدك * ولا قام ضدك * واستصحب ذا الوجه البدري * واللون الدري * والاصل
النقي * والجسم الشقي * الذي قبض ونشر * وسجن وشهر * وسقي وفطم * وادخل النار
بعد ما لطم * ثم اركض الى السوق * ركض المشوق * فقايض به اللاقح الملقح * المفسد
المصلح * المكمد المفرح * المغني المروح * ذا الزفير المحرق * والجنين المشرق * واللفظ المقنع *
والنيل الممتع * الذي اذا طرق * رعد وبرق * وباح بالحرق * ونفث في الخرق * قال
فلما قرت شقشقة الهادر * ولم يبق الا صدر الصادر * برز فتى يميس * وما معه انيس *
فرأيتها عضلة تلعب بالعقول * وتغري بالدخول في الفضول * فانطلقت في اثر الغلام *
لاخبر فحوى الكلام * فلم يزل يسعى سعي العفاريت * ويتفقد نضائد الحوانيت * حتى
انتهى عند الرواح * الى حجارة القداح * فناول بائعها رغيفا * وتناول منه حجرا لطيفا *
فعجبت من فطانة المرسل والمرسل * وعلمت انها سروجية وان لم اسأل * وما كذبت
ان بادرت الى الخان * منطلق العنان * لانظر كنه فهمي * وهل قرطس في التكهن
سهمي * فاذا انا في الفراسة فارس * وابو زيد بوصيد الخان جالس * فتهادينا بشرى
الالتقاء * وتقارضنا تحية الاصدقاء * ثم قال ما الذي نابك * حتى زايلت جنابك *
فقلت دهر هاض * وجور فاض * فقال والذي انزل المطر من الغمام * واخرج الثمر
من الاكمام * لقد فسد الزمان * وعم العدوان * وعدم المعوان * والله المستعان *

فكيف أفلتَّ * وعلى أيّ وصفيك أجفلتَ * فقلتُ اتّخذتُ الليلَ قميصا * وادّلجتُ
فيه خميصا * فأطرق ينكت في الأرض * ويفكّر في ارتياد القرض والفرض * ثم اهتزّ هزّة من
اكتسب قنص * او بدت له فرص * وقال قد علق بقلبي أن تصاهر من يأسو جراحك * ويريش
جناحك * فقلتُ وكيف أجمع بين غلٍّ وقلٍّ * ومن الذي يرغب في ضلِّ ابن ضلٍّ * فقال
انا المشير بك واليك * والوكيل لك وعليك * مع أنّ دين القوم جبر الكسير * وفكّ الاسير *
واحترام العشير * واستنصاح المشير * الّا أنّهم لو خطب اليهم ابراهيم بن أدهم * او جبلة
بن الأيهم * لما زوّجوه الّا على خمس مائة درهم * اقتداءً بما مهر الرسول زوجاته *
وعقد به أنكحة بناته * على أنّك لن تطالب بصداق * ولن تلجأ الى طلاق * ثم انّي
سأخطب في موقف عقدك * ومجمع حشدك * خطبةً لم تفتق رتق سمع * ولا خُطب
بمثلها في جمع * قال الحارث بن همّام * فازدهاني بوصف الخطبة المتلوّة * دون الخطبة
المجلوّة * حتى قلتُ له قد وكّلتُ اليك هذا الخطب * فدبّره تدبير من طبّ لمن حبّ *
فنهض مهرولا * ثم عاد متهلّلا * وقال أبشر باعتاب الدهر * واحتلاب الدرّ * فقد ولّيتُ
العقد * وأكفلتُ النقد * وكان قد * ثم أخذ في مواعدة أهل الخان * واعداد حلواء
الخوان * فلمّا مدّ الليل أطنابه * وأغلق كلّ ذي باب بابه * أذّن في الجماعة *
الا احضروا في هذه الساعة * فلم يبق فيهم الّا من لبّى صوته * وحضر بيته * فلمّا اصطفّوا
لديه * واجتمع الشاهد والمشهود عليه * جعل يرفع الأسطرلاب ويضعه * ويلحظ

علمتُ ان نزبتي بالخان * مَجلبةٌ للهوان * فضممتُ رحالي * وجمعتُ للرحلة ذيلي * وبتُّ ليلتي اسري الى الطيِّب * واحتسبُ اللهَ على الخطيب *

المقامة الثلثون الصورية

حكى الحارثُ بن همّام قال ارتحلتُ من مدينة المنصور * الى بلدة صُور * فلما حصلتُ بها ذا رفعةٍ وخفضٍ * ومالكَ رفعٍ وخفضٍ * تُقتُ الى مصر توقانَ السقيم الى الأُساة * والكريم الى المُواساة * فرفضتُ علائقَ الاستقامة * ونفضتُ عوائقَ الاقامة * واعروريتُ ظهرَ ابنِ النعامة * واجفلتُ نحوها اجفالَ النعامة * فلما دخلتُها بعد مُعاناةِ الأين * ومُداناةِ الحين * كلِفتُ بها كلَفَ النشوان بالاصطباح * والحيران بتنفُّس الصباح * فبينما انا يومًا بها اطوف * وتحتي فرسٌ قطوف * اذ رأيتُ على جُردٍ من الخيل * عُصبةً كمصابيح الليل * فسألتُ لانتجاع النُّزهة * عن العُصبة والوجهة * فقيل اما القومُ فشهود * واما المقصِدُ فإملاكٌ مشهود * فحدتني صبغةُ النشاط * على ان سِرتُ مع الفُرّاط * لأفوز بحلاوة اللقاط * واحوزَ حلواءَ السماط * فافضينا بعد مُكابدة العناء * الى دارٍ رفيعةِ البناء * وسيعةِ الفناء * تشهدُ لبانيها بالثراء والسناء * فلما نزلنا عن صهوات الخيول * قدّمنا الاقدامَ للدخول * رأيتُ دِهليزها مُجلَّلاً باطمارٍ مُخرَّقةٍ * ومُكلَّلاً بمخارفَ مُعلَّقةٍ * وهناك شخصٌ على قطيفةٍ * فوق دكّةٍ لطيفةٍ * فرابني عنوانُ الصحيفة * ومرأى هذه الطريقة * ودعاني التطيُّرُ بتلك المناحس *

الى أن عمدتُ لذلك الجالس * فعزمتُ عليه بمصرِّف الأقدار * ليُعرِّفني مَن ربّ
هذه الدار * فقال ما لها مالكٌ معيّن * ولا صاحبٌ مبيّن * انما هو مصطبة المقيّفين *
والمدروزين * ووليجة المشقشقين * والمجلوزين * فقلتُ في نفسي إنّا لله على ضلّة المسعى *
وإمحال المرعى * وهممتُ في الحال بالرُّجعى * لكنّي استهجنتُ العَودَ من فوري *
والقهقرة دون غيري * فولجتُ الدار متجرّعاً الغُصص * كما يلج العصفورُ القفص *
فاذا فيها أرائكُ منقوشة * وطنافسُ مفروشة * ونمارقُ مصفوفة * وسجوفٌ مرصوفة *
وقد أقبل المُملِك يميس في بُردته * ويتبهنس بين حفدته * فحين جلس كأنّه ابنُ
ماء السماء * نادى منادٍ من قِبَل الأحماء * وحرمةِ ساسانَ أستاذِ الأستاذين *
وقدوةِ الشحّاذين * لا عقد هذا العقدَ المبجّل * في هذا اليوم الأغرّ المحجّل * الّا الذي
جالَ وجابَ * وشبّ في الكُدية وشاب * فأعجبَ رهطَ الصِّهر ما أشاروا اليه * وأذِنوا
في إحضار المنصوص عليه * فبرز حينئذٍ شيخٌ قد أمال الملَوان قامتَه * ونوّر الفتيان
ثغامتَه * فتباشرت الجماعةُ باقباله * وتبادرت الى استقباله * فلمّا جلس على زِربيّته *
وسكنت الضوضاء لهيبته * ازدلف الى مِسنده * ومسح سبلته بيده * ثمّ قال الحمدُ لله
المبتدي بالافضال * المبتدع للنوال * المتقرَّب اليه بالسؤال * المؤمَّل لتحقيق الآمال *
الذي شرع الزكوة في الأموال * وزجر عن نَهر السُّؤّال * وندب الى مواساة المضطرّ *
وأمر باطعام القانع والمعترّ * ووصف عباده المقرّبين * في كتابه المبين * فقال وهو أصدق

القائلين * والذين في اموالهم حقٌّ معلوم * للسائل والمحروم * احمده على ما رزق من طعمة
هنيّة * واعوذ به من استماع دعوة بلا نيّة * واشهد ان لا اله الا الله وحده * لا شريك له *
اله يجزي المتصدّقين والمتصدّقات * ويمحق الربوا ويربي الصدقات * واشهد ان محمدًا
عبده الرحيم * ورسوله الكريم * ابتعثه لينسخ الظلمة بالضياء * وينتصف للفقراء من
الاغنياء * فرفق صلى الله عليه وسلم بالمسكين * وخفض جناحه للمستكين * وفرض الحقوق
في اموال المثرين * وبيّن ما يجب للمقلّين على المكثرين * صلى الله عليه صلوة تحظيه
بالزلفة * وعلى اصفيائه اهل الصفّة * اما بعد فانّ الله تعالى شرع النكاح لتعفّفوا * وسنّ
التناسل لكي تتضاعفوا * فقال سبحانه لتعرفوا * يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى *
وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا * وهذا ابو الدرّاج * ولّاج بن خرّاج * ذو الوجه الوقاح *
والافك الصّراح * والهرير والصّياح * والابرام والالحاح * يخطب سليطة اهلها * وشريطة
بعلها * قنبس * بنت ابي العنبس * لما بلغه من التحافها بالحافها * واسرافها في اسفافها *
وانكماشها على معاشها * وانتعاشها عند هراشها * وقد بذل لها من الصّداق شلّاقًا وعكّازًا *
وصقاعًا وكرّازًا * فانكحوه انكاح مثله * وصلوا حبلكم بحبله * وان خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله * اقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم * واساله ان يكثّر
في المصاطب نسلكم * ويحرس من المعاطب شملكم * فلما فرغ الشيخ من خطبته * وابرم
للختن عقد خطبته * تساقط من النثار * ما استغرق حدّ الاكثار * واغرى الشحيح بالايثار *

ثم نهض الشيخ يسحب ذلاذله * ويقدم اراذله * قال الحارث بن همام فتبعته لانظر عرجة القوم * واكمل بهجة اليوم * فعاج بهم الى سماط زينته طهاته * وتناصفت فى الحسن جهاته * فحين ربع كل شخص فى ربضته * وطفق يرتع فى روضته * انسللت من الصف * وفررت من الزحف * فحانت من الشيخ لفتة الى * ونظرة هجم بها طرفه على * فقال الى اين يا برم * هلا عاشرت معاشرة من فيه كرم * فقلت والذى خلقها طباقا * وطبقها اشراقا * لا ذقت لماقا * ولا لست رقاقا * او تخبرنى اين مدب صباك * ومن اين مهب صباك * فتنفس الصعداء مرارا * وارسل البكاء مدرارا * حتى اذا استنزف الدمع * واستنصت الجمع * قال لى ارعنى السمع *

نظم

مسقط الراس سروج * وبها كنت اموج
بلدة يوجد فيها * كل شيء ويروج
وردها من سلسبيل * وصحاريها مروج
وبنوها ومغانيهم نجوم وبروج
حبذا نفحة رياها ومرآها البهيج
وازاهير رباها * حين تنجاب الثلوج
من رآها قال مرسى * جنة الدنيا سروج
ولمن ينزاح عنها * زفرات ونشيج

مِثْلَ ما لاقَيْتُ مذ زَحْزَحَني * عَنها العُلُوج
عَبْرَةٌ تَهْمي وشَجْوٌ * كُلّما قَرَّ يَهِيجُ
وهُمومٌ كُلَّ يَوْمٍ * خَطْبُها خَطْبٌ مَرِيجُ
ومَساعٍ في التَّرَجِّي * قاصِراتُ الخَطْوِ عُوجُ
لَيتَ يَوْمي حُمَّ لمّا * حُمَّ لِي منها الخُروجُ

قال فلمّا بَيَّنَ بلدَه * ووَعَيتُ ما أنشدَه * أيقنتُ أنّه علّامتنا أبو زيدٍ * وإنْ كان الهَرَمُ قد أوثقه بقيدٍ * فبادرتُ الى مُصافحته * واغتنمتُ مُواكلته من صَحْفته * وظلتُ مُدّةَ مُقامي بمصرَ أعشو الى شُواظِه * وأحشو صَدَفتي من دُرَرِ ألفاظه * الى أنْ نَعَبَ بيننا غُرابُ البَيْنِ * ففارقتُه مُفارقةَ الجَفْنِ للعَيْنِ *

قد استتبّ طَبْعُ هذا المجلد الاوّل مِنَ المقاماتِ
الحريريّة مُحتوِيًا على ثلثين مقامات
* من جُملةِ خمسين *
* حِكايات *

المقامة الحادية والثلثون الرملية

حدث الحارث بن همام قال كنت في عنفوان الشباب * وريعان العيش اللباب * اقلي الاكتنان بالغاب * واهوى الاندلاق من القراب * لعلمي ان السفر ينفج السفر * وينتج الظفر * ومعاقرة الوطن * تعقر الفطن * وتخفر من قطن * فاجلت قداح الاستشارة * واقتدحت زناد الاستخارة * ثم استجشت جأشا اثبت من الحجارة * واصعدت الى ساحل الشام للتجارة * فلما خيمت بالرملة * والقيت بها عصا الرحلة * صادفت بها ركبا تعد للسرى * ورحالا تشد الى ام القرى * فعصفت بي ريح الغرام * واهتاج لي شوق الى البيت الحرام * فزممت ناقتي * ونبذت علقي وعلاقتي * **نظم**

وقلت للائمي اقصر فاني * ساختار المقام على المقام
وانفق ما جمعت بارض جمع * واسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل * لهم في السير جرية السيل * والى الخير جري الخيل * فلم نزل بين ادلاج وتأويب * وايجاف وتقريب * الى ان حبتنا ايدي المطايا بالتحفة * في ايصالنا الى الجحفة * فحللناها متأهبين للاحرام * متباشرين بادراك المرام * فلم يك الا ان انخنا الركائب * وحططنا الحقائب * حتى طلع علينا من بين الهضاب * شخص ضاحي الاهاب * وهو ينادي * يا اهل ذا النادي * هلم الى ما ينجي يوم التنادي * فانخرط اليه الحجيج وانصلتوا * واحتفوا به وانصتوا * فلما رأى تأثفهم حوله *

واستعظامهم قوله * تسنم احدى الآكام * ثم تنحنح مستفتحا للكلام * وقال يا معشر الحجاج * الناسلين من الفجاج * اتعقلون ما تواجهون * والى من تتوجهون * ام تدرون على من تقدمون * وعلام تقدمون * اتخالون ان الحج هو اختيار الرواحل * وقطع المراحل * واتخاذ المحامل * وايقار الزوامل * ام تظنون ان النسك هو نضو الاردان * وانضاء الابدان * ومفارقة الولدان * والتنائى عن البلدان * كلا والله بل هو اجتناب الخطية * قبل اجتلاب المطية * واخلاص النية * فى قصد تلك البنية * وامحاض الطاعة * عند وجدان الاستطاعة * واصلاح المعاملات * امام اعمال اليعملات * فوالذى شرع المناسك للناسك * وارشد السالك * فى الليل الحالك * ما ينقى الاغتسال بالذنوب * من الانغماس فى الذنوب * ولا تعدل تعرية الاجسام * بتعبية الاجرام * ولا تغنى لبسة الاحرام * عن المتلبس بالحرام * ولا ينفع الاضطباع بالازار * مع الاضطلاع بالاوزار * ولا يجدى التقرب بالحلق * مع التقلب فى ظلم الخلق * ولا يرحض التنسك بالتقصير * درن التمسك بالتقصير * ولا يسعد بعرفة * غير اهل المعرفة * ولا يزكو بالخيف * من يرغب فى الحيف * ولا يشهد المقام الآمن * استقام * ولا يحظى بقبول الحجة * من زاغ عن المحجة * فرحم الله امرأ صفا * قبل مسعاه الى الصفا * وورد شريعة الرضا * قبل شروعه على الاضا * ونزع عن تلبيسه * قبل نزع ملبوسه * وفاض بمعروفه * قبل الافاضة من تعريفه * ثم رفع عقيرته بصوت اسمع الصم * وكاد يزعزع الجبال الشم * وانشد

نظم

ما الحجّ سيرك تأويباً وإدلاجا * ولا اعتيامك أجمالاً وأحداجا
الحجّ أن تقصد البيت الحرام على * تجريدك الحجّ لا تقضى به حاجا
وتمتطي كاهل الانصاف متّخذاً * ردع الهوى هادياً والحقّ منهاجا
وأن تواسي ما أوتيت مقدرةً * من مدّ كفّاً الى جدواك محتاجا
فهذه إن حوتها حِجّةٌ كملت * وإن خلا الحجّ منها كان إخداجا
حسبُ المرائين غبناً أنّهم غرسوا * وما جنوا ولقوا كدّاً وإزعاجا
وأنّهم حرموا أجراً ومحمدةً * وألحموا عرضهم من غاب أو هاجا
أُخيَّ فابغ بما تبديه من قُرَبٍ * وجهَ المهيمن ولّاجاً وخرّاجا
فليس تخفى على الرحمن خافيةٌ * إن أخلص العبدُ في الطاعات أو داجا
وبادر الموت بالحسنى تقدّمها * فما ينهنهه داعي الموت إن فاجا
واقنَ التواضع خُلقاً لا تزايله * عنك الليالي ولو ألبسنك التاجا
ولا تشِم كلّ خالٍ لاح بارقه * ولو تراءى هتونَ السَّكب ثجّاجا
ما كلّ داعٍ بأهلٍ أن يصاخ له * كم قد أصمّ بنعيٍ بعض من ناجا
وما اللبيب سوى من بات مقتنعاً * ببلغةٍ يدرج الأيّام إدراجا
فكلّ كثرٍ الى قلٍّ مغبّته * وكلّ نازٍ الى لينٍ وإن هاجا

قال الراوي فلمّا ألقح عقم الأفهام * بسحر الكلام * استروحت ريح أبي زيدٍ * وما دبي

الارتياحُ اليه أيّ ميدٍ * فمكثتُ حتّى استوعبتُ نثّ حِكَمِهِ * وانحدرَ من أكَمَتِه * ثم دلفتُ اليه لاتصفّحَ صفحاتِ مُحيّاه * واستشفَّ جوهرَ حلاه * فاذا هو الضالّةُ التى أنشُدُها * وناظمُ القلائدِ التى أنشَدَها * فعانقتُه عِناقَ اللامِ للألِف * ونزّلتُه منزلةَ البُرءِ عند الدَنِف * وسألتُه ان يلازِمَنى فأبى * او يُزامِلَنى فنبا * وقال آليتُ في حِجّتى هٰذه أن لا أحتقِبَ * ولا أعتقِبَ * ولا أكتسِبَ * ولا أنتسِبَ * ولا أرتفِق * ولا أُرافِق * ولا أُوافِق * مَن يُنافِق * ثم ذهبَ يُهروِل * وغادرَنى أُولوِل * فلم أزل أُقرِيه نظرِى * وأودُّ لو يمشى على ناظرِى * حتّى توقّلَ أحدَ الأطواد * ووقفَ للحجيجِ بالمرصاد * فحين شاهدَ أيضاعَ الرُكبان * فى الكُثبان * وقعَ بالبنان * على البنان * واندفعَ يُنشِدُ *

نظم

لَيس مَن زارَ راكِبًا * مِثلَ ساعٍ على القَدَمْ
لا ولا خادِمٌ أطاعَ * كعاصٍ من الخَدَمْ
كيفَ يا قومِ يستوِى * سعىُ بانٍ ومَن هَدَمْ
سيُقيمُ المُفرِّطُونَ * غدًا مأتمَ النَدَمْ
ويقولُ الذى تقرَّبَ * طُوبى لِمَن خَدَمْ
وَيكِ يا نفسِ قدِّمى * صالحًا عندَ ذِى القِدَمْ
وازدرِى زُخرفَ الحيٰوةِ * فوجدانُه عدَمْ
واذكُرِى مصرعَ الحِمامِ * اذا خطبُه صدَمْ

وانْدُبْ بِفِعْلِكَ القبيحَ * وسُحَّ لهُ بِدَمْ
وادْبُغْهُ بتوبةٍ * قبلَ أن يَحْلَمَ الأدَمْ
فعسى اللهُ أن يَقِيكَ السَّعيرَ الَّذي احْتَدَمْ
يَوْمَ لا عَثْرةٌ تُقا * لُ ولا يَنْفَعُ النَّدَمْ

ثُمَّ إنَّهُ أغْمَدَ عَضْبَ لِسانِهِ * وانْطَلَقَ لِشأْنِهِ * فما زِلْتُ في كُلِّ مَوْرِدٍ نَرِدُهُ * ومُعَرَّسٍ نَتَوَسَّدُهُ * أتَفَقَّدُهُ فأفْتَقِدُهُ * وأسْتَنْجِدُ بمن يَنْشُدُهُ فلا يَجِدُهُ * حتَّى خِلْتُ أنَّ الجِنَّ اخْتَطَفَتْهُ * والأرْضَ اقْتَطَفَتْهُ * فما كابَدْتُ في الغُرْبَةِ * كهذهِ الكُرْبَةِ * ولا مُنِيتُ في سَفْرَةٍ * بِمِثْلِها من زَفْرَةٍ *

المقامة الثانية والثلثون الحربية

حكى الحارث بن همَّام * قال أجْمَعْتُ حين قَضَيْتُ مناسِكَ الحَجِّ * وأقَمْتُ وظائِفَ العَجِّ والثَّجِّ * أنْ أقْصِدَ طَيْبَةَ * مع رُفْقَةٍ من بني شَيْبَةَ * لأزُورَ قبرَ المُصْطَفى * وأخْرُجَ مِن قَبِيلِ مَنْ حَجَّ وجَفا * فأُرْجِفَ بأنَّ المسالِكَ شاغِرةٌ * وعَرَبُ الحَرَمَيْنِ مُتَشاجِرةٌ * فحِرْتُ بينَ إشْفاقٍ يُثَبِّطُنِي * وأشْواقٍ يُنَشِّطُنِي * إلى أنْ أُلْقِيَ في رُوعِي الاستسلامُ * وتغليبُ زِيارةِ قَبْرِهِ عليهِ السَّلامُ * فاعْتَمَدْتُ القُعْدَةَ * وأعْدَدْتُ العُدَّةَ * وسِرْتُ والرُّفْقَةَ * لا تَلْوِي على عُرْجَةٍ * ولا تَنِي في تأويبٍ ولا دُلْجَةٍ * حتَّى وافَيْنا بني حَرْبٍ * وقد آبوا من حَرْبٍ * فأزْمَعْنا أن نَقْضِيَ ظِلَّ اليومِ * في حِلَّةِ القومِ * وبينما نحنُ نَتَخَيَّرُ

المناخ * ونرود الورد النقاخ * اذ رأيناهم يركضون * كأنهم الى نصب يوفضون * فرابنا انثيالهم * وسألنا ما بالهم * فقيل قد حضر ناديهم فقيه العرب * فاهرعهم لهذا السبب * فقلت لرفقتي الا نشهد مجمع الحي * لنتبين الرشد من الغي * فقالوا لقد اسمعت اذ دعوت * ونصحت وما ألوت * ثم نهضنا نتبع الهادي * ونؤم النادي * حتى اذا اطللنا عليه * واستشرفنا الفقيه المنهود اليه * الفيته ابا زيد ذا الشقر والبقر * والفواقر والفقر * وقد اعتم القفداء * واشتمل الصماء * وقعد القرفصاء * واعيان الحي به محتفون * واخلاطهم عليه ملتفون * وهو يقول سلوني عن المعضلات * واستوضحوا مني المشكلات * فوالذي فطر السماء * وعلم آدم الاسماء * اني لفقيه العرب العرباء * واعلم من تحت الجرباء * فصمد له فتى فتيق اللسان * جريء الجنان * وقال اني حاضرت فقهاء الدنيا * حتى انتخلت منهم مائة فتيا * فان كنت ممن يرغب عن بنات غير * ويرغب منافي مير * فاستمع واجب * لتقابل بما يجب * فقال الله اكبر * سيبين المخبر * وينكشف المضمر * فاصدع بما تؤمر *

قال ما تقول فيمن توضأ ثم لمس ظهر نعله * قال انتقض وضوءه بفعله * النعل الزوجة * قال فان توضأ ثم اتكأه البرد * قال يجدد الوضوء من بعد * البرد النوم * قال أيمسح المتوضئ انثييه * قال قد ندب اليه ولم يجب عليه * الانثيان الاذنان * قال أيجوز الوضوء مما يقذفه الثعبان * قال وهل انظف منه للعريان * الثعبان جمع ثعب وهو

مَسيلُ الوادي * قال أيُستباحُ ماءُ الضَّرير * قال نعم ويُجتنَبُ ماءُ البصير * الضَّريرُ
حَرفُ الوادي والبصيرُ الكلبُ * قال أيحِلُّ الطَّوفُ في الرَّبيع * قال يُكرهُ ذلك للحدَثِ
الشَّنيع * الطَّوفُ التغوُّطُ والرَّبيعُ النهرُ الصغير * قال أيجبُ الغُسلُ على من أمنى * قال لا ولو ثنَّى *
أمنى نزلَ مِنى * يُقالُ منه مَنى وأمنى وامتنى * قال فهل يجبُ على الجُنُبِ غُسلُ فروتِه *
قال أجل وغسلُ إبرتِه * الفروةُ جلدُ الراس والإبرةُ عظمُ المِرفق * قال فإن أخلَّ بغُسلِ فأسِه *
قال هو كما لو ألغى غسلَ رأسِه * الفأسُ العظمُ المُشرِفُ على نُقرةِ القفا * قال ما تقولُ فيمن
تيمَّمَ ثم رأى رَوضاً * قال بطَلَ تيمُّمُه فليتوضَّأ * الرَّوضُ ههنا جمعُ روضةٍ وهي
الصُّبابةُ تبقى في الحوض * قال أيجوزُ أن يسجُدَ الرَّجلُ في العَذِرة * قال نعم وليُجانِبِ
القَذِرة * العَذِرةُ فِناءُ الدار * قال فهل له السُّجودُ على الخِلاف * قال لا ولا على أحدِ
الأطراف * الخِلافُ الكُمُّ * قال فإن سجَدَ على شِمالِه * قال لا بأسَ بفِعالِه * الشِّمالُ
جمعُ شَمْلةٍ * قال فهل يجوزُ السُّجودُ على الكُراع * قال نعم دونَ الذِّراع * الكُراعُ
ما استطالَ من الحَرَّة * قال أيُصلِّي على راسِ الكلب * قال نعم كسائرِ الهِضاب *
راسُ الكلب ثَنِيَّةٌ معروفةٌ * قال ما تقولُ فيمن صلَّى وعانتُه بارزةٌ * قال صلوتُه
جائزةٌ * العانةُ الجماعةُ من حُمُرِ الوحش * قال فإن صلَّى وعليه صَومٌ * قال يُعيدُ
ولو صلَّى مائةَ يوم * الصَّومُ ذَرقُ النَّعام * قال فإن حمَلَ جِرواً وصلَّى * قال هو كما لو
حمَلَ باقِلَّى * الجِروُ الصِّغارُ من القِثَّاء والرُّمَّان * قال أتصِحُّ صلوةُ حامِلِ القَروة *

قال لا ولو صلّى فوق المروة * القروة ميلغة الكلب * قال فان قطر على ثوب المصلي نجو * قال يمضي في صلوته ولا غرو * النجو السحاب الذي قد هراق ماءه * قال أيجوز ان يؤم الرجال مقنّع * قال نعم ومدرّع * المقنع لابس المغفر والمدرّع لابس الدرع * قال فان امّهم من في يده وقف * قال يعيدون ولو انهم ألف * الوقف السوار من العاج او الذبل * واراد به انه لا يجوز للرجال الايتمام بالنساء * قال فان أمّهم من فخذه بادية * قال صلوته وصلوتهم ماضية * الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البدو واختار بعضهم تسكين الخاء من هذه الفخذ ليحصل الفرق بينها وبين الفخذ من الاعضاء * قال فان امّهم الثور الأجمّ * قال صلّ وخلاك ذمّ * الثور السيّد والأجمّ الذي لا رمح معه * قال ايدخل العصر في صلوة الشاهد * قال لا والغائب الشاهد * صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لاقامتها عند طلوع النجم لان النجم يسمّى الشاهد * قال أيجوز للمعذور ان يفطر في شهر رمضان * قال ما رخّص فيه الا للصبيان * المعذور المختون وهو ايضا المعذّر * قال فهل للمعرّس ان يأكل فيه * قال نعم بملأ فيه * المعرّس المسافر الذي ينزل في آخر ليلة ليستريح ثم يرتحل * قال فان افطر فيه العراة * قال لا تنكر عليهم الولاة * العراة الذين تأخذهم العرواء * وهي الحمّى برعدة * قال فان أكل الصائم بعد ما أصبح * قال هو احوط له واصلح * اصبح اى استصبح بالمصباح * قال فان عمد لان اكل ليلاً * قال ليشمّر للقضاء ذيلاً * الليل الأنثى من فراخ الحبارى على

فانْكره ابن دُرَيْدٍ وقيل هو وَلَد الكروان والنهارُ وَلَدُ الحُبارى * قال فان اَكَلَ قبل ان تتوارى البيضاء * قال يلزمه والله القضاء * البَيْضاء من اسماءِ الشَّمْس * قال فان استثار الصائم الكَيْد * قال افطر ومَنْ احلَّ الصَّيْد * الكَيْدُ القَيْءُ واستثارَه استدعاه * قال اَله ان يُفْطِرَ بالحاحِ الطَّابِخ * قال نَعَم لا بطاهي المطابخ * الطابِخُ الحُمَّى الصالِبُ * قال فان ضَحِكَت المرأةُ في صَوْمِها * قال بطَلَ صَوْمُ يومِها * ضَحِكَتْ هُهنا اى حاضَتْ ومنه قوله تعالى فضَحِكَتْ فبَشَّرْناها باسْحاق * قال فان ظَهَرَ الجُدَرِيُّ على ضَرَّتِها * قال تُفْطِرُ اِنْ آذَنَ بمَضَرَّتِها * الضَرَّةُ اصلَ الابهام واصلُ الثَدْيِ ايضًا * قال ما يَجِبُ فى مائةِ مِصْباح * قال حِقَّتان يا صاحِ * المِصْباحُ الناقةُ التى تُصْبِحُ فى المَبْرَك * قال فان مَلَكَ عشرَ خناجِر * قال يُخْرِجُ شاتَيْن ولا يُشاجِر * الخناجِرُ النُوقُ الغِزارُ واحدتُها خَنْجَرٌ وخَنْجُورٌ * قال فان سمح للساعى بحَميمتِه * قال يا بُشْرى له يومَ قيامتِه * السـاعى جابِي الصَّدَقةِ والحميمةُ خِيارُ المال * قال اَيَسْتحِقُّ حَمَلَةُ الاَوْزارِ من الزَّكوة جُزْءًا * قال نَعَمْ اذا كانوا غُزًّى * الاَوْزارُ السِلاحُ وغُزًّى جمع غازٍ * قال اَيجوزُ للحاجِّ ان يعتَمِر * قال لا ولا اَنْ يَخْتمِر * الاعتمارُ لُبْس العَمارة وهي العِمامةُ * والاختمارُ لُبْس الخِمار * قال فهل له ان يقتُلَ الشُّجاع * قال نعم كما يقتُلُ السِّباعَ * الشُّجاعُ الحيّةُ * قال فانْ قتلَ زَمّارةً فى الحَرَم * قال عليه بدَنةٌ من النَّعَم * الزَمّارةُ النَّعامةُ واسم صَوْتِها الزِمارُ * قال فانْ رمى ساقَ حُرٍّ فجدله * قال

يُخرج شاةً بدلَه * ساق حُرٌ ذكرُ القماري * قال فان قتل أمّ عوف بعد الإحرام *
قال يتصدّق بقبضةٍ من طعام * أمُّ عوف الجرادةُ * قال أيجب على الحاجّ استصحابُ
القاربِ * قال نعم ليسوقهم الى المشارب * الحاجّ اسمٌ للجمع والواحدِ والقاربُ
طالبُ الماءِ بالليل * قال ماتقولُ في الحرام بعد السبت * قال قد حلّ في ذلك الوقت *
الحرامُ المُحرِمُ والسبتُ حلقُ الرأس وحلَّ من تحليل الحجّ * قال ماتقول في بيع الكميت * قال
حرامٌ كبيع الميْت * الكُميتُ الخمرُ * قال أيجوز بيع الخلّ بلحم الجمل * قال لا ولا بلحم الحمل *
الخلُّ ابنُ المخاض ولا يحلُّ بيعُ اللحْم بالحيوان سواءٌ كان من جنسِه او من غيرِ جنسِه *
قال أيحلُّ بيعُ الهديّة * قال لا ولا بيعُ السبيّة * الهديّةُ بالتشديد مايُهدى الى الكعبة ويقال
فيها هدْيةٌ بتسكين الدال وتخفيفِ الياء والسبيّةُ الخمرُ * قال ماتقولُ في بيع العقيقة *
قال محظورٌ على الحقيقة * العقيقةُ مايُذبح عن المولود في اليوم السابع من ولادتِه *
قال أيجوز بيعُ الداعي على الراعي * قال لا ولا على الساعي * الداعي بقيّةُ اللبن في الضرْع
والساعي جابي الصدقة * قال أيُباع الصقْرُ بالتمرِ * قال لا ومالكِ الخلْق والأمرِ *
الصقرُ الدِبسُ * قال أيشتري المسلمُ سلبَ المسلمات * قال نعم ويُورثُ عنه اذا مات *
السلبُ لِحاءُ الشجر وهو ايضاً خوصُ الثمام * قال فهل يجوز ان يُبتاع الشافع * قال
ما لجوازِه من دافع * الشافعُ الشاةُ التي معها سخلُها * قال أيُباع الإبريقُ على
بني الأصفر * قال يُكرهُ كبيع المغفر * الإبريقُ السيفُ الصقيلُ الكثيرُ الماءِ وبنو الأصفر الروم *

قال أيجوز ان يبيع الرجل صيفيه * قال لا ولكن ليبع صفيه * الصيفي الولد على الكبر * والصفي الناقة الغزيرة الدر * قال فإن اشترى عبدا فبان بأمه جراح * قال ما في رده جناح * الأم مجتمع الدماغ * قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء * قال لا ولا للشريك في الصفراء * الصحراء الأتان التي تمازج بياضها غبرة * قال أيحل ان يحمى ماء البئر والخلا * قال إن كان في الفلا فلا * يحمي يمنع والخلا الكلا * قال ما تقول في ميتة الكافر * قال حل للمقيم والمسافر * الكافر البحر وميتته السمك الطافي فوق مائه * قال أيجوز ان يضحى بالحول * قال هو أجدر بالقبول * الحول جمع حائل * قال فهل يضحى بالطالق * قال نعم ويقرى منها الطارق * الطالق الناقة ترسل ترعى حيث شاءت * قال فإن ضحى قبل ظهور الغزالة * قال شاة لحم بلا محالة * الغزالة الشمس * وقال بعضهم يقال طلعت الغزالة ولا يقال غربت * قال أيحل الكسب بالطرق * قال هو كالقمار بلا فرق * الطرق الضرب بالحصى وهو من أفعال الكهنة * قال أيسلم القائم على القاعد * قال محظور فيما بين الأباعد * القاعد التي قعدت عن الحيض وعن الأزواج * قال أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحبب به في البقيع * الرقيع السماء وعني بالبقيع بقيع المدينة * قال أيمنع الذمي من قتل العجوز * قال معارضته في العجوز لا تجوز * العجوز الخمر وقتلها مزجها * قال أيجوز ان ينتقل الرجل عن عمارة أبيه * قال ما جوز لخامل ولا نبيه * العمارة القبيلة * قال ما تقول في التهود * قال هو مفتاح التزهد * التهود التوبة ومنه قوله تعالى إنا هدنا

اليك * قال ماتقولُ في صَبْرِ البَلِيَّة * قال اَعظِم به من خَطِيَّة * الصَّبْرُ الحَبْس والبَلِيَّةُ النَّاقةُ تُحْبَسُ عند قبرِ صاحِبِها فلا تُسْقى ولا تُعلَفُ الى ان تموتَ وكانتِ الجاهليَّةُ تزعمُ أنّ صاحبَها يُحْشَرُ عليها * قال ايحلّ ضَرْبُ السفير * قال نعمْ والحملُ على المُسْتشير * السَّفيرُ ما تساقط من وَرَقِ الشَّجر والمُسْتشيرُ الجملُ السَّمين وهو ايضًا الجملُ الذي يعرِفُ اللاقِحَ من الحائِل * قال ايُعَزِّرُ الرجُلُ اَباه * قال يفعلهُ البَرُّ ولا يأباه * التعزيرُ التعظيمُ والنُّصرة * قال ما تقولُ فيمن اَفقرَ اخاه * قال حبَّذا ما توخّاه * اَفقرهُ اعارهُ ناقةً يركبُ فَقارَها * قال فإن اَعرى وَلَدَه * قال يا حُسْنَ ما اعتمدَه * اَعراهُ اَعطاهُ ثمرةَ نخلةٍ عامًا * قال فإنْ اَصْلى مملوكهُ النّارَ * قال لا اِثمَ عليه ولا عارَ * المملوكُ العجينُ الّذي قد اُجيدَ عجنُهُ حتَّى قوِيَ * قال اَيجوزُ للمرْأةِ اَنْ تَصْرِمَ بَعْلَها * قال ما حظرَ اَحدٌ فِعلَها * البَعْلُ النخلُ الّذي يشرَبُ بعُروقِه من الأرض * قال فهل تُؤدَّبُ المرأةُ على الخَجَل * قال اجَلْ * الخَجَلُ سُوءُ احتمالِ الغنى ومنه قولهُ عليه السلام للنِّساء اِنَّكُنَّ اذا جُعتُنَّ دَقِعْتُنَّ واذا شَبِعْتُنَّ خَجِلْتُنَّ * قال ما تقولُ فيمن نحتَ اَثْلَةَ اخيه * قال اَثِمَ ولو اَذِنَ له فيه * نحتَ اَثْلَتَهُ اذا اغتابَهُ وقدحَ في عِرْضِه * قال اَيحْجُرُ الحاكمُ على صاحبِ الثَّوْر * قال نعم ليأمَنَ غائِلةَ الجَوْر * الثَّورُ الجُنونُ * قال فهل له اَنْ يَضْرِبَ على يدِ اليتيم * قال نعم الى ان يرْشُدَ ويستقيمُ * يقال ضرَبَ على يده اذا حجَرَ عليه * قال فهل يجوزُ ان يتَّخذ له رَبَضًا * قال لا ولو كان له رِضًا * الرَّبَضُ الزوجةُ * قال فمتى يبيعُ بَدَنَ السَّفيه *

قال حين يرى له الحظّ فيه * البدنُ الدّرعُ القصيرةُ * قال فهل يجوز ان يبتاع له حشا *

قال نعم اذ الم يكن مُغشّى * الحشّ النخلُ المجتمع * قال ايجوز ان يكون الحاكم ظالماً *

قال نعم اذا كان عالماً * الظالمُ الذى يشربُ اللّبن قبل ان يروب ويخرج زبده * قال

ايستقضى من ليست له بصيرة * قال نعم اذا احسنت منه السيرة * البصيرة ههنا الترسُ *

قال فان تعرّى من العقل * قال ذاك عنوانُ الفضل * العقــلُ ضربٌ من الوشى *

قال فان كان له زهوجبّار * قال لا انكار ولا اكبار * الزهو البسرا لمتلوّنُ والجبّار النخلُ

الذى فات اليد والقاعد من النخل ضدّها * قال ايجوز ان يكون الشاهدُ مريباً * قال

نعم اذا كان اريباً * المريبُ الذى يكثرعنده اللّبنُ الرائب * قال فان بان انّه لاط *

قال هو كما لوخاط * لاط الحوض اذا طيّنه * قال فان عثر على انّه غربل * قال تردّ شهادته

ولا تقبل * غربل اى قتل ومنه قول الراجز * ترى الملوك حوله مغربلةً * قال فان وضح

انّه مائنٌ * قال هو وصفٌ له زائنٌ * المائنُ ههنا الذى يعول ويكفى المؤنة من مان

يمون * قال ما يجب على عابد الحقّ * قال يحلّف بالله الخلق * العابدُ ههنا الجاحدُ والحقّ

الدّينُ * قال ما تقول فى من فقأ عين بلبلٍ عامداً * قال تفقأ عينه قولاً واحداً * البلبلُ

الرجلُ الخفيف * قال فان جرح قطاة امرأةٍ فماتت * قال النفسُ بالنفس اذا فاتت * القطاةُ

مابين الوركين * قال فان القت الحاملُ حشيشاً من ضربه * قال ليكفّر بالاعتاق عن ذنبه *

الحشيشُ الجنينُ المُلقى ميتاً * قال ما يجب على المختفى فى الشّرع * قال القطعُ لاقامة

الرَّدْع * المُختفِى نَبَّاشُ القُبور * قال فإنْ سرقَ ثميناً من ذَهَب * قال لا قَطْعَ كما لو غَصَبَ * الثمينُ الثُمُنُ كما يُقالُ في النِّصف نصيفٌ وفي السُّدسِ سديسٌ * قال فإن بانَ على المرأةِ السَّرق * قال لا حرجَ عليها ولا فَرق * السَّرقُ الحريرُ الأبيضُ * قال أينعقدُ نكاحٌ لم تَشهَدهُ القَوارِى * قال لا والخالقِ البارِى * القُوارِى الشُّهودُ لأنَّهم يَقرُونَ الأشياءَ اى يَتتبعُونها * قال ما تقولُ في عَرُوسٍ باتتْ بليلةِ حُرَّةٍ * ثم رُدَّتْ في حافرتِها بسُحرةٍ * قال يَجِبُ لها نِصْفُ الصَّداق * ولا تَلزَمُها عِدَّةُ الطَّلاق * يُقال باتتِ العَروسُ بليلةِ حُرَّةٍ اذا امتنعتْ على زوجِها فان افتضَّها قيل باتتْ بليلةِ شيباءَ والرَّدُّ في الحافرة بمعنى الرُّجوع في الطَّريق الأوَّل وكَنى به عن طلاقِها ورَدِّها الى أهلِها * فقال له السائلُ للهِ دَرُّكَ من بحرٍ لا يُغضْغِضُه الماتحُ * وحَبرٍ لا يَبلُغُ مَدحَه المادِحُ * ثم أطرقَ إطراقَ الحَيِيّ * وارمَّ ارمامَ العَيِيّ * فقال له ابو زيدٍ ايهٍ يا فتى * فالى متى والى متى * فقال انَّه لم يبقَ في كِنانتى مَرماةٌ * ولا بعدَ إشراقِ صُبحكَ مُماراةٌ * فبالله أيُّ ابنِ أرضٍ أنتَ * فما أحسَنَ ما أبنتَ * فانشدَ بلسانٍ ذَلِقٍ * وصَوتٍ صَهصَلِقٍ * **نظم**

أنا في العالِم مُثلَه * ولأهلِ العلمِ قِبلَه
غيرَ أنّي كُلَّ يومٍ * بينَ تعريسٍ ورِحلَه
والغريبُ الدارِ لو حلَّ * بطُوبى لم تَطِبْ له

ثُمَّ قال اللّهمَّ كما جعلتَنا مِمَّن هُدِيَ ويَهدِي * فاجعلهم ممَّن يَهتدي ويُهدَى * فساقَ

اليه القوم ذو دامع قينة * وسألوه ان يزورهم الغينة بعد الفينة * فنهض يمنيهم العود * ويزجي الامة والذود * قال الحارث بن همام فاعترضته وقلت له مهدي بك سفيها * فمتى صرت فقيها * فظل هنية يجول * ثم انشأ يقول * نظم

لبست لكل زمان لبوسا * ولابست صرفيه نعمى وبؤسا
وعاشرت كل جليس بما * يلائمه لاروق الجليسا
فعند الرواة ادير الكلام * وبين السقاة ادير الكؤسا
وطورا بوعظي اسيل الدموع * وطورا بلهوي اسر النفوسا
واقري المسامع اما نطقت * بيانا يقود الحرون الشموسا
وان شئت ارعف كفي اليراع * فساقط درا يحلي الطروسا
وكم مشكلات حكين السها * خفاء فصرن بكشفي شموسا
وكم ملح لي خلبن العقول * واسأرن في كل قلب رسيسا
وعذراء فهت بها فانثنى * عليها الثناء طليقا حبيسا
على انني من زماني خصصت * بكيد ولا كيد فرعون موسى
يسعر لي كل يوم وغى * اطأ من لظاها وطيسا وطيسا
ويطرقني بالخطوب التي * يذبن القوى ويشبن الرؤسا
ويدني الي البعيد البغيض * ويبعد عني القريب الانيسا

ولولا خساسة اخلاقه * لما كان حظّي منه خسيسا

فقلت له خفّض الاحزان * ولا تلم الزمان * واشكر لمن نقلك من مذهب ابليس * الى مذهب ابن ادريس * فقال دع الهذار * ولا تهتك الاستار * وانهض بنا لنضرب * الى مسجد يثرب * فعسى ان نرحض بالمزار * درن الاوزار * فقلت هيهات ان اسير * او افقه التفسير * فقال تالله لقد اوجبت ذمما * وطلبت اذ طلبت امما * فهاك ما يشفي النفس * وينفي اللبس * قال فلما اوضح لي المعمى * وكشف عني الغمى * شددنا الاكوار * وسرت وسار * ولم ازل من مسامرته * مدة مسايرته * فيما انساني طعم المشقة * ووددت معه بعد الشقة * حتى اذا دخلنا مدينة الرسول * وفزنا من الزيارة بالسؤل * اشأم واعرقت * وغرب وشرقت *

المقامة الثالثة والثلثون التفليسية

اخبر الحارث بن همام * قال عاهدت الله تعالى مذ يفعت * ان لا اؤخر الصلوة ما استطعت * فكنت مع جوب الفلوات * ولهو الخلوات * اراعي اوقات الصلوات * واحاذر من مأثم الفوات * واذا رافقت في رحلة * او حللت بحلة * مرحبت بصوت الداعي اليها * واقتديت بمن يحافظ عليها * فاتفق حين دخلت تفليس * ان صليت مع عصبة مفاليس * فلما قضينا الصلوة * وازمعنا الانفلات * برز شيخ بادي اللقوة * بالي الكسوة والقوة * فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية * وتفوق در العصبية * الا

ما تكلّف لى لُبثة * واستمع منّى نفثة * ثم له الخيار من بعد * وبيده البذل والردّ * فعقد له القومُ الحبا * ورنوا امثال الرُّبا * فلمّا آنس حُسن انصاتهم * ورزانة حصاتهم * قال يا اولى الابصار الرامقة * والبصائر الرائقة * اما يغنى عن الخبر العيان * ويُنبىء عن النار الدخانُ * شيبٌ لائح * وضعفٌ بائح * ووهنٌ فادح * وداءٌ واضح * والباطن فُفاضح * ولقد كنتُ والله ممن ملك ومال * وولى وآل * ورفد ونال * ووصل وصال * فلم تزل الجوائح تسحتُ * والنوائبُ تنحتُ * حتى الوكرُ قفر * والكفّ صفر * والشعار ضُرّ * والعيشُ مُرّ * والصبية يتضاعون من الطوى * ويتمنّون مصاصة النوى * ولم اقم هذا المقام الشائن * واكشف لكم الدفائن * الّا بعد ما شقيتُ ولقيتُ * وشبتُ مما لقيتُ * فليتنى لم اكن بقيتُ * ثم تأوه تأوه الاسيف * وانشد بصوت ضعيف *

نظم

اشكو الى الرحمن سبحانه * تقلّب الدهر وعدوانه
وحادثات قرعت مروتى * وقوّضت مجدى وبنيانه
واهتصرت عودى ويا ويل من * تهتصر الاحداث اغصانه
وامحلت ربعى حتى جلت * من ربعى المحل جرذانه
وغادرتنى حائرا بائرا * اكابد الفقر واشجانه
من بعد ما كنت اخا ثروة * يسحب فى النعمة اردانه
يختبط العافون اوراقه * ويحمد الساروُن نيرانه

فأصبح اليوم كأن لم يكن * أعانه الدهر الذي عانه
وازور من كان له زائراً * وعاف عافي العرف عرفانه
فهل فتى يحزنه ما يرى * من ضر شيخ دهره خانه
فيفرج الهم الذي همه * ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فصبت الجماعة الى أن تستثبته * لتستنجش خبأته * وتستنفض حقيبته * فقالت له قد عرفنا قدر زنتك * ورأينا در مزنتك * فعرفنا دوحة شعبتك * واحسر اللثام عن نسبتك * فأعرض إعراض من مني بالإعنات * أو بشر بالبنات * وجعل يلعن الضرورات * ويتأفف من تغيض المروات * ثم أنشد بلفظ صادع * وجرس خادع *

نظم

لعمرك ما كل فرع يدل * جناه اللذيذ على أصله
فكل ما حلا حين تؤتى به * ولا تسأل الشهد عن نحله
وميز اذا ما اعتصرت الكروم * سلافة عصرك من خله
لتغلي وترخص عن خبرة * وتشري كلا شري مثله
فعار على الفطن اللوذعي * دخول الغميزة في عقله

قال فازدهى القوم بذكائه ودهائه * واختلبهم بحسن أدائه مع دائه * حتى جمعوا له خبايا الخبن * وخفايا الثبن * وقالوا له يا هذا إنك حمت على ركية بكية * وتعرضت

لخَلِيَّةٍ خَلِيَّة * فخذ هذه الصُّبابة * وهَبْها لا خطأً ولا اصابة * فنزّل قُلّهم منزلة الكُثر * ووصل قبوله بالشكر * ثم تولّى يجرّ شقّه * وينهب بالخبط طُرُقه * قال المخبر بهذه الحكاية * فصوّر لي انّه مُحيلٌ لِحِلْيَته * متصنّع في مشيته * فنهضت انهج منهاجه * واقفو ادراجه * وهو يلحظني شزرا * ويوسعني هجرا * حتّى اذا خلا الطريق * وامكن التحقيق * نظر اليّ نظر من هشّ وبشّ * وماحض بعد ما غشّ * وقال انّي لاخالك اخا غربة * ورائد صحبة * فهل لك في رفيق يَرفُق بك ويُرفِق * وينفق عليك ويُنفِق * فقلت له لو اتاني هذا الرفيق * لواتاني التوفيق * فقال لي قد وجدت فاغتبط * واستكرمت فارتبط * ثم ضحك مليّا * وتمثّل لي بشرا سويّا * فاذا هو شيخنا السروجيّ لا قلبة بجسمه * ولا شبهة في وسمه * ففرحت بلُقْيَته * وكذب لقوته * وهممت بملامته على سوء مقامته * فشحا فاه * وانشد قبل ان الحاه *

نظم

ظهرت برثّ لكيما يقال * فقير يزجّي الزمان المزجّى

واظهرت للناس ان قد فُلجت * فكم نال قلبي به ما ترجّى

ولولا الرثاثة لم يُرْثَ لي * ولولا التفالج لم الق فُلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مرتع * ولا في اهلها مطمع * فان كنت الرفيق فالطريق الطريق * فسرنا منها متجرّدين * ورافقته عامين اجردين * وكنت على ان اصحبه ما عشت * فابى الدهر المشتّ *

المقامة الرابعة والثلثون الزبيدية

حكى الحارث بن همام * قال لمّا جُبتُ البيدَ * الى زَبيدَ * صحبني غلامٌ كنتُ ربَّيتُه الى أن بلغ أشُدَّه * وثقّفتُه حتّى أكمل رُشدَه * وكان قد أنِسَ بأخلاقي * وخَبَرَ مجاري وفاقي * فلم يكن يتخطّى مَرامي * ولا يُخطئ في المرامي * لا جرَمَ أنّ قُربه التاطَتْ بصَفَري * وأخلصتُه لحضَري وسَفَري * فألوى به الدّهرُ المُبيدُ * حين ضمّتنا زَبيدُ * فلمّا شالَتْ نَعامتُه * وسكَنَتْ نامّتُه * بقِيتُ عاماً * لا أُسيغُ طعاماً * ولا أُرِيغُ غلاماً * حتّى ألجأتني شَوائبُ الوحدة * ومَتاعِبُ القَوْمةِ والقَعدة * الى أنْ أعتاضَ عن الدُّرِّ الخرَزَ * وأرتادَ مَنْ هو سِدادٌ مِنْ عَوَزٍ * فقصدتُ مَنْ يبيعُ العبيدَ * بسُوقِ زَبيدَ * وقلتُ أُريدُ عبداً يُعجِبُ اذا قُلِّبَ * ويُحمَدُ اذا جُرِّبَ * وليكُنْ ممّن خرّجه الأكياسُ * وأخرجه الى السّوق الإفلاسُ * فاهتزّ كلٌّ منهم لمطلبي ووثَبَ * وبذَلَ تحصيلَه عن كَثَبٍ * ثم دارتِ الأهِلّةُ دَورَها * وتقلّبَتْ كَورَها وحَورَها * وما نجَزَ من وُعودِهم وَعدٌ * ولا سَحَّ لها رَعدٌ * فلمّا رأيتُ النّخّاسينَ * ناسِينَ أو مُتناسِينَ * علِمتُ أنْ ليسَ كلُّ مَنْ خلَقَ يَفْري * وأنْ لن يحُكَّ جِلدي مِثلُ ظُفُري * فرفضتُ مذهبَ التّفويضِ * وبرَزْتُ الى السّوقِ بالصُّفرِ والبِيضِ * فإنّي لأستعرِضُ الغِلمانَ * وأستعرِفُ الأثمانَ * إذْ عارضني رجُلٌ قدِ اختطَمَ بلِثامٍ * وقبضَ على زَنْدِ غلامٍ * وقال

نظم

مَنْ يشتري منّي غلاماً صَنَعا * في خَلقِه وخُلقِه قد برَعا

بكلِّ ما نطقت به مضطلعا * يشفيك إن قال وإن قلت وعى
وإن تصبك عثرة يقل لعا * وإن تسمه السعى فى النار سعى
وإن تصاحبه ولو يوما رعى * وإن تقنعه بظلف قنعا
هو على الكيس الذى قد جمعا * ما فاه قط كاذبا ولا ادعى
ولا أجاب مطمعا حين دعا * ولا استجاز نث سر أودعا
وطالما أبدع فيما صنعا * وفاق فى النثر وفى النظم معا
والله لولا ضنك عيش صدعا * وصبية أضحوا عراة جوعا
ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم * وحسنه الصميم * خلته من ولدان جنة النعيم * وقلت ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم * ثم استنطقته عن اسمه * لا لرغبة في علمه * بل لأنظر أين فصاحته من صباحته * وكيف لهجته من بهجته * فلم ينطق بحلوة ولا مرة * ولا فاه فوهة ابن أمة ولا حرة * فضربت عنه صفحا * وقلت قبحا لعيك وشقحا * فغار فى الضحك وانجد * ثم انغض رأسه الى وانشد *

نظم

يا من تلهب غيظه أن لم أبح * باسمى له ما هكذا من ينصف
إن كان لا يرضيك إلا كشفه * فاصخ له أنا يوسف أنا يوسف
ولقد كشفت لك الغطاء فان تكن * فطنا عرفت وما إخالك تعرف

قال فسرى عنّى بشعره * واستبى لبى بسحره * حتى شُدِهتُ عن التحقيق * وأُنسيتُ قصة يوسف الصِّدّيق * ولم يكن لى همٌّ لا مساومة مولاه فيه * واستطلاع طلع الثمن لا وفّيه * وكنت أحسب انه سينظر شزراً الىّ * ويغلى السيمة علىّ * فما حلّق الى حيث حلقت * ولا اعتلق بما به اعتلقت * بل قال ان العبد اذا نزر ثمنه * وخفّت مؤونه * تبرّك به مولاه * والتحف عليه هواه * وانّى لأوثر تحبيب هذا الغلام اليك * بان أُخفّف ثمنه عليك * فزن مائتى درهم ان شئت * واشكر لى ما حييت * فنقدته المبلغ فى الحال * كما ينقد فى الرخيص الحلال * ولم يخطر لى ببال * ان كلّ مرخص غال * فلما تحققت الصفقة * وحقّت الفرقة * هملت عينا الغلام * ولا هَمول دمع الغمام * ثم أقبل على صاحبه وقال *

نظم

لحاك الله هل مثلى يُباعُ * لكيما تشبع الكرش الجياعُ

وهل فى شرعة الانصاف أنّى * أُكلَّف خطّةً لا تُستطاعُ

وان أُبلى بروعٍ بعد روعٍ * ومثلى حين يُبلى لا يُراعُ

اما جرّبتنى فخبرت منّى * نصائح لم يُمازجها خداعُ

وكم أرصدتنى شركاً لصيدٍ * فعُدتُ وفى حبائلى السباعُ

ونُطت بى المصاعب فاستقادت * مُطاوعةً وكان بها امتناعُ

وأىّ كريهةٍ لم أُبلِ فيها * وغُنمٍ لم يكن لى فيه باعُ

وما ابدت لى الايام جرماً * فيكشف فى مصارمتى القناعُ

ولم تعثر بحمد الله مني * على عيبٍ يُكتَّمُ او يُذاعُ
فأنّى ساغ عندك نبذُ عهدي * كما نبذتْ براءتها الصَّناعُ
ولِمْ سمحت قرونك بامتهاني * وانْ اُشرى كما يُشرى المتاعُ
وهلّا صُنتَ عِرضي عنه صَونِي * حديثك يومَ جدَّ بنا الوداعُ
وقلتَ لِمَن يساوِمُ في هٰذا * سَكابِ فما يُعارُ ولا يُباعُ
فما انا دُونَ ذاك الطِّرفِ لكن * طِباعُك فوقها تلك الطِباعُ
على اَنّي سأُنشِدُ عند بَيعي * اَضاعُوني واَيَّ فتىً اَضاعوا

قال فلمّا وعى الشيخ اَبياته * وعقلَ مُناغاته * تنفّسَ الصُّعداءَ * وبكى حتّى اَبكى البُعداءَ * ثُمّ قال لي اِنّي اُحِلُّ هٰذا الغُلامَ مَحلَّ وَلدِي * ولا اُميّزُه عن اَفلاذِ كَبِدِي * ولولا خُلُوُّ مُراحِي * وخُبُوُّ مِصباحِي * لَما درجَ عن عُشّي * الى اَن يُشيِّعَ نَعشِي * وقد رأيتَ ما نزلَ بِهِ من لَوعةِ البَينِ * والمُؤمنُ هيِّنٌ ليِّنٌ * فهل لك في تَسلِيةِ قَلبِه * وتَسرِيةِ كَربِه * بأنْ تُعاهِدَني على الاِقالة فيه متى استقلتُ * واَنْ لا تستثقِلَني اذا انقلتُ * ففي الآثارِ المُنقاة * المُدوّنةِ عن الثِّقات * من اَقالَ نادِمًا بَيعتَه * اَقالَهُ الله عثرتَه * قال الحارثُ بن همّام فوعدتُه وعدًا اَبرزه الحياءُ * وفي القلبِ اَشياءُ * فاستدناني حينئذٍ الغُلامُ اليه * وقبّلَ ما بينَ عينَيه * واَنشدَ والدَّمعُ يرفَضُّ من جَفنَيه *

نظم

خَفِّضْ فدتكَ النّفسُ ما تُلاقِي * من بُرَحاءِ الوَجدِ والاِشفاقِ

فما تطول مدة الفراق * ولا تني ركائب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال له استودعك من هو نعم المولى * وشمر ذيله وولى * فلبث الغلام في زفير وعويل * ريثما يقطع مدى ميل * فلما استفاق * وكفكف دمعه المهراق * قال اتدري لم اعولت * وعلام عولت * قلت اظن فراق مولاك * هو الذي ابكاك * فقال انك لفي واد * وانا في واد * ولكم بين مريد ومراد * ثم انشد *

نظم

لم ابك والله على الف نزح * ولا على فوت نعيم وفرح

وانما مدمع اجفاني سفح * على غبي لحظه حين طمح

ورطه حتى تغنى وافتضح * وضيع المنقوشة البيض الوضح

ويك اما ناجتك هاتيك الملح * بانني حر وبيعي لم يبح

اذ كان في يوسف معنى قد وضح

قال فتمثلت مقاله في صراة المداعب * ومعرض الملاعب * فتصلب تصلب المحق * وتبرأ من طينة الرق * فجلنا في مخاصمة اتصلت بملاكمة * وافضت الى محاكمة * فلما اوضحنا للقاضي الصورة * وتلونا عليه السورة * قال الان من انذر * فقد اعذر * ومن حذر * كمن بشر * ومن بصر فما قصر * وان فيما شرحتماه لدليلا على ان هذا الغلام قد نبهك فما ارعويت * ونصح لك فما وعيت * فاستردا بلهك واكتمه * ولم نفسك

ولا تَلُمْه * وحاذِرْ من اعتلاقِهِ * والطمع فى استرقاقِهِ * فانّه حرُّ الاديم * غير معرَّضٍ
للتقويم * وقد كان ابوه احضره امسِ * قُبيل افول الشمس * واعترف بانّه فرعه الذي
انشاه * وان لا وارث له سواه * فقلت للقاضي اوتعرف اباه * اخزاه الله * فقال وهل
يجهل ابو زيدٍ الذى جرحه جبار * وعند كلّ قاضٍ له اخبارٌ واخبارٌ * فتحرقت حينئذٍ
وحوقلت * وافقت ولكن حين فات الوقت * وايقنت ان لثامه كان شرك مكيدته *
وبيت قصيدته * فنكس طرفي ما لقيت * وآليت ان لا اعامل متلثماً ما بقيت *
ولم ازل اتأوّه بخسر صفقتي * والافتضاح بين رفقتي * فقال لى القاضي * حين راى
امتعاضي * وتبين حرار تماضي * يا هذا ما ذهب من مالك ما وعظك * ولا اجرم
اليك من ايقظك * فاتعظ بما نابك * وكاتم اصحابك ما اصابك * وتذكر ابداً
ما دهمك * لتقي الذكرى درهمك * وتخلق بخلق من ابتلي فصبر * وتجلت له
العبر فاعتبر * فودعته لابساً ثوب الخجل والحزن * ساحباً ذيل الغبن والغبن * ونويت
مكاشفة ابي زيد بالهجر * ومصارمته مدى الدهر * فجعلت اتنكب عن ذراه * واتجنب
ان اراه * الى ان غشيني في طريقٍ ضيقٍ * فحياني تحية شيقٍ * فما زدت على ان
عبست * وما نبست * فقال ما بالك شمخت بانفك * على الفك * فقلت انسيت
انك احتلت وختلت * وفعلت فعلتك التي فعلت * فاضرط بى متهازياً * ثم انشد متلاقياً *

نظم

يا مَنْ بدا مِنْهُ صُدو * دٌ مُوحِشٌ وتَجَهُّمُ

وغدا يَرِيشُ مَلاوِمًا * مِن دُونِهِنَّ الأسْهُمُ

ويقولُ هَلْ حُرٌّ يُبا * عُ كما يُباعُ الأدْهَمُ

أقْصِرْ فما أنا فيهِ بِدْ * عًا مِثْلَ ما تَتَوَهَّمُ

قد باعَتِ الأسباطُ قَبْـ * ـلِي يُوسُفًا وهُمُ هُمُ

هٰذا وأُقْسِمُ بالَّتِي * يَسْرِي اليها المُتْهِمُ

والطّائِفِينَ بها وهُمْ * شُعْثُ النَّواصِي سُهَّمُ

ما قُمْتُ ذاكَ المَوقِفَ الْمُخْزِي * وعِندِي دِرْهَمُ

فاعْذِرْ أخاكَ وكُفَّ عنْـ * ـهُ مَلامَ مَن لا يَفْهَمُ

ثُمَّ قال أمّا مَعْذِرَتِي فقد لاحَتْ * وأما دَراهِمُك فقد طاحَتْ * فإن كان اقْشِعْرارُكَ مِنِّي * وازْوِرارُكَ عَنِّي * لِفَرْطِ شَفَقَتِكَ * على عُبْرِ نَفَقَتِكَ * فَلَسْتَ مِمَّنْ يُلْسَعُ مِن جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ * ويُوطَأُ على جَمْرَتَيْنِ * وإن كُنتَ طَوَيْتَ كَشْحَكَ * وأطَعْتَ شُحَّكَ * لِتَسْتَنْقِذَ ما عَلِقَ بأشراكي * فَلْتَبْكِ على عَقْلِكَ البَواكِي * قال الحارثُ بن هَمّام فاضْطَرَّنِي بِلَفْظِهِ الخالِبِ * وسِحْرِهِ الغالِبِ * الى أن عُدْتُ له صَفِيًّا * وبهِ حَفِيًّا * ونَبَذْتُ فَعْلَتَهُ ظِهْرِيًّا * وإن كانت شَيْئًا فَرِيًّا *

المقامة الخامسة والثلثون الشيرازية

رَوَى الحارثُ بن همّام قال مررتُ في تطوافي بشيراز * على نادٍ يستوقفُ المُجتاز * ولو كان على أوفاز * فلم أستطع تعدّيه * ولا خطت قدمي في تخطّيه * فعُجتُ إليه لأسبُرَ جوهرهِ * وأنظرَ كيف ثمرُهُ من زهرهِ * فإذا أهلُه أفرادٌ * والعائجُ إليهم مُفادٌ * وبينما نحن في فكاهةٍ أطربَ من الأغاريد * وأطيبَ من حلَب العناقيد * إذ احتفّ بنا ذو طِمرين * قد كاد يناهز العُمرين * فحيّى بلسانٍ طليق * وأبانَ إبانةَ منطيق * ثمّ احتبى حبوةَ المُتندّين * وقال اجعلنا اللهمّ من المهتدين * فازدراهُ القومُ لطِمريه * ونسوا أنّ المرءَ بأصغريه * وأخذوا يتداعون فصلَ الخطاب * ويعتدّونه عودةً من الأحطاب * وهو لا يفيضُ بكلمةٍ * ولا يُبينُ عن سمةٍ * إلى أن سبرَ قرائحهم * وخبرَ شائلهم وراجحهم * فحين استخرجَ دفائنهم * واستنثلَ كنائنهم * قال يا قومِ لو علمتم أنّ وراءَ الفِدام * صفوَ المُدام * لما احتقرتم ذا الأخلاقِ * وقلتم ما له من خلاقٍ * ثمّ فجّر من ينابيعِ الأدب * والنُّكتِ النُّخَب * ما جلبَ به بدائعَ العجب * واستوجبَ أن يُكتبَ بذوبِ الذهب * فلمّا خلبَ كلَّ خِلبٍ * وقلبَ إليه كلَّ قلبٍ * تحلحلَ * ليرحلَ * وتأهّبَ * ليذهبَ * فعلقتِ الجماعةُ بذيله * وعاقتْ مسربَ سيله * وقالت له قد أريتنا وسمَ قدحك * فخبّرنا عن قيضك ومحّك * فصمتَ صموتَ من أُفحم * ثمّ أعولَ حتّى رُحِمَ * قال الراوي فلمّا رأيتُ شوبَ أبي زيدٍ وروبه * وأسلوبه المألوفَ وصوبه * تأمّلتُ الشيخَ على سهومةِ مُحيّاه * وسهوكةِ ريّاه * فإذا هو إيّاه * فكتمتُ سرّه كما يُكتمُ الداء

الدخيل * وسترت منكره وإن لم يكن يخيل * حتى إذا انتزع عن إعواله * وقد عرف
عثوري على حاله * رمقني بعين مضحاك * ثم طفق ينشد بلسان متباك * نظم

أستغفر الله وأعنو له * من فرطات أثقلت ظهريه
يا قوم كم من عاتق عانس * ممدوحة الأوصاف في الأنديه
قتلتها لا أتقي وارثا * يطلب مني قودا أو ديه
وكلما استذنبت في قتلها * أحلت بالذنب على الأقضيه
ولم تزل نفسي في غيها * وقتلها الأبكار مستشريه
حتى نهاني الشيب لما بدا * في مفرقي عن تلكم المعصيه
فلم أرق مذ شاب فودي دما * من عاتق يوما ولا مصبيه
وها أنا الآن على ما يرى * مني ومن حرفتي المكديه
أرب بكرا طال تعنيسها * وحجبها حتى عن الأهويه
وهي على التعنيس مخطوبة * كخطبة الغانية المغنيه
وليس يكفيني لتجهيزها * على الرضا بالدون الا مائه
واليد لا توكي على درهم * والأرض قفر والسماء مصحيه
فهل معين لي على نقلها * مصحوبة بالقينة الملهيه
فيغسل الهم بصابونه * والقلب من أفكاره المضنيه

ويفتني مني الثناء الذى * يضوع رياه مع الادعيه

قال فلم يبق فى الجماعة الا من نديت له كفه * وانباع اليه عرفه * فلما نجحت بغيته * وكملت مائته * اخذ يثنى عليهم بصالح * ويشمر عن ساق سارح * فتبعته لاستعرف زبيبة خدره * ومن قتل فى حدثان امره * فكان وشك قيامى * مثل له مرامى * فازدلف منى * وقال افقه عنى *

نظم

قتل مثلى ياصاح مزج المدام * ليس قتلى باهذم اوحسام

والتى عنست هى البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام

ولتجهيزها الى الكاس والطاس قيامى الذى ترى ومقامى

فتفهم ما قلته وتحكم * فى التغاضى ان شئت اوفى الملام

ثم قال انا عربيد * وانت رعديد * وبيننا بون بعيد * ثم ودعنى وانطلق * وزودنى نظرة من ذى علق *

المقامة السادسة والثلثون الملطية

اخبر الحارث بن همام قال انخت بملطية مطية البين * وحقيبتى ملأى من العين * فجعلت هجيراى * مذ القيت بها عصاى * ان اتورد موارد المرح * واتصيد شوارد الملح * فلم يفتنى بها منظر ولا مسمع * ولا خلا منى ملعب ولا مرتع * حتى اذا لم يبق لى فيها مارب * ولا فى الثواء بها مرغب * عمدت لانفاق الذهب * فى ابتياع الاهب * فلما

أَكْمَلَتْ الإعداد * وَتَهَيَّأ الطَّعْنُ منها او كاد * رأيت تِسْعَةَ رَهْطٍ قد سَبأُوا قهوة * وارْتَبأُوا رَبْوَة * ونَدمانَتُهم قيد الالحاظ * وفُكاهتُهم حُلوة الألفاظ * فنحوتهم طَلَباً لمنادمتهم * لا لمُدامتهم * وشغفاً بممازجتهم * لا بزجاجتهم * فلمّا انتظمتُ عاشرهم * وأضحيت معاشرهم * ألفيتهم أبناء عَلّات * وقذائف فلوات * الّا ان لُحمة الادب * قد ألَّفَتْ شملهم ألفة النسب * وساوت بينهم في الرُّتَب * حتّى لاحوا مثل كواكب الجوزاء * وبدوا كالجملة المتناسبة الأجزاء * فابتهجني الاهتداء اليهم * واحمدت الطالع الذي اطلعني عليهم * وطفقت أُفيض بقِدْحي مع قداحهم * واستشفي بريا حِهم لا براحِهم * حتّى اذ تناشجون المفاوضة * الى التحاجي بالمقايضة * كقولك اذا عنيت به الكرامات * ما مثل النوم فات * فانشأنا نجلوا السها والقمر * ونجني الشوك والثمر * وبينما نحن ننثر القشيب والرث * وننثل السمين والغث * طلع علينا شيخ قد ذهب حِبْرُه وسِبْرُه * وبقي خُبْرُه وسَبْرُه * فمثل مثول من يسمع وينظر * ويلتقط ما ننثر * الى ان نفضت الاكياس * وحصحص الياس * فلمّا رأى اجبال القرائح * واكداء الماتح والمائح * جمع اذياله * وولّانا قذاله * وقال ما كل سوداء تمرة * ولا كل صهباء خمرة * فاعتلقنا به اعتلاق الحرباء بالاعواد * وضربنا دون وجهته بالاسداد * وقلنا له ان دواء الشق ان يحاص * والّا فالقصاص القصاص * فلا تطمع في ان تجرح * وتنهر الفتق وتسرح * فلوى عنانه راجعاً * ثم جثم بمكانه راصعاً * وقال امّا اذا استثرتموني بالبحث * فساحكم حكم سليمان في الحرث *

اِعلَمُوا يا ذوى الشمائل الادبِيّة * والشمولِ الذهبِيّة * انّ وضعَ الاُحجِيّة * لامتحانِ الالمعِيّة * واستخراج الخبِيّة الخفِيّة * وشرطُها ان تكونَ ذاتَ مماثلةٍ حقيقيّةٍ * والفاظٍ معنوِيّةٍ * ولطيفةٍ ادبِيّةٍ * فمتى نافَت هذا النمطَ * ضاهتِ السقَطَ * ولم تدخُلِ السفَطَ * ولم اركُم حافظتُم على هذه الحُدود * ولا مِزتُم بين المقبول والمردود * فقلنا له صدقتَ فكل لنا من لُبابِك * وافِض علينا من عُبابِك * فقال افعَلُ لِئلّا يرتابَ المُبطِلون * ويظُنّوا بى الظُّنون * ثم قابلَ ناظُورةَ القوم وقال *

نظم

يا مَن سما بذكاءٍ * فى الفضل وارِى الزِّنادِ
ماذا يُماثِل قولى * جُوعٌ اُمِدّ بزادِ

ثم ضحِكَ الى الثانى وانشدَ *

نظم

يا ذا الّذى فاقَ فضلاً * ولم يُدنِّسه شَينُ
ما مِثلُ قولِ المُحاجى * ظَهرًا اصابته عَينُ

ثم لحظَ الثالثَ وانشأَ يقول *

نظم

يا من نتائجُ فكرِه * مِثلُ النقودِ الجائِزَه
ما مِثلُ قولك للذى * حاجَيتَ صادَفَ جائِزَه

ثم التفتَ الى الرّابع وقال *

نظم

اَيا مُستنبِطَ الغامِضِ * من لُغزٍ واِضمارِ

أَلا اكْشِفْ لِي مَا مِثْلُ * تَنَاوَلْ أَلْفَ دِينَارِ

ثم رَمى الخامس ببصره وانْشَدَ *

نظم

يا أَيُّهَا الأَلمعيُّ * أَخُو الذَّكَاءِ المُنْجَلِي

ما مِثْلُ أَهْمَلَ حِلْيَةً * بَيِّنْ هُدِيتَ وَعَجِّلِ

ثُم التفتَ لِفتَ السادس وقال *

نظم

يا مَنْ تَقَصَّرَ عن مَداهُ * خُطَا مُجَارِيهِ وَتَضْعُفُ

ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلَّذِي * أَضْحَى يُحَاجِيكَ اكْفُفِ اكْفُفْ

ثُم خالج السابع بحاجبه وانْشَدَ *

نظم

يا مَنْ لَهُ فِطْنَةٌ تَجَلَّتْ * وَرُتْبَةٌ في الذَّكَاءِ جَلَّتْ

بَيِّنْ فما زِلْتَ ذا بَيَانٍ * ما مِثْلُ قَوْلِي الشَّقِيقُ أَفْلَتْ

ثُم استنصت الثامن وانْشَدَ *

نظم

يا مَنْ حَدَائِقَ فَضْلِهِ * مَطْلُولَةُ الأَزْهَارِ غَضَّه

ما مِثْلُ قولِكَ لِلمُحَاجِي ذِي الحِجَى ما اختار فِضَّه

ثُم حدج التاسع ببصره وقال *

نظم

يا مَنْ يُشَارُ اليهِ في القَلْبِ الذَّكِيِّ وفي البَرَاعَهْ

أَوْضِحْ لنا ما مِثْلُ قَوْلِكَ لِلمُحَاجِي دُسْ جَمَاعَهْ

قال الرّاوى فلمّا انتهى الىَّ * هزّ منكبىَّ * وقال * نظم

يا مَن لهُ النّكتُ الّتى * يُشجى الخصومَ بها و ينكُتُ

انتَ المُبينُ فقُل لنا * ما مثلُ قَولِى خالىَ اسكُتْ

ثُم قال قد انهلتكم وامهلتكم * وان شئتُم ان اعلّكم عللتكم * قال فالجأنا الهب الغلل * الى استسقاء العلل * فقال لستُ كمن يستاثر هلى نديمه * ولا ممّن سمنه فى اديمه *

ثُم كرّ على الاوّل وانشد * نظم

يا من اذا اشكل المعمّى * جلّته افكارهُ الدّقيقه

انْ قال يوماً لكَ المحاجى * خُذْ تلك ما مثلُه حقيقه

ثُم ثنى جيده الى الثّانى وقال * نظم

يا مَنْ بدا بيانُه * عن فضله مُبيّنا

ما ذا امثالُ قولِهم * حمارُ وحشٍ زُيّنا

ثُم اوحى الى الثالث بلحظه وقال * نظم

يا مَن غدا فى فضله * و ذكائه كالاصمعى

ما مثلُ قولك للذى * حاجاك انفق تقمعِ

ثم حملق الى الرّابع وقال * نظم

يا مَنْ اذا ما عويص * دجا انار ظلامه

ماذا يماثل قولي * استنشق ريح مدامة

ثم أومض الى الخامس وانشد *

نظم

يا من تنزه فهمه * عن ان يروى او يشكى
ما مثل قولك للذي * اضحى يحاجي غط هالكى

ثم اقبل قبل السادس وانشأ يقول *

نظم

يا اخا الفطنة التي * بان فيها كماله
سار بالليل مدة * اي شيء مثاله

ثم نحا ببصره الى السابع وقال *

نظم

يا من تحلى بفهم * اقام في الناس سوقه
لك البيان فبين * ما مثل احبب فروقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد *

نظم

يا من تبوء ذروة * في الفضل فاقت كل ذروة
ما مثل قولك اعط ابريقا * يلوح بغير عروة

ثم ابتسم الى التاسع وقال *

نظم

يا من حوى حسن الدرا * ية والبيان بغير شك
ما مثل قولك للمحا * جي ذي الذكاء النور ملكي

ثم قبض بجمعه على ردنى وقال * نظم

يا من سما بثقوب فطنته * فى المشكلات ونور كوكبه

ما ذا مثال صغير جحفلة * بينه تبيانا يتم به

قال الحارث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه * وطالبنا بكشف معناه * قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان * ولا لنا بحل هذه العقد يدان * فان ابنت * مننت * وان كتمت * غممت * فظل يشاور نفسيه * ويقلب قدحيه * حتى هان بذل الماعون عليه * فاقبل حينئذ على الجماعة وقال سأعلمكم مالم تكونوا تعلمون * ولا ظننتم انكم تعلمون * فاوكوا عليه الاوعية * وروضوا به الاندية * ثم اخذ فى تفسير صقل به الاذهان * واستفرغ معه الاردان * حتى اضحت الافهام انور من الشمس * والاكمام كان لم تغن بالامس * ولما هم بالمفر * سئل عن المقر * فتنفس * كما تتنفس الثكول * ثم انشأ يقول * نظم

كل شعب لى شعب * وبه ربعى رحب

غير انى بسروج * منتهام القلب صب

هى ارضى البكر والجو الذى منه المهب

والى روضتها الغناء دون الروض اصبو

ما حلا لى بعدها حلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوى فقلت لاصحابى * هذا ابوزيد السروجى * الذى اذنى ملحه الاحاجى *

اَخَذْتُ اَصِفُ لهم حُسْنَ تَوشِيَتِهِ وانقيادَ الكلامِ لمشيّتِهِ * ثم التفتُّ فاذا به قد طمر * ونآء بما قمر * فعجبنا مما صنع * ولم ندرِ اين سكع وصقع *

تفسير الاحاجي المودعة هذه المقامة

امّا جوعٌ اُمِدّ بزادٍ فمثله طوامير * واما ظهرٌ اصابته عينٌ فمثله مطاعين * واما صادٌ في جايزةٍ فمثله الفاصلة * واما تناول الف دينارٍ فمثله هادية * واما اَهْمَلَ حِليةً فمثله الغاشية * واما اكفف اكفف فمثله مهمه * واما الشقيق افلت فمثله الاخطار * واما ما اختار فضةً فمثله ابارقه لان الرقة من اسماء الفضة وقد نطق بها النبيّ صلى الله عليه وسلم فقال في الرِّقةِ رُبع العُشر * واما دُسْ جماعةً فمثله طافية * واما خالي اسكت فمثله خالصه لانك اذا ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنةً ومتحركةً وقد حذف ههنا حرف النداء كما حذفه في اصل الاحجية وصه بمعنى اسكت * واما خذ تلك فمعناه هاتيك * واما حمار وحشٍ زيّنا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الخبر كل الصيد في جوف الفرا * واما قوله انفق تقمع فمثله منتقم لان الامر من مان يمون من ومضارع وقمت تقم * واما استنش ريح مدامه فمثله رحراح لان الامر من استدعاء الرائحة رح * واما غط هلكى فمثله صنبور لان البور هم الهلكى وفي القرآن كنتم قوما بورا * واما سار بالليل مدةً فمثله سراحين * واما احبب فروقه فمثله مقلاع لان الامر من ومق يمق مق واللاع الجبان يقال فلانٌ هاعٌ لاعٌ اذا كان جبانا جزوعا * واما اعط

أُبْريقًا يلوح بغير عُرْوةٍ فمثله أُسْكوب لأنّ الأوسَ العطاء والأمر منه أُس والكُوبُ الابريق بغير عُرْوةٍ * واما الثَّوْر مِلْكِى فمثله اللآلى لان اللأْى على وزن القنا هو ثور الوَحْش * واما صَفيرُ جَحفلةٍ فمثله مُكاشَفة لان المُكا الصفير قال الله تعالى وما كان صلوتهم عند البيت الاّ مُكاءً وتصدية والاصل فى المُكا المدّ ولكنّه قصره فى هذه الأُحْجية كما حذفَ همزةَ الفرا فى أحْجِيته وكلا الأمْرين من قصر الممدود وحذفِ همزة المهموز جائزٌ *

المقامة السابعة والثلثون الصعدية

حكى الحارث بن همام قال اصعدتُّ الى صَعدة * وانا ذو شَطاطٍ يحكى الصَّعْدَة * واشتدادٍ يبدّ رُبّنات صَعدة * فلمّا رأيتُ نَضْرتَها * ورعيتُ خُضْرتهـا * سألتُ نحارير الرُّواة * عمّن تحْوِيه من السّراة * ومعادِنِ الخَيْـرات * لأتّخذه جِذْوةً فى الظُّلمات * ونَجْدةً فى الظُّلامات * فُنِعتَ لى قاضٍ بها رحيبُ البـاع * خَصيبُ الرِّباع * تميمىّ النَّسب والطِّباع * فلم أزلْ أتقرّبُ اليه بالإِلمام * وأتنفّقُ عليه بالإِجمام * حتى صِرتُ صَدى صوته * وسَلْمانَ بيتِه * وكنتُ مع اشتيارِ شَهْدِه * وانتشاقِ رَنْدِه * أشهدُ مَشاجرَ الخُصوم * وأسْفِر بين المعصوم منهم والموصوم * فبينما القاضى جالسٌ للإِسْجال * فى يومِ المَحفِل والاحتفال * إذْ دخلَ شيخٌ بالى الرِياش * بادى الارتعاش * فتبصّرَ الحفْلَ تبصُّرَ نقّادٍ * ثم زعمَ انّ له خَصمًا غيـرَ مُنقادٍ * فلم يكُنْ الاّكضوءِ شرارةٍ * اوْ وحْيِ اشارةٍ * حتّى أُحْضِرَ غلامٌ * كأنّه ضِرغامٌ * فقال الشّيخُ أيّدَ اللهُ القاضِى * وعصمَه من التّغاضِى *

إنّ ابني هذا كالقلم الرديّ * والسيف الصديّ * يجهل أوصاف الإنصاف * ويرتضع أخلاف الخلاف * إن أقدمت أحجم * وإذا أعربت أعجم * وإن أذكيت أخمد * ومتى شويت رمّد * مع أنّي كفلته مذ دبّ * إلى أن شبّ * وكنت له ألطف من ربيّ وربّ * فأكبر القاضي ما شكا إليه * وأطرف به من حواليه * ثم قال أشهد أنّ العقوق أحد الثكلين * ولربّ عقيم أقرّ للعين * فقال الغلام * وقد أمضّه هذا الكلام * والذي نصب القضاة للعدل * وملّكهم أعنّة الفصل والفصل * إنه ما دعا قطّ إلا أمّنت * ولا ادّعى إلا آمنت * ولا لبّى إلا وأحرمت * ولا أورى إلا وأضرمت * بيد أنّه كمن يبتغي بيض الأنوق * ويطلب الطيران من النوق * فقال له القاضي وبم أعنتك * وامتحن طاعتك * قال إنّه مذ صفر من المال * ومني بالإمحال * يسومني أن أتلمّظ بالسؤال * وأستمطر سحب النوال * ليفيض شربه الذي غاض * وينجبر من حاله ما انهاض * وقد كان حين أخذني بالدرس * وعلّمني أدب النفس * أشرب قلبي أنّ الحرص متعبة * والطمع معتبة * والشره متخمة * والمسئلة ملأمة * ثم أنشدني من فلق فيه * ونحت قوافيه *

نظم

إرض بأدنى العيش واشكر عليه * شكر من القلّ كثير لديه
وجانب الحرص الذي لم يزل * يحطّ قدر المترقي إليه
وحام عن عرضك واستبقه * كما يحامي الليث عن لبدتيه

واصبر على ما ناب من فاقة * صبر اولى العزم واغمض عليه
ولا ترق ماء المحيا ولو * خولك المسئول ما في يديه
فالحر من ان قذيت عينه * اخفى قذى جفنيه عن ناظريه
ومن اذا اخلق ديباجه * لم يران يخلق ديباجتيه

قال فعبس الشيخ واكفهر * واند رأ على ابنه وهر * وقال له صه يا عقق * يا من هو الشجى والشرق * ويلك اتعلم امك البضاع * وظئرك الارضاع * لقد تحككت العقرب بالافعى * واستنت الفصال حتى القرعى * ثم كانه ندم على ما فرط من فيه * وحدته المقة على تلافيه * فرنا اليه بعين عاطف * وخفض له جناح ملاطف * وقال ويك يا بني ان من امر بالقناعة * وزجر عن الضراعة * هم ارباب البضاعة * واولو المكسبة بالصناعة * فاما ذوو الضرورات * فقد استثنى بهم في المحظورات * وهبك جهلت هذا التأويل * ولم يبلغك ما قيل * ألست الذي عارض اباه * اذ قال وما حاباه *

نظم

لا تقعدن على ضر ومسغبة * لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل ارض معطلة * من النبات كارض حفها الشجر
فعد عما يشير الاغبياء به * فاي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به * الى الجناب الذي يهمي به المطر

وَاسْتَنْزِلِ الرِّيَّ مِنْ دَرِّ السَّحابِ فَإِنْ * بَلَّت يداك به فليهنك الظَّفَرُ

وَإِنْ رُدِدتَ فما في الرَّدِّ مَنْقَصَةٌ * عليك قد رُدَّ مُوسى قبلُ والخَضِرُ

فلما رأى القاضي تنافي قول الفتى وفعلِه * وتحليه بما ليس من أهله * نظر اليه بعين غَضْبى * وقال أتميميا مرةً وقيسيًّا اخرى * أُفٍّ لمن ينقض ما يقول * ويتلوّن كما يتلوّن الغُول * فقال الغلامُ والذي جعلك مفتاحًا للحقِّ * وفتّاحًا بين الخلق * لقد أُنسيتُ مذ أسيتُ * وصدئ ذهني مذ صديتُ * على أنه أين البابُ الفُتُح * والعطاءُ السُّرُح * وهل بقي من يتبرع باللُّها * وان استُطعِمَ يقول ها * فقال له القاضي مَهْ فمع الخواطئ سَهْمٌ صائبُ * وما كلُّ برقٍ خالبٌ * فميِّزِ البروقَ اذا شِمتَ * ولا تشهد الا بما علمتَ * فلما تبيّن للشيخ أن القاضي قد غضب للكرام * وأعظم تبخيلَ جميع الأنام * علم أنه سينتصر كلمته * ويُظهر أُكرومته * فما كذب أن نصب شبكته * وشوى في الحريق سمكته * وأنشأ يقـــولُ *

نظم

يا أيها القاضي الذي علمُه * وحلمُه أرسخُ من رَضْوى

قد ادّعى هذا الخلِي جهـلَه * أن ليس في الدنيا أخو جدوى

وما درى أنك من معشرٍ * عطاؤهم كالمنِّ والسلــوى

فجُــدْ بما يثنيه مُستخزيًا * مما افترى من كذبِ الدعوى

وانثني جذلان أُثني بما * أُوليتُ من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله * واجزل له من طوله * ثم لفت وجهه الى الغلام * وقد نصل له اسهم الملام * وقال له ارأيت بطل زعمك * وخطأ وهمك * فلا تعجل بعدها بذم * ولا تنحت عودا قبل عجم * واياك وتأبيك * عن مطاوعة ابيك * فانك ان عدت تعقه * حاق بك مني ما تستحقه * فسقط الفتى في يده * ولاذ بحقو والده * ثم نهض يحفد * وتبعه الشيخ ينشد *

نظم

من ضامه اوضاره دهره * فليقصد القاضي في صعده
سماحه ازرى بمن قبله * وعدله اتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره * الى ان احرورف لمسيره * فناجتني النفس باتباعه * ولو الى رباعه * لعلي اظهر على اسراره * واعرف شجرة ناره * فنبذت العلق * وانطلقت حين انطلق * ولم يزل يخطو واعتقب * ويبعد واقترب * الى ان ترأى الشخصان * وحق التعارف على الخلصان * فابدى حينئذ الاهتشاش * ورفع الارتعاش * وقال من كاذب اخاه فلا عاش * فعرفت عند ذلك انه السروجي بلا محالة * ولا حوول حالة * فبادرت اليه لاصافحه * واستعرف سانحه وبارحه * فقال دونك ابن اخيك البر * وتركني ومر * فلم يعد الفتى ان افتر * ثم فر كما فر * فعدت وقد استبنت عينهما * ولكن اين هما *

المقامة الثامنة والثلثون المروية

حكى الحارث بن همّام * قال حُبِّب اليّ مُذ سعت قدمي * ونفث قلمي * ان اتّخذ الادب شِرعة * والاقتباس منه نُجعة * فكنت أُنقّب من اخباره * وخزنة اسراره * فاذا ألفيتُ منهم بُغية الملتمس * وجذوة المقتبس * شددتُ يدي بغرزه * واستنزلتُ منه زكوة كنزه * على انّي لم ألق كالسروجيّ في غزارة السحب * ووضع الهناء مواضع النقب * الا انّه كان أسير من المثل * واسرع من القمر في النقل * وكنت لهوى ملاقاته * واستحسان مقاماته * أرغب في الاغتراب * واستعذب السفر الّذي هو قطعة من العذاب * فلما تطوّحت الى مرو * ولا غرو * بشّرني بملقاه زجر الطير * والفال الذي هو بريد الخير * فلم ازل أنشده في المحافل * وعند تلقّي القوافل * فلا اجد عنه مخبرا * ولا ارى له اثرا ولا عثيرا * حتّى غلب الياس الطمع * وانزوى التاميل وانقمع * فانّي لذات يوم بحضرة والي مرو * وكان ممّن جمع الفضل والسرو * اذ طلع ابو زيد في خلق مملاق * وخلق ملّاق * فحيّى الوالي تحيّة المحتاج * اذا لقي ربّ التاج * ثم قال له اعلم وُقيت الذمّ * وكُفيت الهمّ * انّ من عذقت به الاعمال * أُعلقت به الآمال * ومن رُفعت له الدرجات * رُفعت اليه الحاجات * وانّ السعيد من اذا قدر * وواتاه القدر * ادّى زكوة النعم * كما يؤدّي زكوة النعم * والتزم لأهل الحرم * كما يلتزم للأهل والحرم * وقد اصبحت بحمد الله عميد مصرك * وعماد عصرك * تزجى الركائب الى حرمك * وتُرجى

الرَّغائِبُ من كَرَمِك * وتُنزَلُ المَطالِبُ بساحَتِك * وتُستَنزَلُ الراحةُ من راحَتِك * وكان فَضلُ اللهِ عليكَ عظيماً * وإحسانُهُ لدَيْك عميماً * ثم إنّي شيخٌ تَرِبَ بعدَ الإتراب * وعدِمَ الإعشابَ حين شاب * قصدتُك من مَحَلَّةٍ نازحةٍ * وحالةٍ رازحةٍ * آمُلُ من بَحرِك دُفعةً * ومن جاهِك رِفعةً * والتأميلُ أفضلُ وسائلِ السائلِ * ونائِلُ النائلِ * فأوجِبْ لي ما يَجِبُ عليك * وأحسِنْ كما أحسَنَ اللهُ إليك * وإيّاكَ أن تَلْوِيَ عِذارَك * عمّن ازدارك * وأمَّ دارَك * أو تقبِضَ راحَك * عمّن امتاحَك * وامتارَ سَماحَك * فواللهِ ما مَجَدَ من جَمَدَ * ولا رشَدَ من حشَدَ * بل اللبيبُ مَنْ إذا وجَدَ جادَ * وإنْ بدَأَ بعائِدةٍ عادَ * والكريمُ مَن إذا استُوهِبَ الذَّهَبَ * لم يَهَبْ أن يَهَبَ * ثم أمسَكَ يرقُبُ أُكُلَ غرسِهِ * ويرصُدُ مَطِيَّةَ نفسِهِ * وأحَبَّ الوالي أن يعلَمَ هل نُطفتُهُ ثَمَدٌ * أم لقَريحَتِهِ مَدَدٌ * فأطرَقَ يُرَوّي في استِيراءِ زَندِهِ * واستِشفافِ فِرِندِهِ * والتبَسَ على أبي زيدٍ سِرُّ صَمتَتِهِ * وسبَبُ إرجاءِ صِلَتِهِ * فتَوَغَّرَ غضَباً * وأنشَدَ مُقتَضِباً *

نظم

لا تحقِرَنَّ أُبَيتَ اللعنَ ذا أدبٍ * لأنْ بدا خَلَقَ السِّربالِ سُبْروتا
ولا تُضِعْ لأخي التأميلِ حُرمتَهُ * أكانَ ذا لَسَنٍ أم كانَ سِكّيتا
وانفَحْ بعُرفِك مَن وافاك مُختبِطاً * وانعَشْ بغَوثِك مَنْ ألفَيتَ منكوتا
فخيرُ مالِ الفتى مالٌ أشادَ لهُ * ذِكراً تناقلهُ الرُّكبانُ أو صيتا
وما على المُشتري حمدٌ بموهبةٍ * غَبْنٌ ولو كانَ ما أعطاهُ ياقوتا

لَوْلَا الْمُرُوَّةُ ضَاقَ الْعُذْرُ عَنْ فَطِنٍ * إِذَا اشْرَأَبَّ إِلَى مَا جَاوَزَ الْقُوتَا

لٰكِنَّهُ لِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ جَدَّ وَمَنْ * حُبِّ السَّمَاحِ ثَنَى نَحْوَ الْغِنَى لِيتَا

وَمَا تَنَشَّقَ نَشْرَ الشُّكْرِ ذُو كَرَمٍ * إِلَّا وَأَزْرَى بِنَشْرِ الْمِسْكِ مَفْتُوتَا

وَالْحَمْدُ وَالْبُخْلُ لَمْ يُفْضِ اجْتِمَاعُهُمَا * حَتَّى لَقَدْ خِيلَ ذَا ضَبًّا وَذَا حُوتَا

وَالسَّمْحُ فِي النَّاسِ مَحْبُوبٌ خَلَائِقُهُ * وَالْجَامِدُ الْكَفِّ مَا يَنْفَكُّ مَمْقُوتَا

وَلِلشَّحِيحِ عَلَى أَمْوَالِهِ عِلَلٌ * يُوسِعْنَهُ أَبَدًا ذَمًّا وَتَبْكِيتَا

فَجُدْ بِمَا جَمَعَتْ كَفَّاكَ مِنْ نَشَبٍ * حَتَّى يُرَى مُجْتَدِي جَدْوَاكَ مَبْهُوتَا

وَخُذْ نَصِيبَكَ مِنْهُ قَبْلَ رَائِعَةٍ * مِنَ الزَّمَانِ تُرِيكَ الْعُودَ مَنْحُوتَا

فَالدَّهْرُ أَنْكَدُ مِنْ أَنْ تَسْتَمِرَّ بِهِ * حَالٌ تَكَرَّهْتَ تِلْكَ الْحَالَ أَمْ شِئْتَا

فَقَالَ لَهُ الْوَالِي تَاللّٰهِ لَقَدْ أَحْسَنْتَ * فَأَيُّ وَلَدِ الرَّجُلِ أَنْتَ * فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَنْ عُرُضٍ * ثُمَّ أَنْشَدَ وَهُوَ مُغْضٍ *

نظم

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ مَنْ أَبُوهُ وَرُزْ * خِلَالَهُ ثُمَّ صِلْهُ أَوْ فَاصْرِمِ

فَمَا يَشِينُ السُّلَافَ حِينَ حَلَا * مَذَاقُهَا كَوْنُهَا ابْنَةَ الْحِصْرِمِ

قَالَ فَقَرَّبَهُ الْوَالِي لِبَيَانِهِ الْفَاتِنِ * حَتَّى أَحَلَّهُ مَقْعَدَ الْخَاتِنِ * ثُمَّ فَرَضَ لَهُ مِنْ سُيُوبِ نَيْلِهِ * مَا آذَنَ بِطُولِ ذَيْلِهِ * وَقِصَرِ لَيْلِهِ * فَنَهَضَ عَنْهُ بِرُدْنٍ مَلْآنَ * وَقَلْبٍ جَذْلَانَ * وَتَبِعْتُهُ حَاذِيًا حَذْوَهُ * وَقَافِيًا خَطْوَهُ * حَتَّى إِذَا خَرَجَ مِنْ بَابِهِ * وَفَصَلَ عَنْ غَابِهِ * قُلْتُ

له هُنِّئتَ بما أُوتيتَ * ومُلِّيتَ بما أُولِيتَ * فاسفر وجهه وتلألأ * ووالى شكر الله تعالى *

نظم

ثم خطر اختيالا * وانشد ارتجالا *

من يكن نال بالحماقة حظّا * او سما قدره لطيبِ الأصولِ

فبفضلي انتفعتُ لا بفضولي * وبقولي ارتفعتُ لا بقبولي

ثم قال تعسًا لمن جدب الادب * وطوبى لمن جدّ فيه ودأب * ثم ودّعني وذهب *

واودعني اللهب *

المقامة التاسعة والثلثون العمانية

حدث الحارث بن همّام * قال لهجتُ مذ اخضرّ ازاري * وبقل عذاري * بان

اجوب البراري * على ظهور المهاري * أُنجد طورًا * واسلكُ تارةً غورًا * حتى

فليتُ المعالمَ والمجاهل * وبلوتُ المنازلَ والمناهل * وادميتُ السنابكَ والمناسم * وانضيتُ

السوابقَ والرواسم * فلما مللتُ الاصحار * وقد سنح لي ارب بصحار * ملتُ الى اختبار التيّار *

واختيار الفلك السيّار * فنقلتُ اليه اساودي * واستصحبتُ زادي ومزاودي * ثم ركبتُ

فيه ركوب حاذرٍ ناذرٍ * عاذلٍ لنفسه وعاذرٍ * فلما شرعنا في القلعة * ورفعنا الشرع للشرعة * سمعنا

من شاطي المرسى * حين دجى الليل واغسى * هاتفًا يقول يا اهل ذا الفلك القويم * المزجّى في

في البحر العظيم * بتقدير العزيز العليم * هل ادلّكم على تجارة تنجيكم من عذابٍ اليم *

فقلنا له اقبسنا نارك ايها الدليل * وارشدنا كما يرشد الخليلَ الخليلُ * فقال أتستصحبون

ابن سبيل * زاده في زبيل * وظله غير ثقيل * وما يبغي سوى مقيل * فاجمعنا على الجنوح اليه * وان لا نبخل بالماعون عليه * فلما استوى على الفلك * قال اعوذ بمالك الملك * من مسالك الهلك * ثم قال انا روينا في الاخبار * المنقولة عن الاحبار * ان الله تعالى ما اخذ على الجهال ان يتعلموا * حتى اخذ على العلماء * ان يعلموا * وان معي لعوذة * عن الانبياء * ماخوذة * وعندي لكم نصيحة * براهينها صحيحة * وما وسعني الكتمان * ولا من خيمي الحرمان * فتدبروا القول وتفهموا * واعملوا بما تعلمون وعلموا * ثم صاح صيحة المباهي * وقال اتدرون ما هي * هي والله حرز السفر * عند مسيرهم في البحر * والجنة من الغم * اذا جاش موج اليم * وبها استعصم نوح يوم الطوفان * ونجا ومن معه من الحيوان * على ما صدعت به آي القرآن * ثم قرأ بعد اساطير تلاها * وزخارف جلاها * وقال اركبوا فيها * بسم الله مجريها ومرسيها * ثم تنفس تنفس المغرمين * او عباد الله المكرمين * وقال اما انا فقد قمت فيكم مقام المبلغين * ونصحت لكم نصح المبالغين * وسلكت بكم محجة الراشدين * فاشهد اللهم وانت خير الشاهدين * قال الحارث بن همام فاعجبنا بيانه البادي الطلاوة * وعجت له اصواتنا بالتلاوة * وآنس قلبي من جرسه * معرفة عين شمسه * فقلت له بالذي سخر البحر اللجي * الست السروجي * فقال لي بلى * وهل يخفى ابن جلا * فاحمدت حينئذ السفر * وسفرت عن نفسي اذ سفر * ولم نزل نسير والبحر

رَهْوٌ * والجوُّ صَحْوٌ * والعَيْشُ صَفْوٌ * والزَّمانُ لَهْوٌ * وانا اَجِدُ لِلِقيانِهِ * وَجْدَ المُثْرِي بِعِقيانِهِ * وأفرَحُ بِمُناجاتِهِ * فَرَحَ الغَريقِ بِمَنْجاتِهِ * الى انْ عَصَفَتِ الجَنوبُ * وعَسَفَتِ الجُنوبُ * ونَسِيَ السَّفْرُ ما كانَ * وجاءهم المَوْجُ مِن كُلِّ مَكانٍ * فمِلْنا لِهذا الحَدَثِ الثّائِرِ * الى اِحدى الجَزائِرِ * لِنُريحَ ونَستَريحَ * رَيْثَما تُواتي الرِّيحُ * وتَمادى اعتِياصُ المَسيرِ * حتّى نَفِدَ الزّادُ غيرَ اليَسيرِ * فقال لي ابو زيد انّه لن يُحْرِزَ جَنَى العُودِ بالقُعودِ * فهل لك في استِثارةِ السُّعودِ بالصُّعودِ * فقُلتُ له انّي لك لَأَتْبَعُ من ظِلِّكَ * وأَطْوَعُ من نَعلِكَ * فنَهَدْنا الى الجَزيرةِ * على ضَعْفٍ من المَريرةِ * لِنَرْكُضَ في امتِراءِ المِيرَةِ * وكِلانا لا يَمْلِكُ فَتيلاً * ولا يَهتدي فيها سَبيلاً * فاقبلنا نَجُوسُ خِلالَها * ونَتَفَيَّأُ ظِلالَها * حتّى اَفْضَينا الى قَصْرٍ مَشيدٍ * له بابٌ من حَديدٍ * ودُونَه زُمْرةٌ من عَبيدٍ * فناسَمْناهم لِنَتَّخِذَهم سُلَّمًا الى الارتقاءِ * وأَرْشِيَةً للاستقاءِ * فالفَيْنا كُلًّا منهم في مَسْكِ كَسيرٍ * وكَرْبِ اَسيرٍ * فقُلنا ايّتُها الغِلمةُ * لِمَ هذه الغُمّةُ * فلم يُجيبوا النِّداءَ * ولا فاهوا بِبَيضاءَ ولا سَوداءَ * فلما رأينا نارَهم نارَ الحُباحِبِ * وخَبَرَهم كسَرابِ السَّباسِبِ * قُلنا شاهَتِ الوُجوهُ * وقُبِّحَ اللُّكَعُ ومَن يرجوه * فابتدَرَ خادِمٌ قد عَلَتْه كَبْرةٌ * وعَرَتْه عَبْرةٌ * وقال يا قومِ لا تُوسِعونا سَبًّا * ولا تُوجِعونا عَتْبًا * فانّا لفي حُزْنٍ شامِلٍ * وشُغْلٍ عن الحَديثِ شاغِلٍ * فقال له ابو زيد نَفِّسْ خُناقَ البَثِّ * وانفُثْ اِن قَدَرْتَ على النَّفْثِ * فانّك ستَجِدُ مِنّي عَرّافاً كافياً * ووَصّافاً شافياً * فقال اعلم انّ رَبَّ هذا القَصْرِ هو قُطبُ هذه البُقعةِ * وشاهُ هذه الرُّقعةِ *

الا انه لم يخل من كمد * لخلوه من ولد * ولم يزل يستكرم المغارس * ويتخير من المغارس النفائس * الى ان بشر بحمل عقيلته * وآذنت رقلته بفسيلته * فنذرت له النذور * واحصيت الايام والشهور * ولما حان النتاج * وصيغ له الطوق والتاج * عسر مخاض الوضع * حتى خيف على الاصل والفرع * فما فينا من يعرف قرارا * ولا يطعم النوم الا غرارا * ثم اجهش بالبكاء واعول * وردد الاسترجاع وطول * فقال له ابو زيد اسكن يا هذا واستبشر * وابشر بالفرج وبشر * فعندي عزيمة الطلق * التي انتشر سمعها في الخلق * فتبادرت الغلمة الى مولاهم * متباشرين بانكشاف بلواهم * فلم يكن الا * كلا ولا * حتى برز من هلم بنا اليه * فلما دخلنا عليه * ومثلنا بين يديه * قال لابي زيد ليهنك منالك * ان صدق مقالك * ولم يفل فالك * فاستحضر قلما مبريا * وزبدا بحريا * وزعفرانا قد ديف * في ماء ورد نظيف * فما ان رجع النفس * حتى احضر ما التمس * فسجد ابو زيد وعفر * وسبح واستغفر * ثم اخذ القلم واستخفر * وكتب على الزبد بالمزعفر *

نظم

ايهذا الجنين اني نصيح * لك والنصح من شروط الدين

انت مستعصم بكن كنين * وقرار من السكون مكين

ما ترى فيه ما يروعك من الف مداج ولا عدو مبين

فمتى ما برزت منه تحولت الى منزل الاذى والهون

وترى اى لك الشقاء الذى تلقى فتبكي له بدمع هتون

فاستدِمْ عيشكَ الرَّغيدَ وحاذِرْ * انْ تبيعَ المحققَ بالمظنونِ

واحترِسْ من مُخادعٍ لك يرقيكَ ليُلقيكَ في العذابِ المهينِ

ولَعَمري لقد نَصحتُ ولكنْ * كمْ نصيحٍ مُشبَّهٍ بظنينِ

ثمَّ انَّه طمسَ المكتوبَ على غفلةٍ * وتفلَ عليه مائةَ تفلةٍ * وشدَّ الزبدَ في خرقةِ حريرٍ * بعدَ ما ضمَّخها بعبيرٍ * وأمرَ بتعليقها على فخذِ الماخضِ * وانْ لا تعلقَ بها يدُ حائضٍ * فلم يكُ الاكذواقِ شاربٍ * او فواقِ حالبٍ * حتَّى اندلقَ شخصُ الولدِ * لخصيصي الزبدِ * بقدرةِ الواحدِ الصمدِ * فامتلأَ القصرُ حبوراً * واستُطيرَ عميدُهُ وعبيدُهُ سروراً * واحاطتِ الجماعةُ بابي زيدٍ تُثني عليه * وتقبِّلُ يديهِ * وتتبرَّكُ بمساسِ طمريهِ * حتَّى خُيِّلَ اليَّ انَّهُ القرنيُّ أُويسٌ * او الاسديُّ دُبيسٌ * ثمَّ انثالَ عليه من جوائزِ المجازاةِ * وصلاتِ الصِّلاتِ * ما قيَّضَ له الغنى * وبيَّضَ وجهَ المنى * ولم يخلْ ينتابهُ الدَّخْلُ * مُذ نُتِجَ السَّخْلُ * الى انْ أُعطيَ البحرُ الامانَ * وتسنَّى الاتمامُ الى عُمانَ * فاكتفى ابو زيدٍ بالنِّحلةِ * وتأهَّبَ للرِّحلةِ * فلم يسمحِ الوالي بحركتهِ * بعدَ تجربةِ بركتهِ * بل أوعزَ بضمّهِ الى خزانتهِ * وانْ تُطلقَ يدُهُ في خزانتهِ * قال الحارثُ بنُ همامٍ فلمَّا رأيتهُ قدمالَ * الى حيثُ يكتسبُ المالَ * انحيتُ عليه بالتعنيفِ * وهجَّنتُ له مفارقةَ المألفِ والاليفِ * فقالَ اليكَ عنِّي * واسمعْ منِّي *

نظم

لا تصبُوَنَّ الى وطنْ * فيهِ تُضامُ وتُمتهنْ

وارْحَلْ عن الدارِ التي * تُعْلي الوِهادَ على القُنَنْ
واهْرُبْ الى كِنٍّ يَقِي * ولَوَ انَّه حِضْنا حَضَنْ
وارْبأْ بِنفسِك أن تُقِيمَ بحيث يغشاك الدَرَنْ
وجُبِ البِلادَ فأيُّها * أرضاك فاخْتَرْه وَطَنْ
ودَعِ التَذكُّرَ للمعا * هِدِ والحَنِينَ الى السَكَنْ
واعلَمْ بانَّ الحُرَّ في * أوطانِه يَلْقَى الغَبَنْ
كالدُرِّ في الاصدافِ يُسْتَزْرَى ويُبْخَسُ في الثَمَنْ

ثُم قال حَسْبُك ما استَمَعْتَ * وحَبَّذا انتَ لوِ اتَّبَعْتَ * فاوضَحْتُ له مَعاذِيري * وقلتُ له كُنْ عَذِيري * فعَذَرَ واعتذَر * وزَوَّدَ حتّى لم يَذَرْ * ثُمّ شيَّعَني تَشْيِيعَ الاقارِب * الى ان رِكِبْتُ في القارِب * فودَّعْتُه وانا أشكُو الفِراقَ وأذُمُّه * وأوَدُّ لو كانَ هَلَكَ الجَنِينُ وأُمُّه *

المقامة الاربعون التبريزية

أخبرَ الحارثُ بنُ همّام * قال أزمَعْتُ التَّبرِيزَ من تَبْرِيزَ * حين نَبَتْ بالذليل والعزيز * وخَلَتْ من المُجِيرِ والمُجيز * فبينما انا في إعدادِ الأُهْبَة * وارتيادِ الصُّحْبَة * لقِيتُ ابا زيدٍ السَّروجيَّ مُلتفًّا بكساءٍ * ومُحتفًّا بنساءٍ * فسألتُه عن خَطْبِه * والى أينَ يَسْرُبُ مع سِرْبِه * فأومأَ الى امرأةٍ منهُنّ باهرةِ السُّفور * ظاهرةِ النُّفور * وقال تزوَّجتُ هذه

لتؤنسني في الغربة * وترحض عني قشف العزبة * فلقيت منها عرق القربة * تمطلني
بحقي * وتكلفني فوق طوقي * فانا منها نضو وجى * وحلف شجو وشجي * وها نحن
قد تساعينا الى الحاكم * ليضرب على يد الظالم * فان انتظم بيننا الوفاق * والا فالطلاق
والانطلاق * قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب * وكيف يكون المنقلب * فجعلت
شغلي دبر اذني * وصحبتهما وان كنت لا اغني * فلما حضرا القاضي وكان ممن
يرى فضل الامساك * ويضن بنفاثة السواك * جثا ابو زيد بين يديه * وقال ايد الله
القاضي واحسن اليه * ان مطيتي هذه ابية القياد * كثيرة الشراد * مع اني اطوع لها
من بنانها * واحنى عليها من جنانها * فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز
يغضب الرب * ويوجب الضرب * فقالت انه ممن يدور خلف الدار * ويأخذ الجار
بالجار * وليس لي على ذلك اصطبار * فقال له القاضي تبا لك اتبذر في السباخ * وتستفرخ
حيث لا افراخ * اغرب عني لا نعم عوفك * ولا امن خوفك * فقال ابو زيد انها ومرسل
الرياح * لاكذب من سجاح * فقالت بل هو ومن طوق الحمامة * وجنح النعامة *
اكذب من ابي ثمامة * حين مخرق باليمامة * فزفر ابو زيد زفير الشواظ * واستشاط استشاطة
المغتاظ * وقال لها ويلك يا دفار يا فجار * يا غصة البعل والجار * اتعمدين في الخلوة لتعذيبي *
وتبدين في الحفلة تكذيبي * وقد علمت اني حين بنيت عليك * ورنوت اليك * الفيتك
اقبح من قردة * وايبس من قدة * واخشن من ليفة * وانتن من جيفة * واثقل من

هيضة * وأقذر من حيضة * وأبرز من قشرة * وأبرد من قرّة * وأحمق من رجلة *
وأوسع من دجلة * فسترت عوارك * ولم أبد عارك * على أنه لو حبتك شيرين بجمالها *
وزبيدة بمالها * وبلقيس بعرشها * وبوران بفرشها * والزبّاء بملكها * ورابعة بنسكها * وخندف
بفخرها * والخنساء بشعرها في صخرها * لأنفت أن تكوني قعيدة رحلي * وطروقة فحلي * قال
فتذمّرت المرأة وتنمّرت * وحسرت عن ساعدها وشمّرت * وقالت له يا ألأم من
مادر * وأشأم من قاشر * وأجبن من صافر * وأطيش من طامر * أترميني بشنارك *
وتفري عرضي بشفارك * وأنت تعلم أنك أحقر من قلامة * وأعيب من بغلة أبي
دلامة * وأفضح من حبقة في حلقة * وأحير من بقّة في حقّة * وهبك الحسن في لفظه
ووعظه * والشعبيّ في علمه وحفظه * والخليل في عروضه ونحوه * وجريرا في غزله
وهجوه * وقسّا في فصاحته وخطابته * وعبد الحميد في بلاغته وكتابته * وأبا عمرو في
قراءته وإعرابه * وابن قريب في روايته عن أعرابه * أتظنّني أرضاك إماما لمحرابي *
وحساما لقرابي * لا والله ولا بوّابا لبابي * ولا عصا لجرابي * فقال لهما القاضي
أراكما شنّا وطبقة * وحدأة وبندقة * فاترك أيها الرجل اللدد * واسلك في سيرك الجدد *
وأمّا أنت فكفّي عن سبابه * وقرّي إذا أتى البيت من بابه * فقالت المرأة والله
ما أسجن عنه لساني * إلا إذا كساني * ولا أرفع له شراعي * دون إشباعي * فحلف
أبو زيد بالمحرجات الثلث * أنه لا يملك سوى أطمار الرثاث * فنظر القاضي في قصصهما

نظر الالمعی * وافکر فکرة اللوذعی * ثم اقبل علیهما بوجه قد قطبه * وصحن قد قلبه *
وقال ألم یکفکما التساقه فی مجالس الحکم * والاقدام علی هذا الجرم * حتی ترافیتما
من فحش المقاذعه * الی خبث المخادعه * وایم الله لقد اخطأت استکما الحفرة *
ولم یصب سهمکما الثغرة * فان امیر المؤمنین * اعز الله ببقائه الدین * نصبنی لاقضی
بین الخصماء * لا لاقضی دین الغرماء * وحق نعمته التی احلتنی هذا المحل * وملکتنی
العقد والحل * لئن لم توضحا الی جلیة خطبکما * وخبیة خبکما * لانددن بکما فی الامصار *
ولاجعلنکما عبرة لاولی الابصار * فاطرق ابوزید اطراق الشجاع * ثم قال له سماع سماع *

نظم

انا السروجی وهذی عرسی * ولیس کفو البدر غیر الشمس
وما تنافی انسها وانسی * ولا تنای دیرها عن قسی
ولا عدت سقیای ارض غرسی * لکننا منذ لیال خمس
نصبح فی ثوب الطوی ونمسی * لا نعرف المضغ ولا التحسی
حتی کانا لخفوت النفس * اشباح موتی نشروا من رمس
فحین عز الصبر والتأسی * وشفنا الضر الالیم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس * هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر یلجی الحر حین یرسی * الی التحلی فی لباس اللبس

فهٰذه حالي وهٰذا اداري * فانظر الى يومي وسل عن امسي
وامر بجبري ان تشأ او حبسي * ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثب انسك * ولتطب نفسك * فقد حق لك ان تغفر خطيئتك * وتوفر عطيتك * فثارت الزوجة عند ذلك واستطالت * واشارت الى الحاضرين وقالت *

نظم

يا اهل تبريز لكم حاكم * اوفى على الحكام تبريزا
ما فيه من عيب سوى انه * يوم الندى قسمته ضيزى
قصدته والشيخ نبغي جنى * عود له ما زال مهزوزا
فسرح الشيخ وقد نال من * جدواه تخصيصاً وتمييزا
وردني اخيب من شائم * برقاً خفا في شهر تموزا
كانه لم يدر اني التي * لقنت ذا الشيخ الاراجيزا
وانني ان شئت غادرته * اضحوكة في اهل تبريزا

قال فلما رأى القاضي اجتراء جنانهما * وانصلات لسانهما * علم انه قد مني منهما بالداء العياء * والداهية الدهياء * وانه متى منح احد الزوجين * وصرف الآخر صفر اليدين * كان كمن قضى الدين بالدين * او صلى المغرب ركعتين * فطلسم وطرسم * واخرنطم وبرطم * وهمهم وغمغم * ثم التفت يمنة وشامة * وتململ كآبة وندامة *

وأخذ يذمّ القضاء ومتاعبه * ويعدّد شوائبه ونوائبه * ويفنّد طالبه وخاطبه * ثم تنفّس كما يتنفّس الخريب * وانتحب حتى كاد يفضحه النحيب * وقال إن هذا لشيء عجيب * أأرشق في موقفٍ بسهمين * أألزم في قضيةٍ بغرمين * أأطيق ان أرضي الخصمين * ومن أين * ومن أين * ثم عطف الى حاجبه * المنفذ لمآربه * وقال ما هذا يوم حكمٍ وقضاءٍ * وفصلٍ وإمضاءٍ * هذا يوم الاغتمام * هذا يوم الاغترام * هذا يوم البحران * هذا يوم الخسران * هذا يوم عصيب * هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب * فأرحني من هذين المهذارين * واقطع لسانهما بدينارين * ثم فرّق الاصحاب * واغلق الباب * واشع انه يوم مذموم * وانّ القاضي فيه مهموم * لئلا يحضرني خصوم * قال فأمّن الحاجب على دعائه * وتباكى لبكائه * ثم نقد ابا زيد وعرسه المثقالين * وقال اشهد انكما لأحيل الثقلين * لكن احترما مجالس الحكّام * واجتنبا فيها فحش الكلام * فما كلّ قاضٍ قاضي تبريز * ولا كلّ وقتٍ تسمع الاراجيز * فقالا لمثلك من حجب * وشكرك قد وجب * ونهضا وقد حظيا بدينارين * واصليا قلب القاضي نارين *

تفسير ما تضمنت هذه المقامة من

الالفاظ اللغوية والامثال العربيّة

قوله لقيت منها عرق القربة هذا مثل يضرب لمن يلقى شدّة في الامر الذي يزاوله كما انّ حامل القربة يلقى جهداً حتى يعرق * وقوله جعلته دبر اذني يعني اطّرحته *

وهو كقوله تعالى فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِم وقوله اَكْذَبُ من سَجاحِ يعني التى تَنَبَّأَتْ في عَهدِ مُسَيلِمَةَ الكَذّابِ * وسارَتْ اليه لِتُناظِرَه وتَختَبِرَه * ثم آمنَتْ به ووَهَبَتْ نفسَها له * وهذا الاسم مبنيٌّ على الكَسْرِ مثلَ حَذامِ وقَطامِ لكونه من الاَسْماءِ المَعدولة واشتقاقُه من السَّجاحة وهي السُّهولة ومنه قولُهم مَلَكتَ فَاَسْجِحْ * وقولُها اَكْذَبُ من ابى ثُمامَةَ هذه كُنيَةُ مُسَيلِمَةَ الكَذّاب وكان تَنَبَّأَ باليمامة ومَخرقَ بها الى اَنْ سارَ اليه خالدُ بنُ الوَليدِ وقتلَه * وقوله لا نَعِمَ عَوفُكَ العَوفُ الحالُ وهو ايضا الذَّكَرُ * ويُدْعى للباني على اَهْلِه فيقال له نَعِمَ عَوفُكَ * وقوله يا دَفارِ ويا فَجارِ هذان الاِسمانِ مَعدولان عن دَفِرَةٍ وفاجرةٍ والدَّفَرُ النَتْنُ وبه سُمِّيَتِ الدُّنيا اُمَّ دَفْرٍ وكلُّ ما سُمِّيَ بصفةٍ غالبةٍ ثم عُدِلَ بها الى فَعالِ بُنِيَ على الكَسرِ عند النِّداءِ كقولك يا لَكاعِ يا خَباثِ يا دَفارِ يا فَجارِ ولا يجوزُ استعمالُ ذلك في غيرِ النِّداءِ الا في ضَرُورةِ الشِّعرِ كقولِ الشاعر *

نظم

اُطَوِّفُ ما اُطَوِّفُ ثم آوِي * الى بَيْتٍ قَعِيدَتُه لَكاعِ

واما قوله اَحمَقُ من رِجْلةٍ فهي ضربٌ من الحَمْضِ تَنبُتُ في مَجارِي السَّيْلِ فيجترفُها * واما قولها اَلأَمُ من مادِرٍ فهو رجل من بني هِلالِ بنِ عامرٍ كان اتَّخَذَ حَوْضًا لِسَقْيِ ابِلِه فلمّا رُوِيَتْ سَلَحَ فيه ومَدَرَه بسَلْحِه لئلاّ يَنْتَفِعَ به مَنْ بَعْدَه * واما قولها اَشْأَمُ من قاشِرٍ فانه فَحْلٌ كان في بعض قبائلِ سَعْدِ بنِ زَيْدِ مَناةَ ما طَرَقَ اِبِلاً الا ماتَتْ * وقيل المرادُ به العامُ المُجدِبُ وسُمِّيَ قاشرًا لقَشْرِه وَجهَ الاَرْضِ من النَّباتِ * واما قولُها اَجْبَنُ من

صافرٍ فقد اختُلِفَ في تفسيره قال بعضهم عُنِيَ به كُلّ ما يَصفِرُ من الطَّيْرِ * وخُصَّ بالجُبْنِ لكثرةِ ما يتَّقيه من جوارحِ الجَوِّ ومصائِدِ الأرضِ وقيل أنّه طائرٌ بعينِه اذا جَنَّه اللّيلُ تعلّق ببعض الأغصانِ ولم يزَلْ يَصفِرُ طوالَ ليلتِه خوفاً من ان ينامَ فيؤخَذَ * وقيل إنّه الّذي يَصْفِرُ بالمرأةِ لِرِيبَةٍ فهو يَجبُنُ وقتَ صفيره مخافةَ انْ يظْهَرَ على امرِه * وقيل انّ المرادَ به في المَثَلِ المَصْفورُ به وهو الّذي يُنذَرُ بالصَّفيرِ فعلى هذا القولِ فاعلٌ هُهنا بمعنى مَفْعولٍ كقوله تعالى مِنْ ماءٍ دافقٍ اي مَدْفوقٍ وكقولهم راحِلة بمعنى مَرْحولة وهو كثيرٌ في كلامِهم * وقد جاءَ مفعولٌ بمعنى فاعِل كقوله تعالى حِجاباً مَسْتوراً اي ساتِراً * وامّا قولُها اطْيَشُ من طامِرٍ فالمرادُ به البُرْغوثُ ويُسمَّى طامِرَبْنَ طامِرٍ لكثرة وُثوبِه * وامّا قولُ القاضي اراكُما شَنّاً وطَبَقَه وحَدأةً وبُنْدُقَه فانّه اراد به ان كلّاً منكما كُفُؤٌ لصاحبِه ومُقاوِمٌ له ولِكُلٍّ من المَثَلين تفسيرٌ مُختلَفٌ فيه * امّا شَنٌّ وطبقة فانّ العُلَماءَ مختلفون في معنى قولهم وافَقَ شَنٌّ طَبَقَه فقال الاكثرون انّهما قبيلتان فشَنٌّ هو ابنُ افصى بن دُعْمِيّ بن جَدِيلة بن اسَد بن رَبيعة بن نِزار * وطَبَقَةُ حَيٌّ من إيادٍ وكانت طَبَقَةُ لا تُطاقُ فاوْقعَتْ بها شَنٌّ فانتصفَتْ منها * وقال بعضهم كان شَنٌّ رجلاً من دُهاةِ العَرَبِ وكان الْزَم نفسَه الّا يتزوّجَ الّا بامرأةٍ تُلائِمه فكان يَجوبُ البِلادَ في ارتيادِ طَلِبَتِه فصاحبه رجلٌ في بعضِ أسفارِه فلمّا اخذ منهما السَّيرُ قال له شَنٌّ اتحمِلُني ام احمِلُك فقال له الرَّجُلُ ياجاهلُ هل يَحمِلُ الرّاكبُ الراكبَ فامسك وسارا حتى أتيا على زَرْعٍ فقال له شَنٌّ اترى هذا الزَّرْعَ

قد أُكِلَ أم لا فقال له يا جاهلُ اما تراه في سُنبُلِه فامسك الى ان استقبلتهما جنازةٌ فقال له شنٌّ أترى صاحبها حيّاً فقال له ما رأيتُ أجهلَ منك أتراهم حملوا الى القبر حيّاً ثم انهما وصلا الى قريةِ الرجل فصار به الى منزله وكانت له بنتٌ تسمى طبقة فأخذ يطرفها بحديث رفيقه فقالت له ما نطق الا بالصواب ولا استفهمك الا عمّا يُستفهم عن مثله اما قوله أتحملني ام أحملك فانه اراد أتحدثني ام أحدثك حتى نقطع الطريق بالحديث واما قوله أترى هذا الزرع أُكِلَ ام لا فانه اراد هل استسلف أهله ثمنه ام لا واما استفهامه عن صاحب الجنازة أحيٌّ هو فانه اراد أخلّف عقباً يحيي ذكره به ام لا فلما خرج الى الرجل حدّثه بتأويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوّجه اياها فلما سار بها الى قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شنٌّ طبقة فسارت مثلاً وحكي أن الأصمعيَّ سُئل عن تفسير هذا المثل فقال أظنّ الشنّ وعاءً من أدم كان قد استشنّ فلما اتُّخذ له غطاءٌ وافقه ضُرب فيه هذا المثل * واما حدأة وبُندقة فانه يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوّه او يُبلى بنظيره حِدَأ حِدَأ وراءك بُندقة وكان الأصل حدأةُ باثبات الهاءِ فرخّم في النداءِ وقد اختلف في المرادِ بهما فقيل هما الطائر المعروف وبُندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة فاغارت حِدأةُ وكانت تنزل بالكوفة على بُندقة وكانت تنزل باليمن فنالت منهم ثم كرّت بُندقة على حِدأة فابحت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حِدا حِدا غير مهموزٍ على مثال عصا

وَقُفًا * وزعم انه اسم القبيلة * واما قوله اَخْطأْتَ اِسْتُكُما الحُفْرَة فانَّه مَثَلٌ يُضرَبُ لِمَنْ يُخطِئ فى مَقْصَدِهِ ويضع الشئ في غيرِ موضعه * واما قوله طَلْسَمَ وطَرْسَمَ فمعنى طَلْسَمَ كَرَّهَ وَجْهَه ومعنى طَرْسَمَ اَطْرَقَ * وقوله اِخْرَنْطَمَ وبَرْطَمَ اى غَضِبَ و قَطَّبَ وقيل معنى اخرنطم اى غَضِبَ مع تَكَبُّرٍ ومعنى بَرْطَمَ اى غَضِبَ مع تَعَبُّسٍ * وقوله هَمْهَمَ وغَمْغَمَ اى لم يُبَيِّنِ الكلامَ *

المقامة الحادية والاربعون التنيسية

حدَّث الحارثُ بن هَمَّام قال اَطَعْتُ دَواعِيَ التَّصابِى * فى غُلَواءِ شَبابِى * فلم اَزَلْ زِيرًا للغِيد * واُذُنًا للاغارِيد * الى آنْ وافى النَّذِيرُ * وَوَلَّى العَيشُ النَّضِيرُ * فقرِمْتُ الى رُشدِ الانتباه * ونَدِمْتُ على ما فَرَّطْتُ فى جَنْبِ الله * ثمَّ اَخَذْتُ فى كَسْعِ الهَناتِ بالحَسَنات * وتَلافِى الهَفَواتِ قَبْلَ الفَوات * فمِلْتُ عن مُغاداةِ الغاداتِ * الى مُلاقاةِ التُّقاة * وعَنْ مُقاناةِ القَيْنات * الى مُداناةِ اَهْلِ الدِّيانات * وآلَيْتُ ان لَّا اَصْحَبَ اِلَّا مَنْ نَزَعَ عَنِ الغَيِّ * وفاءَ مَنْشَرُه الى الطَّيّ * وِانْ اَلْفَيْتُ مَنْ هوخَلِيعُ الرَّسَن * مَدِيدُ الوَسَن * اَنْأَيْتُ دارِى عَنْ دارِهِ * وفَرَرْتُ من عَرِّه وعارِهِ * فلمّا اَلْقَتْنِى الغُرْبَةُ بتِنِّيس * واَحَلَّتْنِى مَسْجِدَها الانِيس * رأيتُ به ذا حَلْقَةٍ مُلْتَحِمَةٍ * ونَظّارةٍ مُزْدَحِمَةٍ * وهو يَقُولُ بجاشٍ مَتِينٍ * ولِسانٍ مُبِينٍ * مِسْكِينٌ ابنُ آدَمَ واَىُّ مِسْكِينٍ * رَكَنَ مِنَ الدُّنيا الى غَيرِ رَكِينٍ * واسْتَعْصَمَ مِنها بغَيرِ مَكِينٍ * وذُبِحَ مِنْ حُبِّها بغَيرِ سِكِّينٍ *

يكلف بها الغباوته * ويكلب عليها الشقاوته * ويعتد فيها المفاخرته * ولا يتزود منها لآخرته *
اقسم بمن مرج البحرين * ونور القمرين * ورفع قدر الحجرين * لو عقل ابن آدم *
لما نام * ولو افكر فيما قدم * لبكى الدم * ولو ذكر المكافاة * لاستدرك ما فات * ولو نظر
في المآل * لحسن قبح الاعمال * يا عجبا كل العجب * لمن يقتحم ذات اللهب * في اكتناز
الذهب * وخزن النشب * لذوي النسب * ثم من البدع العجيب * ان يعظك وخط المشيب *
وتؤذن شمسك بالمغيب * ولست ترى ان تنيب * وتهذب المعيب * ثم اندفع ينشد *
انشاد من يرشد *

نظم

يا ويح من انذره شيبه * وهو على غي الصبا منكمش
يعشو الى نار الهوى بعد ما * اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتده * اوطأ ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى * نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى * عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقا له * وان يعش فهو كمن لم يعش
لا خير في محيا امرء نشره * كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه طيب * يروق حسنا مثل برد رقش
فقل لمن قد شاكه ذنبه * هلكت يا مسكين او تنتقش

فَاَخْلِصِ التَّوْبَةَ تَطْمِسْ بِهَا * مِنَ الخَطَايَا السُّودِ مَا قَدْ نَقَشْ

وَعَاشِرِ النَّاسَ بِخُلْقٍ رِضًا * وَدَارِ مَنْ طَاشَ وَمَنْ لَمْ يَطِشْ

وَرِشْ جَنَاحَ الحُرِّ اِنْ حَصَّهُ * زَمَانُهُ لَا كَانَ مَنْ لَمْ يَرِشْ

وَاَنْجِدِ المَوْتُورَ ظُلْمًا فَاِنْ * عَجَزْتَ عَنْ اِنْجَادِهِ فَاسْتَجِشْ

وَانْعَشْ اِذَا نَادَاكَ ذُو كَبْوَةٍ * عَسَاكَ فِي الحَشْرِ بِهِ تَنْتَعِشْ

وَهَاكَ كَاسَ النُّصْحِ فَاشْرَبْ وَجُدْ * بِفَضْلَةِ الكَاسِ عَلَى مَنْ عَطِشْ

قَالَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ مُبْكِيَاتِهِ * وَقَضَى اِنْشَادَ اَبْيَاتِهِ * نَهَضَ صَبِيٌّ قَدْ شَدَنَ * وَاَعْرَى البَدَنَ * وَقَالَ يَا ذَوِي الحَصَاةِ * وَالاِنْصَاتِ اِلَى الوَصَاةِ * قَدْ وَعَيْتُمُ الاِنْشَادَ * وَفَقِهْتُمُ الاِرْشَادَ * فَمَنْ نَوَى مِنْكُمْ اَنْ يَقْبَلَ * وَيُصْلِحَ المُسْتَقْبَلَ * فَلْيُبِنْ بِبِرِّي عَنْ نِيَّتِهِ * وَلَا يَعْدِلْ عَنِّي بِعَطِيَّتِهِ * فَوَالَّذِي يَعْلَمُ الاَسْرَارَ * وَيَغْفِرُ الاِصْرَارَ * اِنَّ سِرِّي لَكَمَا تَرَوْنَ * وَاِنَّ وَجْهِي لَيَسْتَوْجِبُ الصَّوْنَ * فَاَعِينُونِي رُزِقْتُمُ العَوْنَ * قَالَ وَاَخَذَ الشَّيْخُ فِيمَا يَعْطِفُ عَلَيْهِ القُلُوبَ * وَيُسَنِّي لَهُ المَطْلُوبَ * حَتَّى اَنْبَطَ جَفْرُهُ * وَاَعْشَوْشَبَ قَفْرُهُ * فَلَمَّا اَنْ اَتْرَعَ الكِيسَ * اِنْصَلَتَ يَمِيسُ * وَيَحْمَدُ تَنْيِيسَ * وَلَمْ يَحُلْ لِلشَّيْخِ المُقَامُ * بَعْدَ مَا انْصَاعَ الغُلَامُ * فَاسْتَرْفَعَ الاَيْدِيَ لِلدُّعَاءِ * ثُمَّ نَحَا نَحْوَ الانْكِفَاءِ * قَالَ الرَّاوِي فَارْتَعْتُ اِلَى اَنْ اُعَجِّمَهُ * وَاَحُلَّ مُتَرْجَمَهُ * فَتَبِعْتُهُ وَهُوَ يَشْتَدُّ فِي سَمْتِهِ * وَلَا يَفْتُقُ رَتْقَ صَمْتِهِ * فَلَمَّا اَمِنَ المُفَاجِئَ * وَاَمْكَنَ التَّنَاجِي * لَفَتَ جِيدَهُ اِلَيَّ * وَسَلَّمَ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ عَلَيَّ * ثُمَّ قَالَ اَرَاقَكَ ذَكَاءُ ذَاكَ

الشُّوَيْدِن * فقلتُ اِيْ والمُؤمن المُهَيْمِن * قالَ انّه فتى السَّروجي * ومُخرِجُ الدُّرِّ من اللُّجّي * فقلتُ اَشْهَدُ اَنّك لَشَجَرةُ ثَمرتهِ * وشُواظُ شرارتهِ * فصدّق كِهانتي * واستحسن اِبانتي * ثُمّ قال هَلْ لكَ في ابتدارِ البَيْت * لِنَتَنازَع كاسَ الكُمَيْت * فقلتُ له وَيْحَك اَتأمُرُونَ النّاسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ اَنفُسَكم * فافترا فترا رَمْقضاحِكٍ * ومَرَّ غيرَ مُماحِكٍ * ثُم بَدا له اَنْ تراجَعَ اِلَيَّ * وقال اِحفَظْها عنّي وعَلَيَّ *

نظم

اِصْرِفْ بِصَرْفِ الرّاحِ عنكَ الأسى * ورَوِّحِ القَلْبَ ولا تَكْتَئِبْ

وقُلْ لِمَنْ لامَكَ فيما بِهِ * تَدْفَعُ عنكَ الهَمَّ قَدْكَ اتَّئِبْ

ثُم قال اَمّا اَنا فسأَنطَلِقُ * الى حيثُ اَصْطَبِحُ واَغْتَبِقُ * واذا كُنْتَ لا تَصْحَبُ * ولا تُلائِمُ مَن يَطْرَبُ * فلستَ لي بِرَفيقٍ * ولا طَريقُكَ لي بطريقٍ * فخَلِّ سَبيلي ونَكِّبْ * ولا تَنْقُرْ عنّي ولا تُنَقِّبْ * ثُمّ وَلّى مُدْبِراً ولم يُعَقِّبْ * قالَ الحارثُ بنُ هَمّامٍ فالتَهَبْتُ وَجْداً عند انطلاقهِ * وَوَدِدتُّ لو لَمْ اُلاقِهِ *

المقامة الثانية والاربعون النجرانية

حكى الحارثُ بن هَمّام * قال تَرامَتْ بي مَرامي النَّوى * ومَسارِي الهَوى * الى اَنْ صِرْتُ ابنَ كُلِّ تُرْبةٍ * واَخا كُلِّ غُرْبةٍ * اِلّا اَنّي لم اَكُنْ اَقطَعُ وادِياً * ولا اَشْهَدُ نادِياً * اِلّا لِاقتباسِ الأدبِ المُسْلي عن الأشجان * المُغْلي قيمةَ الانسان * حتّى عُرِفَتْ لي هذه الشِّنْشِنةُ * وتَناقَلَتْها عنّي الألسِنةُ * وصارَتْ اَعْلَقَ بي من الهَوى بِبَني عُذْرَةَ * والشَّجاعةِ

بآلِ ابي صُفرة * فلما ألقيتُ الجِران بنجران * واصطفيتُ بها الخُلّانَ والجيرانَ * تخذتُ أنديتها مُعتمَرِي * وموسمَ فكاهتي وسمَرِي * فكنتُ أتعهّدُها صباحَ مساءَ * وأظهَرُ فيها على ما سرَّ وساءَ * فبينما أنا في نادٍ محشودٍ * ومحفِلٍ مشهودٍ * إذ جثم لدينا هِمٌّ * عليه هِدمٌ * فحيّا تحيّةَ ملِقٍ * بلسانٍ ذلِقٍ * ثم قال يا بدورَ المحافلِ * وبحورَ النوافلِ * قد تبيّن الصُّبحُ لذي عينين * ونابَ العِيانُ منابَ عدلين * فماذا ترون فيما ترون * أتحسِنون العونَ * أم تنأَون إذ تُدعَون * فقالوا تاللهِ لقد غِظتَ * ورُمتَ أن تنبطَ فغِضتَ * فناشدهم اللهَ عمّاذا أصدّهم * حتى استوجب ردَّهم * فقالوا كنّا نتناضلُ بالألغاز * كما يتناضلُ يومَ البِراز * فما تمالك أن شعَّث من المنصول * وألحقَ هذا الفضلَ بنمطِ الفُضول * فلسَنَهُ ألسُنُ القوم * ووخَزوه بأسنّةِ اللوم * وأخذ هو ينتصّلُ من هفوتِه * ويتندّمُ على فوهتِه * وهم مضِبّون على مؤاخذتِه * ومُلبّون داعيَ منابذتِه * إلى أن قال لهم يا قومِ إنّ الاحتمالَ من كرمِ الطبع * فعدّوا عن اللذع والقذع * ثمّ هلمّ إلى أن نُلغِزَ * ونُحكِّمَ المُبرِّزَ * فسكن عند ذلك توقّدُهم * وانحلّت عُقَدُهم * ورضُوا بما شرط عليهم ولهم * واقترحوا أن يكون أوّلَهم * فأمسك ريثما يُعقَدُ شِسعٌ * أو يُشدُّ نِسعٌ * ثمّ قال اسمعوا وُقيتم الطيشَ * ومُلّيتم العيشَ * وأنشد مُلغِزًا في مِروحةِ الخيش *

نظم

وجاريةٍ في سيرِها مُشمعِلّةٍ * ولكن على إثرِ المسيرِ قُفولُها

لها سائق من جنسها يستحثها * على انه في الاحتثاث رسيلها
ترى في اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف قحولها

ثم قال وهاكم يا اولي الفضل * ومراكز العقل * وانشد ملغزا في حابول النخل * نظم

ومنتسب الى ام * تنشبأ اصله منها
يعانقها وقد كانت * نفته برهة عنها
به يتوصل الجاني * ولا يلحى ولا ينهى

ثم قال ودونكم الخفية العلم * المعتكرة الظلم * وانشد ملغزا في القلم * نظم

وما موم به عرف الامام * كما باهت بصحبته الكرام
له اذ يرتوي طيشان صاد * ويسكن حين يعروه الاوام
ويذري حين يستسعي دموعا * يرقن كما يروق الابتسام

ثم قال وعليكم بالواضحة الدليل * الفاضحة ما قيل * وانشد ملغزا في الميل * نظم

وما ناكح اختين جهرا وخفية * وليس عليه في النكاح سبيل
متى يغش هذي يغش في الحال هذه * وان مال بعل لم تجده يميل
يزيدهما عند المشيب تعهدا * وبرا وهذا في البعول قليل

ثم قال وهذه يا ذوي الالباب * معيارا للآداب * وانشد ملغزا في الدولاب * نظم

وجاف وهو موصول * وصول ليس بالجافي

فريقٌ بارزٌ فاعجبْ * لهُ من راسبٍ طافِ
يُسحُّ دموعَ مهضومٍ * ويهضِمُ هضمَ متلافِ
ويُخشى منهُ حِدّتُهُ * ولكن قلبُهُ صافِ

قال فلمّا رشق * بالخمسِ التي نسق * قال يا قومِ تدبّروا هذه الخمسَ * واعقِدوا عليها الخمسَ * ثمّ رأيكم وضمّ الذيل * او الازديادَ من الكيل * قال فاستفزّتِ القومَ شهوةُ الزيادة * على ما اشربوا من البلادة * فقالوا والله انّ وقوفنا دونَ حدّك * ليُفحِمُنا عن استيراءِ زندِك * فان اتممتَ عشراً فمن عندِك * فاهتزّ اهتزازَ من فلجَ سهمُهُ * وانخزلَ خصمُهُ * ثمّ افتتحَ النطقَ بالبسملة * وانشدَ ملغزاً في المزمّلة

نظم

ومسرورةٍ مغمومةٍ طولَ دهرِها * وما هي تدري ما السرورُ ولا الغمُّ
تُقرَّبُ احياناً لاجلِ جنينِها * وكم ولدٍ لولاهُ طُلِّقتِ الامُّ
وتُبعَدُ احياناً وما حالَ عهدُها * وابعادُ من لم يستحِلْ عهدُهُ ظلمُ
اذا قصُرَ الليلُ استُلذَّ وصالُها * وان طالَ فالاعراضُ عن وصلِها نُعمُ
لها ملبسٌ بادٍ انيقٌ مبطّنٌ * بما يُزدرى لكن لما يُزدرى الحكمُ

ثمّ كشرَ عن انيابِهِ الصفر * وانشدَ ملغزاً في الظفر *

نظم

ومرهوبِ الشَّبا نامٍ * وما يُرعى ولا يشربْ
يُرى في العشرِ دونَ النحرِ فاسمعْ وصفَهُ واعجبْ

ثُمّ تخازرَ تخازُرَ العِفْرِيت * وأنْشَدَ مُلْغِزًا * في طاقةِ الكِبْرِيْت *

نظم

وما مَحْقورَةٌ تُدْني وتُقْصي * وما منها اذا فكّرْتَ بُدُّ
لها رأسانِ مُشْتَبِهانِ جِدًّا * وكُلٌّ منهما لأخيهِ ضِدُّ
تُعذَّبُ اِنْ هما خُضِبا وتُلْغى * اذا عَدِما الخِضابَ ولا تُعَدُّ

ثم تَخَمَّطَ تَخَمُّطَ القَرْم * وأنْشَدَ مُلْغِزًا في حَلَبِ الكَرْم *

نظم

وما شَيْءٌ اذا فسدا * تَحوّلَ غَيُّهُ رَشَدا
وإنْ هو راقَ أوْصافًا * أثارَ الشَّرَّ حيثُ بَدا
زَكِيُّ العِرْقِ والِدُهُ * ولكِنْ بِئْسَ ما وَلَدا

ثُمّ اعتضَدَ عصا التَّسْيار * وأنشدَ مُلْغِزًا في الطَّيّار *

نظم

وذي طَيْشَةٍ شِقُّهُ مائِلُ * وما عابَهُ بهما عاقِلُ
يُرى أبدًا فَوْقَ عِلِّيَّةٍ * كما يَعْتَلي الملِكُ العادِلُ
تَساوى لَدَيْهِ الحَصا والنُّضارُ * وما يَسْتَوي الحَقُّ والباطِلُ
وأعْجَبُ أوْصافِهِ إنْ نظرْتَ * كما يَنْظُرُ الكَيِّسُ الفاضِلُ
تَراضى الخُصُومُ به حاكِمًا * وقد عَرَفوا أنَّهُ مائِلُ

قال فظَلَّتِ الأفكارُ تَهيمُ في أوْدِيَةِ الأوْهام * وتَجُولُ جَوَلانَ المُسْتَهام * الى أن طالَ الأمَد * وحَصْحَصَ الكَمَد * فلما رآهم يَزْنِدُونَ ولا سَنا * ويَقْضُونَ النَّهارَ بالمُنى * قال يا قَوْمِ

إلامَ تنظرون * وحتّامَ تُنظرون * ألم يأنِ لكم استخراج الخبيّ * أو استسلام الغبيّ * فقالوا له تاللهِ لقد اعوصتَ * ونصبتَ الشركَ فاقتنصتَ * فتحكّم كيف شئتَ * وحُزِ الغنمَ والصيتَ * ففرض عن كلّ مُعمّى فرضًا * واستخلصه منهم نضًّا * ثمّ فتح الأقفالَ * ووسم الأغفالَ * وحاول الإجفالَ * فاعتلق به صدرةُ القوم * وقال له لا لُبسة بعد اليوم * فانتسِب قبل الانطلاق * وهبها مُتعة الطلاق * فأطرق حتّى قلنا مريبٌ * ثمّ أنشد والدمع يجيب *

نظم

سَرُوجٌ مطلعُ شمسي * وربعُ لهوي وأُنسي
لكن حُرِمتُ نعيمي * بها ولذّةَ نفسي
واعتضتُ عنها اغترابًا * أَمَرَّ يومي وأمسي
ما لي مقرٌّ بأرضٍ * ولا قرارٌ لعنسي
يومًا بنجدٍ ويومًا * بالشامِ أُضحي وأُمسي
أُزجي الزمانَ بقوتٍ * مُنغّصٍ مُستخَسِّ
ولا أبيتُ وعندي * فلسٌ ومن لي بفلسِ
ومن يعشْ مثلَ عيشي * باعَ الحيوةَ ببخسِ

ثمّ إنّه اختبن خلاصة النضّ * وبدر ضاربًا في الأرض * فناشدناه أن يعود * وأسنينا له الوعود * فلا وأبيك ما رجع * ولا الترغيب له نجع *

المقامة الثالثة والاربعون البدويه المعروفة بالبكر والثيب

اخبر الحارث بن همام * قال هفا بي البين المطوّح * والسير المبرّح * الى ارض يضل بها الخرّيت * وتفرق فيها المصاليت * فوجدت ما يجد الحائر الوحيد * ورأيت ما كنت منه احيد * الا انّي شجّعت قلبي المزؤود * ونسأت نضوي المجهود * وسرت سير الضارب بقدحين * المستسلم للحين * ولم ازل بين وخد وذميل * واجازة ميل بعد ميل * الى ان كادت الشمس تجب * والضياء يحتجب * فارتعت لاظلال الظلام * واقتحام جيش حام * ولم ادر أأكفت الذيل وارتبط * ام اعتمد الليل واختبط * وبينا انا اقلّب العزم * وامتخض الحزم * ترأى لي شبح جمل * مستذر بجبل * فرجّيته قعدة مريح * وقصدته قصد مشيح * فاذا الظنّ كهانة * والركوبة عيرانة * والمريح قد ازدمل ببجاده * واكتحل برقاده * فجلست عند راسه * حتى هبّ من نعاسه * فلما ازدهر سراجاه * واحسّ بمن فاجاه * نفر كما ينفر المريب * وقال أاخوك ام الذيب * فقلت بل خابط ليل ضلّ المسلك * فاضيء لي اقدح لك * فقال ليسرّ عنك همّك * فربّ اخ لم تلده امّك * فانسرى عند ذلك اشفاقي * وسرى الوسن الى آماقي * فقال عند الصباح يحمد القوم السرى * فهل ترى كما ارى * فقلت انّي لك لاطوع من حذائك * واوفق من غذائك * فصدع بمدحتي * وبجح بصحبتي * ثم احتملنا

مُجِدِّين * وارتحلنا مُدلِجين * ولم نزل نُعاني السُّرى * ونُعاصي الكَرى * الى ان
بلغ الليلُ غايتَه * ورفع الفجرُ رايتَه * فلمّا اسفرَ الفاضح * ولم يبقَ إلّا الواضح * توسَّمتُ
رفيقَ رحلتي * وسميرَ ليلتي * فاذا هو ابو زيد مطلبُ الناشد * ومَعلمُ الراشد * فتهادينا تحيّة
المحبّين * اذا التقيا بعدَ البين * ثم تباثثنا الاسرار * وتنافثنا الاخبار * وبعيري ينحطّ من
الكلال * وراحلتُه تزفّ زفيفَ الرّال * فاعجبني اشتدادُ اسرِها * وامتدادُ صبرِها * واخذتُ
استشفّ جوهرَها * واسألُه من اين تخيّرها * فقال إنّ لهذه الناقة * خبرًا حلوَ المذاقة * مليحَ
السياقة * فان احببتَ استماعَه فانِخ * وإن لم تشأ فلا تُصِخ * فانختُ بقوله نِضوي * واهدفتُ
السمعَ لما يروي * فقال اعلم انّي استعرضتُها بحضرموت * وكابدتُ في تحصيلها الموت *
فما زلتُ اجوبُ عليها البلدان * واطسّ باخفافها الظِّرّان * الى ان وجدتُها عُبرَ اسفارٍ *
وعُدّةَ فرارٍ * لا يلحقُها العناءُ * ولا تواهقُها وجناءُ * ولا تدري ما الهناءُ * فارصدتُها
للخير والشرّ * واحللتُها محلّ البرّ السرّ * فاتّفق ان ندّت مذ مدّة * ومالي سواها قُعدة *
فاستشعرتُ الاسفَ * واستشرفتُ التلفَ * ونسيتُ كلّ رزءٍ سلفَ * ومكثتُ ثلثًا *
لا استطيعُ انبعاثًا * ولا اطعمُ النومَ الّا حِثاثًا * ثم اخذتُ في استقراء المسالك * وتفقُّدِ المسارح
والمبارك * وانا لا استنشي منها ريحًا * ولا استغشي بأسًا مريحًا * وكلّما ذكرتُ مضاءَها في
السير * وانبراءَها لمباراة الطير * لاعني الادّكار * واستهوتني الافكار * فبينما انا في حِواءِ
بعضِ الاحياء اذ سمعتُ من شخصٍ مُبتعِد * وصوتٍ مُنجرِد * مَن ضلّت له مطيّة *

حَضْرَمِيَّة وَطِيَّة * جِلْدُها قد وُسِم * وعَرُها قد حُسِم * وزمامها قد ضُفِر * وظهرها كانْ قد كُسِر ثمّ جُبِر * تَزِينُ الماشية * وتُعِينُ الناشية * وتقطع المسافة النّائية * وتظلّ ابدًا لك مُدانية * لا يعتورها الوَنى * ولا يعترضها الوَجى * ولا تحوج الى العصا * ولا تعصي فيمن عصى * قال ابوزيد فجذبني الصَّوت الى الصّائت * وبشّرني بدرك الفائت * فلمّا افضيتُ اليه * وسلّمتُ عليه * قلت له سلّم المَطِيَّة * وتسلّم العطيّة * فقال وما مطيّتُك * غُفِرتْ خَطِيئتك * قلت ناقةٌ جُثّتها كالهضبة * وذُرْوتها كالقُبَّة * وحَلَبُها مِلْءُ العُلْبة * وكُنْتُ أُعْطِيتُ بها عِشْرِينَ * إذ حُلِّلتُ بيَبْرِين * فاستزدتُ الذي أعطى * ودريتُ انّه اخطأ * قال فأعرض حين سمع صفتي * وقال لستَ بصاحب لُقطتي * فأخذتُ بتلابيبه * واصررتُ على تكذيبه * وهممتُ بتمزيق جلابيبه * وهو يقول يا هذا اما مَطِيّتي بطِلْبِك * فاكْفُفْ من غَرْبِك * وعدِّ عن سبِّك * والّا فقاضني الى حَكَم هذا الحيّ * البريّ من الغيّ * فان اوْجبها لك فتسلّم * وان زواها عنك فلا تتكلّم * فلم ارَ دواءَ قِصّتي * ولا مَساغَ غُصّتي * الّا انْ آتي الحَكَمَ * ولو لَكَم * فانخرطنا الى شيخٍ رَكِين النِّصْبة * انيق العِصْبة * يُونس منه سُكونُ الطّائر * وانْ ليس بالجائر * فاندرأتُ اتظلّم وانا لَمّ * وصاحبي صُرِمٌ لا يترمرم * حتى اذا انتثلت كِنانتي * وقضيتُ من القصص لُبانتي * ابرز نعلًا رزينة الوزن * محذوّةً لمسلك الحَزْن * وقال هذه التي عرّفتُ * وايّاها وصفتُ * فان كانت هي التي أُعطي بها

عِشْرِين * وها هو من المُبْصِرِين * فقد كَذَبَ فى دَعْواه * وكَبُرَ ما افتراه * اللّهمّ اِلاَّ
اَن يُمدَّ قذاله * ويُبيِن مِصداق ما قاله * فقال الحَكَمُ اللهمّ غَفْرًا * وجعل يُقَلِّبُ النعل
بَطْنًا وظَهْرًا * ثم قال اَمّا هذه النَّعْلُ فنَعْلِي * واَمّا مَطِيَّتُك ففى رَحْلِي * فانهض لتَسلُّمِ
ناقتك * واجْعلِ الخير بحَسَبِ طاقتك * فقُمْتُ وقُلْتُ *

نظم

اُقْسِمُ بالبَيْتِ العَتِيق ذِى الحُرَمْ * والطائفين العاكِفِين فى الحَرَمْ
اِنَّك نِعْمَ مَنْ اليه يُحْتَكَمْ * وخَيْرُ قاضٍ فى الاَعارِيبِ حَكَمْ
فاسْلَمْ ودُمْ دَوْمَ النَّعامِ والنَّعَمْ *

فاجابَ من غيرِ رَوِيَّةٍ * ولا عَقْدِ نِيَّةٍ * وقال *

نظم

جُزِيتَ مَنْ شُكْرِك خَيْرًا يا بنَ عَمْ * اِذْ لَسْتُ اَسْتَوْجِبُ شُكْرًا يُلْتَزَمْ
شَرُّ الاَنامِ مَنْ اذا اسْتُقْضِيَ ظَلَمْ * ثُمَّ مَنِ اسْتُرْعِيَ فلم يَرْعَ الحُرَمْ
فذانِ والكَلْبُ سَواءٌ فى القِيَمْ *

ثم انه نَفَذَ بين يَدَيَّ * مَنْ سَلَّمَ النّاقة اِلَيَّ * ولم يَمْتَنَّ عَلَيَّ * فرُحْتُ اَجُرُّ ذَيْلَ الطَّرَب *
واقولُ يا لَلْعَجَب * قال الحارثُ بنُ هَمّام فقلتُ له تاللّهِ لقد اَطْرَفْتَ * وهَرَفْتَ
بما عَرَفْتَ * فنا شَدْتُك اللّهَ هل لَقِيتَ اَسْحَرَ منك بَلاغةً * واَحْسَنَ لِلَّفْظِ صِياغةً * فقال اللّهمّ
نَعَمْ * فاسمع ونَعَمْ * كُنتُ عَزَمْتُ حين اَتْهَمْتُ * على اَنْ اَتَّخِذَ ظَعِينةً * لتَكُونَ لى مُعِينةً * فحِينَ
تَعَيَّنَ الخِطْبُ * وكادَ الاَمْرُ يَسْتَتِبُّ * اَفْكَرْتُ فِكْرَ المُتَحَرِّزِ من الوَهْمِ * المُتأَمِّلِ كيفَ مَسْقَطُ

السهم * وبتّ ليلتي أناجي القلب المعذّب * وأقلّب العزم المذبذب * الى ان
اجمعت على ان أسحر * وأشاور أوّل من أبصر * فلما قوّضت الظلمة اطنابها * وولّت الشهب
اذنابها * غدوت غدوّ المتعرّف * وابتكرت ابتكار المتعيّف * فانبرى لي يافع * في وجهه شافع *
فتيمّنت بمنظره البهيج * واستقدحت رأيه في التزويج * فقال أو تبغيها عوانا * أم بكرا
تعاني * فقلت اختر لي ما ترى * فقد ألقيت اليك العرى * فقال اليّ التبيين * وعليك
التعيين * فاسمع انا أفديك * بعد دفن اعاديك * اما البكر فالدرّة المخزونة * والبيضة
المكنونة * والثمرة الباكورة * والسلافة المذخورة * والروضة الأنف * والطوق الذي ثمن
وشرف * لم يدنّسها لامس * ولا استغشاها لابس * ولا مارسها عابث * ولا وكسها طامث *
ولها الوجه الحييّ * والطرف الخفيّ * واللسان العييّ * والقلب النقيّ * ثم هي الدمية
الملاعبة * واللعبة المداعبة * والغزالة المغازلة * والملحة الكاملة * والوشاح الطاهر القشيب *
والضجيع الذي يشبّ ولا يشيب * واما الثيّب فالمطيّة المذلّلة * واللهنة المعجّلة *
والبغية المسهّلة * والطبّة المعلّلة * والقرينة المتحبّبة * والخليلة المتقرّبة * والصناع
المدبّرة * والفطنة المختبرة * ثم انها عجالة الراكب * وأنشوطة الحاطب * وقعدة العاجز *
ونهزة المبارز * عريكتها ليّنة * وعقلتها هيّنة * ودخلتها متبيّنة * وخدمتها مزيّنة * وأقسم
لقد صدقت في النعتين * وأجليت المهاتين * فبأيّتهما هام قلبك * وعلى أيّتهما قام زبّك *
قال ابو زيد فرأيته جندلة يتّقيها المراجم * وتدمى منها المحاجم * الّا انّي قلت له كنت

سمعت أن البكر أشد حبًّا * وأقل خبًّا * فقال قد لعمري قيل هذا * ولكن كم قولٍ آذى *
ويحك أما هي المهرة الأبية العنان * والمطية البطية الإذعان * والزندة المتعسرة الاقتداح *
والقلعة المستصعبة الافتتاح * ثم إن مئونتها كثيرة * ومعونتها يسيرة * وعشرتها صلفة * ودالتها
مكلفة * ويدها خرقاء * وفتنتها صمّاء * وعريكتها خشناء * وليلتها ليلاء * وفي رياضتها عناء *
وعلى خبرتها غشاء * وطالما أخزت المنازل * وفركت المغازل * وأحنقت الهازل * وأضرمت
الفنيق البازل * ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس * فاطلب من تطلق وتحبس * فقلت
له فما ترى في الثيب * يا أبا الطيب * فقال ويك أترغب في فضالة المآكل * وثمالة المنهل *
واللباس المستبذل * والوعاء المستعمل * والذواقة المتطرفة * والخراجة المتصرفة *
والوقاح المتسلطة * والمتكبرة المتسخطة * ثم كلمتها كنت وصرت * وطالما بُغي عليّ
فنُصرت * وشتان بين اليوم وأمس * وهيهات القمر من الشمس * وإن كانت
الحنانة البروك * أو الطماحة الهلوك * فهي الغُلّ القمِل * والجرح الذي لا يندمل *
فقلت له هل ترى أن أترهب * وأسلك هذا المذهب * فانتهرني انتهار المؤدب *
عند زلة المتأدب * ثم قال ويلك أتقتدي بالرهبان * والحق قد استبان * أفٍّ لك
ولوهن رأيك * وتبًّا لك ولأولئك * أتراك ما سمعت بأن لا رهبانية في الإسلام *
ولا حُدّثت بما نكح نبيك عليه السلام * ثم أما تعلم أن السكن الصالحة تربّ بيتك *
وتلبي صوتك * وتغض طرفك * وتطيّب عرفك * وبها ترى قرة عينك * وريحانة

أَنْفِكَ * وَفَرْحَةَ قَلْبِكَ * وَتَعِلَّةَ يَوْمِكَ وَغَدِكَ * فَكَيْفَ رَغِبْتَ عَنْ سُنَّةِ الْمُرْسَلِينَ * وَمُتْعَةِ الْمُتَأَهِّلِينَ * وَشِرْعَةِ الْمُحْصَنِينَ * وَمَجْلَبَةِ الْمَالِ وَالْبَنِينَ * وَاللهِ لَقَدْ سَاءَنِي فِيكَ * مَا سَمِعْتُ مِنْ فِيكَ * ثُمَّ أَعْرَضَ إِعْرَاضَ الْمُغْضَبِ * وَنَزَا نَزَوَانَ الْعُنْظُبِ * فَقُلْتُ لَهُ قَاتَلَكَ اللهُ أَتَنْطَلِقُ مُتَبَخْتِرًا * وَتَدَعُنِي مُتَحَيِّرًا * فَقَالَ أَظُنُّكَ تَدَّعِي الْحَيْرَةَ * لِتَتَّخِذَ ضَمِيرَةً * وَتَسْتَغْنِيَ عَنِ الْمُهَيْرَةِ * فَقُلْتُ لَهُ قَبَّحَ اللهُ ظَنَّكَ * وَلَا أَشَبَّ قَرْنَكَ * ثُمَّ رُحْتُ عَنْهُ مَرَاحَ الْخَزْيَانِ * وَتُبْتُ مِنْ مُشَاوَرَةِ الصِّبْيَانِ * قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَقُلْتُ لَهُ أُقْسِمُ بِمَنْ أَنْبَتَ الْأَيْكَ * إِنَّ الْجِدَالَ مِنْكَ وَإِلَيْكَ * فَأَغْرَبَ فِي الضَّحِكِ * وَطَرِبَ طَرْبَةَ الْمُنْهَتِكِ * ثُمَّ قَالَ اِلْعَقِ الْعَسَلَ * وَلَا تَسَلْ * فَأَخَذْتُ أُسْهِبُ فِي مَدْحِ الْأَدَبِ * وَأُفَضِّلُ رَبَّهُ عَلَى ذِي النَّشَبِ * وَهُوَ يَنْظُرُ إِلَيَّ نَظَرَ الْمُسْتَجْهِلِ * وَيُغْضِي عَنِّي إِغْضَاءَ الْمُمْهِلِ * فَلَمَّا أَسْرَفْتُ فِي الْعَصَبِيَّةِ * لِلْعُصْبَةِ الْأَدَبِيَّةِ * قَالَ لِي صَهْ * وَاسْمَعْ مِنِّي وَافْقَهْ *

نظم

يَقُولُونَ إِنَّ جَمَالَ الْفَتَى * وَزِينَتَهُ أَدَبٌ رَاسِخُ
وَمَا إِنْ يَزِينُ سِوَى الْمُكْثِرِينَ * وَمَنْ طَوْدُ سُؤْدُدِهِ شَامِخُ
فَأَمَّا الْفَقِيرُ فَخَيْرٌ لَهُ * مِنَ الْأَدَبِ الْقُرْصُ وَالْكَامِخُ
وَأَيُّ جَمَالٍ لَهُ أَنْ يُقَالَ * أَدِيبٌ يُعَلِّمُ أَوْ نَاسِخُ

ثُمَّ قَالَ سَيَضِحُ لَكَ صِدْقُ لَهْجَتِي * وَاسْتِنَارَةُ حُجَّتِي * وَسِرْنَا لَا نَأْلُو جُهْدًا * وَلَا نَسْتَفِيقُ

جهداً * حتّى اذا ادّانا السّير * الى قرية عزب عنها الخير * فدخلناها للارتياد * وكلانا منفض
من الزّاد * فما إن بلغنا المحطّ * والمناخ المختطّ * أو لقينا غلام لم يبلغ الحنث * وعلى
عاتقه ضغث * فحيّاه ابو زيد تحية المسلم * وسأله وقفة المفهم * فقال وعمّ تسأل وفّقك الله *
قال أيباع ههنا الرّطب * بالخطب * قال لا والله * قال ولا البلح * بالملح * قال كلّا
والله * قال ولا التّمر * بالسّمر * قال هيهات والله * قال ولا العصيدة * بالقصيدة * قال
أسكت عافاك الله * قال ولا الثّرائد * بالفرائد * قال أين يذهب بك أرشدك الله *
قال ولا الدّقيق * بالمعنى الدّقيق * قال عدّ عن هذا أصلحك الله * واستحلى ابو زيد
تراجع السّوال والجواب * والتّكايل من هذا الجراب * ولمح الغلام أنّ الشّوط بطين *
والشّيخ شييطين فقال له حسبك يا شيخ قد عرفت فنّك * واستبنت أنّك * فخذ الجواب
صبرة * واكتف به خبرة * أمّا بهذا المكان فلا يشترى الشّعر بشعيرة * ولا النّثر بنثارة *
ولا القصص بقصاصة * ولا الرّسالة بغسالة * ولا حكم لقمان بلقمة * ولا أخبار الملاحم
بلحمة * وأمّا جيل هذا الزّمان فما فيهم من يميح * اذا اصيغ له المديح * ولا من يجيز *
اذا أنشد له الأراجيز * ولا من يغيث * اذا اطربه الحديث * ولا من يمير * ولو أنّه
أمير * وعندهم أنّ مثل الأديب * كالرّبع الجديب * إن لم تجد الرّبع ديمة * لم تكن
له قيمة * ولا دانته بهيمة * وكذا الأدب * إن لم يعضده نشب * فدرسه نصب *
وحزبه حصب * ثمّ انسدر يعدو * وولّى يعدو * فقال لي ابو زيد أعلمت أنّ الأدب

قَدْ بارَ * وَوَلَّتْ انصارُهُ الادْبارَ * فَبَوَّأتُ له بحُسْنِ البَصِيرة * وسَلَّمتُ بِحُكْمِ الضرورة * فقال دَعْنا الآن من المِصاع * وخُضْ في حديثِ القِصاع * واعلَمْ أنَّ الأسجاع * لا تُشبِعُ مَنْ جاعَ * فما التدبيرُ فيما يُمسِكُ الرَّمَقَ * ويُطفِي الحُرَقَ * فقلتُ الأمرُ اليك * والزِّمامُ بِيَدَيْك * فقال أرى ان تَرْهَنَ سيفَك * لتُشبِعَ جوفَك وضيفَك * فناوِلْنِيه واقِمْ * لانقلِبَ اليك بِما تلتقِم * فاحسَنْتُ به الظَّنَّ * وقلَّدتُه السَّيفَ والرَّهْنَ * فما لبِثَ أنْ رَكِبَ الناقة * ورَفَضَ الصِّدقَ والصَّداقة * فمكثْتُ مَلِيًّا أترقَّبُه ثمَّ نهضتُ أتعقَّبُه * فكُنتُ كمَنْ ضيَّعَ اللَّبَنَ في الصَّيف * ولَمْ ألقَهُ ولا السَّيف *

المقامة الرابعة والاربعون الشتوية وتعرف باللغزية

حكى الحارثُ بن همّامٍ * قال عَشَوْتُ في لَيلةٍ داجِيَةِ الظُّلَم * فاحِمَةِ اللِّمَم * الى نارٍ تُضرَمُ على عَلَمٍ * وتُخبِرُ عن كَرَمٍ * وكانت لَيلةً جَوُّها مقرورٌ * وجَيبُها مزرورٌ * ونَجمُها مَغمومٌ * وغيمُها مَركومٌ * وانا فيها أصرَدُ من عينِ الحِرباء * والعنزِ الجَرباء * فلم أزَلْ أُنِصُّ عَنْسِي * واقولُ طوبَى لكَ ولنفسي * الى أنْ تَبَصَّرَ المُوقِدُ آلي * وتَبيَّنَ إرقالي * فانحدَرَ يَعْدو الجَمَزَى * ويُنشِدُ مُرتجِزًا *

نظم

حُيِّيتَ مِنْ خابِطِ لَيلٍ سارِي * هَداهُ بل أهداهُ ضَوءُ النّارِ

الى رَحِيبِ الباعِ رَحْبِ الدّارِ * مُرَحِّبٍ بالطّارِقِ المُمتارِ

تَرحابَ جَعْدِ الكَفِّ بالدِّينارِ * لَيسَ بمُزْوَرٍّ عنِ الزُّوّارِ

وَلا بِمُعتامِ القِرى مِختارِ * إذا اقشعرَّت تُرَبُ الأقطارِ

وضَنَّتِ الأنواءُ بالأمطارِ * فهوَ على بُؤسِ الزَّمانِ الضَّاري

جَمُّ الرَّمادِ مُرهَفُ الشِّفارِ * لم يَخْلُ في لَيلٍ ولا نَهارِ

مِن نَحْرِ وارٍ واقتِداحِ واري

ثم تلقَّاني بمُحيًّا حَيِيّ * وصافحني براحةِ أرْيَحِيّ * واقتادني الى بيتٍ عِشارُهُ تَخُورُ * وأعشارُهُ تَفُورُ * وولائِدُهُ تَمُورُ * وموائِدُهُ تَدُورُ * وبِأكسارِهِ أضيافٌ قد جلَبَهُم جالِبي * وقُلِبُوا في قالِبي * وهُم يَجتَنُون فاكِهةَ الشتاء * ويَمرَحُون مَرَحَ ذَوِي الفَتاء * فأخَذْتُ مأخَذَهُم في الاصطِلاء * ووجَدْتُ بهِم وجْدَ الثَّمِلِ بالطِّلاء * ولمَّا أن سرَى الخَصَرُ * وانسرى الحَصَرُ * أُتينا بمَوائِدَ كالهالاتِ دَوْرًا * والرَّوضاتِ نَوْرًا * وقد شُحِنَّ بأطعِمَةِ الوَلائِمِ * وحُمِينَ مِن العائِبِ واللائِمِ * فرَفَضنا ما قِيلَ في البِطْنَةِ * ورأينا الإمعانَ فيها من الفِطْنَةِ * حتَّى إذا اكتَلْنا بِصاعِ الحُطَمِ * وأشفَينا على خَطَرِ التُّخَمِ * تعاوَرْنا مُشَوِّشَ الغَمَرِ * ثُمَّ تبوَّأنا مَقاعِدَ السَّمَرِ * واخَذَ كُلٌّ مِنَّا يَشُولُ بلِسانِهِ * ويَنشُرُ ما في صِوانِهِ * ما عدا شيخًا مُشتَهِبًا فَوْداهُ * مُخلَوْلِقًا بُرْداهُ * فإنَّهُ رَبَضَ حَجْرَةً * وأوسَعَنا هَجْرَةً * فغاظَنا تجنُّبُهُ * المُلتَبِسُ مُوجِبُهُ * المعذورُ فيهِ مُؤنِّبُهُ * الا أنَّا ألَنَّا لهُ القَوْلَ * وخَشِينا في المسألةِ العَوْلَ * وكُلَّما رُمْنا أن يُفيضَ كما أفَضْنا * أو يُفيضَ فيما أفَضْنا * أعرَضَ إعراضَ العِلْيَةِ عن الأرذَلِين * وتلا إنْ هذا إلَّا أساطِيرُ

الأوّلين * ثمّ كأنّ الحميّة هاجته * والنفس الأبيّة ناجته * فدلف وازدلف * وخلع الصّلف * وبذل ان يتلا فى ماسلف * ثمّ استرعى سمع السّامر * واندفع كالسّيل الهامر * وقال *

نظم

عِندي أعاجيبُ أرويها بلا كذِبِ * عن العِيانِ فكنّوني أبا العجبِ

رأيتُ يا قومِ أقواماً غِذاؤُهُم * بولُ العجوزِ وما أعني ابنة العِنبِ

بولُ العجوزِ لبنُ البقرة والعجوز ايضا من أسماءِ الخمر *

ومُستنين من الأعرابِ قوتُهم * أن يشتووا خِرقةً تغني من السّغبِ

الخِرقةُ القِطعةُ من الجراد

وكاتبين وما خطّت أناملُهم * حرفاً ولا قرأُوا ما خُطَّ في الكُتُبِ

الكاتبون الخرّازون * يقال كتب السّقاء والمزادة اذا خرزهما *

وقادِرين متى ما ساء صُنعهم * أو قصّروا فيه قالوا الذّنبُ للحطبِ

القادِرُ الطابخُ في القِدْرِ والقدِيرُ المطبوخُ فيها *

وتابعين عُقاباً في مسيرِهم * على تكمّيهم في البيضِ واليَلَبِ

العُقابُ الراية * وكانت راية النبي صلّى الله عليه وسلّم تسمّى العُقاب *

ومُنتدِين ذوي نبلٍ بدت لهم * نبيلةٌ فانثنوا منها إلى الهربِ

النبيلةُ الجيفةُ ومنهُ تنبّل البعيرُ اذا مات وأروح *

وعُصبةٍ لم تَرَ البيتَ العتيقَ وقد * حجّت جُثِيًّا بلا شكٍّ على الرُّكَبِ

معنى حجّت جُثِيًّا اى غلبت بالحجّة مُجادلين جاثين على الرُّكَب * وجُثِىّ جمع جاثٍ *

ونسوةٍ بينما ادلجن من حلبٍ * صبّحن كاظمةً من غيرِ ما تعبِ

كاظمةٌ فى هذا الموضع من كظم الغيظ

وفُدِلٍ حين سروا من ارضِ كاظمةٍ * واصبحوا حين لاح الصبحُ في حلبِ

اى اصبحوا يحلبون اللبن

ويافعٍ لم يلامس قطّ غانيةً * شاهدته وله نسلٌ من العقبِ

اليافعُ الذى قد ترعرع وناهز البلوغ والنسلُ ههنا العدوُ * ومنه قوله تعالى من كل حدبٍ ينسلون والعقبُ مؤخّر القدم *

وشائبًا غيرَ مُخفٍ للمشيبِ بدا * فى البدوِ وهو فتىّ السنّ لم يَشِبِ

الشائبُ ههنا مازج اللبن والمشيبُ اللبنُ الممزوج يقال فيه مشوبٌ ومشيبٌ *

ومُرضعًا بلبانٍ لم يفُهْ فمهُ * رأيته في شجارٍ بين السببِ

الشجارُ المحفّة ما لم تكن مظلّلة فان ظُلّلت فهو الهودج والسببُ ههنا الحبلُ ومنه قوله تعالى فليمدد بسببٍ الى السماء *

وزارعًا ذرةً حتى اذا حصدت * صارت غبيراءَ يهواها اخو الطربِ

الغبيراءُ السكرُ المتّخذ من الذرة وفى الحديث اياكم والغبيراء فانها خمرُ العالم

وتسمى السُّكُرُكة ايضا *

وراكِضا وهو مَغْلُولٌ على فَرَسٍ * قَدْ غُلَّ ايضا وما ينفكُّ مِن خَبَبِ

المغلَــول هٰهنــا العطشانُ وغُلَّ اى عَطِش

وذا يدٍ طُلُقٍ يقتادُ راحِلَــةً * مُسْتعجِلًا وهوما سُورٌ اخُو كُرَبِ

الماسُورُ الذى يَجِدُ الأُسْرَ وهوا حتباسُ البَـوْل

وجالِسًا ماشِياً تهــوِى مَطِيَّتُــهُ * به وما فى الذِى اَوْرَدتُّ مِن رِيَبِ

الجالِسُ الآتى نَجْدًا والماشِى الّذى كَثُرَتْ ماشِيتُه وعليه فسّر بَعْضُهُم قولَ الله تعالى

اَنِ امْشُوا كانّه دُعاءٌ لهم بالنّماء وكَثْرةِ الماشِية *

وحائكًا اَجْذَمَ الكَفَّينِ ذا خَرَسٍ * فَإن عَجِبتُم فكم فى الخَلْقِ مِن عَجَبِ

الحائكُ هٰهنا الّذِى اذا مَشَى حرّك مَنكِبيه وفَحَّج بيْنَ رُكبتَيْه *

وصادِعًا بالقَنا مِن غيرِ ان عَلِقَت * كفّــاه يَوْمًا برُمْحٍ لا ولم يَثِــبِ

القَنــا ارتفاعُ الأنفِ وتَحَدُّبِ وَسَطِــه وصَدَعَ به اى كَشَفَــهُ

وذا شَطاطٍ كصَدْرِ الرُّمْحِ قامَتُهُ * صادَفْتُه بِمِنًى يَشْكُو مِنَ الحَدَبِ

الحَـدَبُ ما ارتَفَــعَ مِن الارض

وساعِيًا فى مَسَرّاتِ الانامِ يرى * اِفراحَهُم مأْثَمًا كالظُّلْمِ والكَذِبِ

اِفراحُهم اِثقالُهم بالدَّيْنِ ومنه قولُه عليه السلام لا يُترَكُ فى الاِسْلامِ مُفْرَحٌ اى مُثقَــلٌ

ومُغرَمٍ ما بمُناجاة الرِّجالِ لهُ * وما لهُ في حديثِ الخلقِ من اربِ

الخلق ههنا الكذب ومنه قوله تعالى إن هذا الّا خلقُ الاوّلين *

وذانِ مامٍ وفت بالعهدِ ذِمّتُهُ * ولا ذِمامَ له في مذهبِ العربِ

الذمام الاول العهد والثاني جمع ذِمّة وهي البئر القليلة الماء وعنى بالمذهب المسلك

اى ما له في البدو آبارٌ قليلة الماء *

وذا قوىً ما استبانت قطّ لِينتهُ * ولِينُهُ مستبينٌ غير محتجبِ

اللِّين النخل الدقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لِينةٍ *

وساجدًا فوق فحلٍ غير مكترثٍ * بما اتى بل يراه افضل القُرَبِ

الفحل الحصير المتّخذ من فحّال النخلِ

وعاذرٍ رامَ ؤلماً من ظلّ يعذرهُ * مع التلطّفِ والمعذور في صخبِ

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدةٍ ما بها ماءٌ لمغترفٍ * والماء يجري عليها جريَ منسربِ

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمّى ايضا البلجة *

وقريةٍ دون افحوص القطا شحنت * بديلمٍ عيشهم من خلسة السلبِ

القرية بيت النمل والديلم النمل الكثير *

وكوكبًا يتوارى عند رؤيته * الانسان حتى يرى في امنع الحجبِ

الكوكبُ النُكتةُ من البياضِ التي تحدثُ في العين والانسانُ ههنا انسانُ العين *

ورَوثَةٍ قوّمتْ مالا لهُ خطرٌ * ونفسُ صاحبها بالمالِ لم تطِبِ

الروثةُ مُقدَّمُ الانفِ *

وصحفةٍ مِن نُضارٍ خالصٍ شرِبت * بعدَ الكاسِ بقيراطٍ من الذهبِ

النُضارُ ههنا شجرُ النبع وإياهُ عنى ابراهيمُ النخعيُّ بقوله لا باسَ بانْ يُشربَ في قدحِ النُضارِ *

ومُستجيشاً بخشخاشٍ ليدفعَ ما * اظلّهُ من اعاديهِ فلم يخبِ

الخشخاشُ الجماعةُ عليهم دروعٌ واسلحةٌ *

وطالما مرّ بي كلبٌ وفي فمهِ * ثورٌ ولكنهُ ثورٌ بلا عَصَبِ

الثورُ القطعةُ مِنَ الاقطِ *

وكم رأى ناظري فيلاً على جملٍ * وقد تورّكَ فوقَ الرحلِ والقتبِ

الفيلُ الرجلُ الفائلُ الرأيِ *

وكم رأتْ مُقلتي عينينِ ماؤهما * يجري من الغربِ والعينانِ في حلبِ

الغربُ مجرى الدمعِ والعينانِ ههنا المقلتانِ وحلبُ البلدةُ المعروفةُ *

وكم لقيتُ بعرضِ البيدِ مشتكياً * وما اشتكى قطُّ في جدٍّ ولا لعبِ

المُشتكي المتخذُ شكوةً وهي القربةُ الصغيرةُ *

وكنت ابصرت كرازا لراعية * بالدو ينظر من عينين كالشهب

الكراز الكبش الذي يحمل عليه الراعي اداته *

وكم نزلت بارض لا نخيل بها * وبعد يوم رأيت البسر في القلب

البسر جمع بسرة وهي الماء الحديث العهد بالمطر والقلب جمع قليب *

وكم رأيت باقطار الفلا طبقا * يطير في الجو منصبا الى صبب

الطبق القطعة من الجراد *

وكم مشائخ في الدنيا رأيتهم * مخلدين ومن ينجو من العطب

المخلد الذي ابطأ شيبه

وكم بدا لي وحش يشتكي سغبا * بمنطق ذلق امضى من القضب

الوحش الرجل الجائع

وكم دعاني مستنج فجاءني * وما اخل ولا اخللت بالادب

المستنجي الجالس على نجوة وهي المكان المرتفع *

وكم انخت قلوصي تحت جنبذة * تظل ما شئت من عرب ومن عرب

الجنبذة القبة والعرب جمع عروب وهي المرأة المتحببة الى زوجها *

وكم نظرت الى من سر ساعته * ودمعه مستهل القطر كالسحب

سر اي قطع سرره ويسمى ما يبقى بعد القطع السرة *

وكم رأيتُ قميصاً ضرّ صاحبهُ * حتى انثنى واهي الأعضاءِ والعصبِ

القميصُ الدابّةُ الكثيرةُ القِماص .

وكم إزارٍ لوانّ الدهرَ اتلفهُ * لجفَّ لِبدُ حنيثِ السيرِ مضطربِ

الإزارُ المرأة ومنهُ قول الشاعر *

فِدىً لك من اخي ثقةٍ ازاري * هذا وكم من افانينٍ معجّبةٍ

عندي ومن مُلَحٍ تُلهي ومن نخبِ * فان فطنتم للحنِ القولِ بان لكم

صِدقي ودَلّكم طَلعي على رطبِ * وان شدهتم فانّ العارَ فيه على

من لا يميّزُ بين العُودِ والخشبِ *

قال الحارثُ بن همّام فطفقنا نخبطُ في تقليبِ قريضهِ * وتاويلِ معاريضهِ * وهو يلهو بنا لهوَ الخليّ بالشجي * ويقولُ ليس بعشّكِ فادرجي * الى ان تعسّر النِتاجُ * واستحكم الارتتاجُ * فالقينا اليه المقادةَ * وخطبنا منه الافادةَ * فوقفنا بين الطمعِ واليأسِ * وقال الايناسُ قبلَ الابساسِ * فعلمنا انّه ممّن يرغبُ في الشُكمِ * ويرتشي في الحُكمِ * وساءَ ابا مثوانا ان نعرّضَ للغُرمِ * او نخيّبَ بالرغمِ * فاحضرَ ناقةً عِيدِيّةً * وحُلّةً سعيديّةً * وقال له خذهما حلالاً * ولا ترزأ اضيافي زِبالاً * فقال اشهدُ انّها شِنشنةٌ اخزميّةٌ * واريحيّةٌ حاتميّةٌ * ثمّ قابلنا بوجهٍ بشرهُ يشفُّ * ونضرتهُ ترفُّ * وقال يا قومِ انّ الليلَ قد اجلوّذَ * والنعاسَ قد استحوذ * فافزعوا الى المراقدِ * واغتنموا راحةَ الراقدِ *

لِتشربُوا نشاطًا * وتُبعثُوا نشاطًا * فتعُوا ما أُفسّرُ * ويتسهّلُ لكم المتعسّرُ * فاستصوبَ كُلٌّ ما رآهُ * وتوسّدَ وسادةَ كراه * فلما وسنتِ الاجفانُ * واغفتِ الضيفانُ * وثبَ الى النّاقةِ فرحلها * ثمّ ارتحلها ورحّلها * وقال مخاطبًا لها *

نظم

سروجُ يا ناقِ فسيري وخِدي * وادلِجي واوّبِي واسئِدي
حتّى تطأَ خُفّاكِ مرعاها النّدى * فتنعمِي حينئذٍ وتسعدِي
وتأمني ان تتهمِي او تُنجدي * ايهٍ فدتكِ النوقُ جِدّي واجهدِي
وافرِي اديمَ فدفدٍ ففدفدِ * واقتنعِي بالنّشحِ عندَ الموردِ
ولا تحطّي دونَ ذاكِ المقصدِ * فقد حلفتُ حلفةَ المجتهدِ
بحرمةِ البيتِ الرّفيعِ العمدِ * انّكِ ان احللتِني في بلدي
حللتِ منّي بمحلِّ الولدِ *

قال فعلمتُ انّه السّروجيُّ الّذي اذا باعَ انباعَ * واذا ملأَ الصّاعَ انصاعَ * ولمّا انبلجَ صباحُ اليوم * وهبَّ النّوّامُ من النّوم * اعلمتُهم انّ الشّيخَ حين اغشاهُمُ السّباتُ * طلّقهم البتاتَ * وركبَ النّاقةَ وفاتَ * فاخذهُم ما قدُمَ وما حدُثَ * ونسوا ما طابَ منه بما خبُثَ * ثمّ انشعبنا في كلِّ مشعبٍ * وتهنا تحتَ كلِّ كوكبٍ *

قال القاسمُ بنُ عليٍّ رضيَ اللهُ عنه قد فسّرتُ سرَّ كلِّ لغزٍ تحتهُ * ولم ابعدْ على من يقرؤهُ كشفهُ * وقد بقيتْ الفاظٌ اشتملتْ عليها هذه المقامةُ * ربّما التبسَ تفسيرُها

عَلَى بَعْضِ مَنْ تَقَعُ اليه فَاَحْبَبْتُ اِيضَاحَهَا لَه * لِيُكْفَى حَيْرَةَ الشُّبْهَةِ * وَكُلْفَةَ الفِكْرَةِ * وَوَصْمَةَ البَحْثِ والمَسْئَلَةِ * وبالله تعالى الاستعانة والقوة * قوله عَشَوْتُ الى نارٍ * يعني تَنَوَّرْتُهَا فقصدتُّها فان لم تقصدها قلت عَشَوْتُ عنها كقوله تعالى وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ له شيطانًا اى ومَنْ يُعْرِضْ * وقوله انا فيها اَصْرَدُ من عينِ الحِرْباءِ والعَنْزِ الجَرْباءِ * هذانِ مَثَلانِ يُضْرَبانِ لمن يَبْلُغُ منه البَرْدُ * وذلك لِاَنَّ الحِرْباءَ تَدُورُ اَبَدًا مع الشَّمْسِ وتستقبلها بِعَيْنِها ولذلك شَبَّهَ ابْنُ الرُّومِيِّ الرَّقيبَ بالحِرْباءِ في قوله *

نظم

ما بالُها قد حُسِّنَتْ وَرَقيبُها * اَبَدًا قَبيحٌ قُبِّحَ الرُّقَباءُ

ما ذاكَ اِلَّا اَنَّها شَمْسُ الضُّحَى * اَبَدًا تَكُونُ رَقيبَها الحِرْباءُ

والعَنْزُ الجَرْباءُ لا تَدْفَأُ في الشِّتاءِ لِقِلَّةِ شَعْرِها * وذكر بعضهم اَنَّ العَنْزَ الجَرْباءَ تصحيفُ المَثَلِ الاَوَّلِ * وقوله نَحْرُوارٍ يعني الجَمَلَ المُكْتَنِزَ شَحْمًا الكثيرَ مُخًّا * وقوله مِشارُهُ تَخُورُ واَعْشارُهُ تَفُورُ العِشارُ النُّوقُ الحَوامِلُ واحدتها عُشَراءُ وهى التى اتى عليها في الحَمْلِ عَشَرَةُ اَشْهُرٍ ثُمَّ لا يَزالُ ذلك اِسْمَها حَتَّى تَضَعَ * والاَعْشارُ البُرْمَةُ العظيمةُ كَاَنَّها شُعِّبَتْ لِعِظَمِها يُقالُ بُرْمَةٌ اَعْشارٌ وجَفْنَةٌ اَكْسارٌ وثَوْبٌ اَسْمالٌ وبُرْدٌ اَخْلاقٌ وحَبْلٌ اَرْمامٌ ووَصْفُ الجَماعَةِ منها كَوَصْفِ الواحدِ * وقوله فاكِهَةَ الشِّتاءِ كَنَى بها عَنِ النّارِ ومنه قولُ بعضِ المُحْدَثِين *

نظم

النَّارُ فاكِهَةُ الشِّتاءِ فمَنْ يُرِدْ * اَكْلَ الفَواكِهِ شاتِيًا فَلْيَصْطَلِ

اِنَّ الفَواكِهَ في الشِّتاءِ شَهِيَّةٌ * وَالنَّارُ لِلْمَقْرُورِ اَفْضَلُ ما كُلِ

وقوله صوائد كالهالات يعنى دارات القَمَر واحدها هالةٌ ودارةُ الشَّمسِ تُسَمَّى الطُّفاوة * وقوله مَشْوش الغَمَر يعنى المِنْديل يقال مَشَّ يَدَه بالمِنديل اى مَسَحها ومنه قُول امرءِ القَيس *

نظم

نَمُشُّ بأعرافِ الجِيادِ اَكُفَّنا * اِذا نَحْنُ قُمنا عَنْ شِواءٍ مُضَهَّبِ

وقوله مُشتهِبًا فوداه اى صار من الشَّيب فى لَونِ الاَشهَب * ومنه قول امرءِ القَيس ايضا *

نظم

قالَتِ الخَنساءُ لَمَّا جِئْتُها * شابَ بَعْدِى رَأسُ هٰذا واشْتَهَبْ

وقوله رَبَض حَجْرَةً يعنى ناحِيةً * ويقال فى المَثَل لِمَن يُشارِكُ فى الرَّخاءِ * ويُجانِبُ عِنْدَ البَلاءِ * يَرْتَعُ وَسَطًا ويَرْبِضُ حَجْرَةً *

وقوله فاسْتَرْعَى سَمْعَ السَّامِر * يعنى السُّمَّار لاَنَّ السَّامِرَ اسمٌ للجَمْع كالحاضِر اسمٌ لِلْحَيِّ النَّازلِين على الماءِ وكالباقِر اسمٌ لِجماعة البَقَر وقال بعضُ اَهلِ اللُّغة هو اسمٌ لِلْبَقَر مع رُعاتِها واشْتِقاقُ السَّامِر من السَّمَر وهو ظِلُّ القَمَر ماخوذٌ من السُّمْرة فلمَّا كان غالبُ احوال السُّمَّارِ اَنَّهم يَتَحَدَّثون في ظِلِّ القَمَر اُشْتُقَّ لَهم اسمٌ منه والي هذا يَرجِع قولهم لا اُكَلِّمه القَمَرَ والسَّمَرَ * وقوله لَيسَ بعُشِّكِ فادْرُجى * هذا مَثَلٌ يُضرَب لِمَن يَتَعاطى ما لا يَنْبَغِي

له والعُشّ ما يكون في شَجَرة فان كان في حائط او كهف جبل فهو وَكْر * وقوله الايناسُ قبل الابساسِ * هذا مَثَل ايضا ومعناه انّه ينبغي ان يُونَس الانسان ثم يُكَلَّف واصله اَنّ حالِبَ النّاقة يُونِسها حين يروم حلبها ثم يُبِسّ بها للحلب والابساس ان يقول لها بُسْ بُسْ لتسكن وتَدِرّ وتُسَمّى النّاقة التي تدرّ على الابساس البَسُوس * وقوله يرغبُ في الشُّكم * الشُّكم ما اَعطيته على سبيل المجازاة فان اَعطيته مُبتدئا فهو الشُّكد * وقوله ساء اَباً مثوانا * يعني المضيف الّذي اَوَوا اليه وثَوَوا عنده * وقوله ناقة عِيديّة * قيل انها منسوبة الى فحلٍ مُنجِب اسمه عِيد وقيل انها منسوبة الى فخذ من مَهْرة اسمه عِيد بن الآمري على وزن العامري بن مَهْرة وكانت مهرة وعِيد تتّخذ انجائب الابل فنُسِبت اليهما * وقوله حُلّة سَعِيديّة هي منسوبة الى سَعيد بن العاص وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كساه وهو غلامٌ حُلّة فنُسِب جنسُها اليه * وقوله لا ترزأ اَضيافي زِبالا اي لا ترزأهم شيئاً وان قلّ والاَصل في الزِّبال ما تحمله النملة بفيها * وقوله شِنشِنة اَخزَميّة * اشار به الى المثل الذي ضربه جدّ حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بن اَخزم الطّائي حين نشأ حاتمٌ وتقيّل اَخلاق جدّه اَخزم في الجود فقال شِنشِنةٌ اَعرفها من اَخزم * وتمثّل عقيل بن عُلّفة به حين قال *

نظم

اِنّ بَنيّ ضرّجوني بالدّم * مَن يلقَ آساد الرّجال يُكلَم
شِنشِنةٌ اَعرفها اَخزم

وَمن ادَّعى اَنَّ المَثَل له فقد سها فيه * قوله اجلوذَّ اى أَسْرَعَ فى الذهاب ومثله اخروَّطَ
وقوله وَثَبَ الى النَّاقةِ فرحَلَها بمعنى شَدَّ عليها الرَّحْلَ وبه سُمِّيتِ الرَّاحلة لانها فاعلةٌ في
معنى مَفعولة كقوله تعالى في عِيشةٍ رَّاضيةٍ اى مَرضيَّةٍ ومن ماءٍ دافقٍ اى مدفوقٍ
والرَّاحِلةُ تقع على النَّاقةِ والجَمَلِ ودخولُ الهاءِ فيها للمُبالغة مثل داهيةٍ وراويةٍ * وقوله
ارْتحلها اى رَكِبها وفي الحديث ان النَّبيَّ صَلَّى اللّه عليه وسَلَّم سَجَدَ فركِبَهُ الحَسَنُ
رَضِيَ اللّهُ عَنه فابطأَ في سُجُودِهِ فلمَّا قضى صَلوتَهُ قال اِنَّ ابنى ارتحلَني فكرهْتُ اَنْ اُعْجِلهُ *
وقوله وَرَحَّلَها اى اَزْعَجَها وَاشْخَصَها وَاجَدَّ بها في الرَّحِيلِ ومنه الخَبَرُ تخرُجُ عِنْدَ اَقترابِ
السَّاعةِ نارٌ مِن قعرِ عدنَ تُرَحِّلُ النَّـاسَ * وقوله فَادْلَجي واَوِّبِي واَسْئِدِي * الاِدْلاجُ
اَنْ تَسِيْرَ اللَّيلَ كُلَّه والاِسْمُ منه الدَّلْجَةُ بفتحِ الدال والاِدِّلاجُ بالتَّشديدِ اَنْ تسِيرَ من
آخرِهِ والاسم منه الدُّلجة بضمِّ الدَّال وقِيلَ اِنَّ الدلجة بفتحِ الدَّال وضمِّها بمعنىً
واحدٍ * والتَّاويبُ سَيْرُ النَّهارِ وَحْدَهُ * والاِسْآدُ اَنْ تَسِيْرَ لَيْلاً وَنَهاراً * والنَّشحُ اَنْ تَشْرَبَ
دُوْنَ الرِّيِّ * وقوله فَاَخَذَهُم ماقَدُمَ وماحَدُثَ يُقالُ ذلك لِمن تَسْتَولِي الهُمُومُ عليهِ
وَتَتلاعَبُ به وتُضَمُّ الدَّالُ من حَدُثَ في هذا الموضِعِ وَحْدَهُ لِيُوافِقَ لَفْظُها لفظَ قَدُمَ فاِنْ
اُفرِدَ حَدَثَ عن قدُمَ وَجَبَ فَتْحُ الدَّالِ مِنْ حَدَثَ ومثلُهُ قَوْلُهم هَنَأَنِى وَمَرَأَنِى
بحذفِ الالفِ من اَمْرَأَنِي اذا ذُكِرَ مَعَ هَنَأَنِى فَاِنْ اَفْرَدْتَهُ وَجَبَ ان تقولَ
اَمْرَأَنِى الشَّيئُ وكذلك يقولون رِجسٌ نِجسٌ فيكسِرُونَ النُّونَ مِنْ نجِسٍ وَيُسَكِّنُونَ

الجيم ليزاوج لفظة رِجس فإن أُفرِد قيل نَجَس بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى إنّما المشركون نَجَس وقوله ذهبنا تحت كلّ كوكب * هذا مثل يُضرب لمن يختلف في السفر طرقهم * وتتباين سبلهم *

المقامة الخامسة والاربعون الرملية

حكى الحارث بن همّام قال كنت اخذت عن أُولي التجارب * أنّ السفر مرآة الأعاجيب * فلم أزل أجوب كلّ تنوفة * واقتحم كلّ مخوفة * حتى اجتليت كلّ أُطروفة * فمن أحسن ما لمحته * وأغرب ما استملحته * أنّي حضرت قاضي الرملة * وكان من أرباب الدولة والصولة * وقد ترافع اليه بالٍ في بالٍ * وذات جمال في أسمال * فهمّ الشيخ بالكلام * وتبيان المرام * فمنعته الفتاة من الإفصاح * وخسأته عن النباح * ثم نضت عنها فضلة الوشاح * وأنشدت بلسان السليطة الوقاح * نظم

يا قاضي الرملة يا ذا الذي * في يده التمرة والجمرة
اليك أشكو جور بعلي الذي * لم يحجج البيت سوى مرّة
وليته لمّا قضى نسكه * وخفّ ظهراً اذ رمى الجمرة
كان على رأي أبي يوسف * في صلة الحجّة بالعمرة
هذا على أنّي مذ ضمّني * اليه لم أعص له امرة
فمره إمّا ألفة حلوة * ترضي وإمّا فرقة مرّة

مَنْ قَبلِ ان اَخلَعَ ثوبَ الحَيا * فِي طاعةِ الشيخ اَبِي مُرَّة

فقال له القاضِي قد سمِعتَ ما عَزَتك اليه * وتوعدتك عليه * فجانِب ما عَرَّك * وحاذِر ان تفرك وتُعرك * فجثا الشيخ على ثفناته * وفجَّر ينبوعَ نفثاتِه * وقال * نظم

اِسمع عداك الذمُّ قولَ امرِئٍ * يُوضِحُ فيما رابها عُذرَه

وَاللهِ ما اَعرضتُ عنها قِلَى * ولا هوى قلبِي قضى نذرَه

وَاِنَّما الدهرُ عدا صرفُهُ * فابتزّنا الدُرَّةَ والذَّرّه

فَمنزلِي قفرٌ كما جيدُها * عُطلٌ مِنَ الجزعةِ والشذرَة

وكُنتُ مِن قبلُ اَرى فِي الهوى * وَدِينِه رأيَ بني عُذرَة

فَمذ نبا الدهرُ هجرتُ الدُمى * هِجرانَ عفٍّ آخِذٍ حِذرَه

ومِلتُ عن حرثِي لا رغبةً * عنه ولكِن اَتقِي بذرَه

فلا تلُم مَن هذه حالُهُ * وَاعطِف عليهِ واحتمِل هذرَه

قال فالتظت المرأةُ من مقاله * وانتضت الحُجَجَ لجداله * وقالت له وَيلك يا مرقعانُ * يا مَن هو لا طعامٌ ولا طِعان * اتضيقُ بالولدِ ذرعا * ولِكلِّ اكولةٍ مرعًى * لقد ضلَّ فهمُك واخطأ سهمُك * وسفهتَ نفسك * وشقِيَت بك عِرسُك * فقال لها القاضِي اَمّا انتِ فلو جادلتِ الخنساءَ * لانثنت عنكِ خرساء * واَمّا هُو فان كان صدق في زعمه * ودعوى عدمِه * فله في همِّ قبقبِه * ما يشغلُه عن ذبذبِه * فاطرقت تنظرُ ازوِرارًا *

وَلا تَرجِعُ حِوارًا * حَتّى قُلْنا قد راجَعَها الخَفَرُ * اوحاقَ بِها الظَّفَرُ * فقالَ لها الشَّيخُ تَعسًا لكِ اِن زَخرَفتِ * اوكَتَمتِ ما عرَفتِ * فقالَت وَيحَكَ وَهَل بَعدَ المُنا فَرَةِ كَتمٌ * اَو بَقِيَ لنا عَلى سِرِّ خَتمٌ * وَما فِينا اِلّا مَن صَدَقَ * وهَتَكَ صَونَه اِذ نَطَقَ * فَلَيتَنا لاقَينا البَكَم * ولَم نَلقَ الحَكَم * ثُمَّ التَفَعَت بِوِشاحِها * وتَباكَت لِافتِضاحِها * وجَعَلَ القاضي يَعجَبُ مِن خَطبِهِما ويُعَجِّبُ * ويَلُومُ الدَّهرَ لَهُما ويُؤَنِّبُ * ثُمَّ اَحضَرَ مِنَ الوَرِقِ اَلفَينِ * وقالَ اَرضِيا بِهِما الاَجوَفَينِ * وَعاصِيا النّازِغَ بَينَ الاِلفَينِ * فَشَكَراهُ عَلى حُسنِ السَّراحِ * وانطَلَقا وَهُما كالماءِ والرّاحِ * وطَفِقَ القاضي بَعدَ مَسرَحِهِما * وتَنائي شَبَحِهِما * يُثني عَلى اَدَبِهِما * ويَقُولُ هَل مِن عارِفٍ بِهِما * فقالَ لَه عَينُ اَعوانِه * وخالِصَةُ خُلَصائِه * اَمّا الشَّيخُ فالسَّرُوجِيُّ المَشهُودُ بِفَضلِه * واَمّا المَرأَةُ فَقَعِيدَةُ رَحلِه * واَمّا تَحاكُمُهُما فَمَكِيدَةٌ مِن فِعلِه * واُحبُولَةٌ مِن حَبائِلِ خَتلِه * فاَحفَظَ القاضي ما سَمِعَ * وتَلَهَّبَ كَيفَ خُدِعَ * ثُمَّ قالَ للواشي بِهِما * قُم فَرُدَّهُما * ثُمَّ اقصِدهُما وصُدَّهُما * فَنَهَضَ يَنفُضُ مِذرَوَيهِ * ثُمَّ عادَ يَضرِبُ اَصدَرَيهِ * فقالَ لَه القاضي اَظهِرنا عَلى ما نَبَثتَ * ولا تُخفِ عَنّا ما استَخبَثتَ * فقالَ ما زِلتُ اَستَقرِي الطُّرُقَ * واَستَفتِحُ الغُلُقَ * اِلى اَن اَدرَكتُهُما مُصحِرَينِ * وقَد زَمّا مَطِيَّ البَينِ * فَرَغَّبتُهُما في العَلَلِ * وكَفَلتُ لَهُما بِنَيلِ الاَمَلِ * فاُشرِبَ قَلبُ الشَّيخِ اَن يَيأَسَ * وقالَ الفِرارُ بِقُرابٍ اَكيَسُ * وقالَت هي بَلِ العَودُ اَحمَدُ * والفَروقَةُ يَكمَدُ * فَلَمّا تَبَيَّنَ الشَّيخُ سَفَهَ رائِها * وغَرَرَ اجتِرائِها * اَمسَكَ ذَلاذِلَها * ثُمَّ اَنشَأَ يَقُولُ لَها

نظم

دُونَكَ نُصْحِي فَاقْتَفِي سُبُلَهْ * وَاغْنَيْ عَنِ التَّفْصِيلِ بِالجُمْلَهْ
طِيرِي مَتَى نَقَّرْتِ مِنْ نَخْلَةٍ * وَطَلِّقِيهَا بَتَّةً بَتْلَهْ
وَحَاذِرِي العَوْدَ إِلَيْهَا وَلَوْ * سَبَّلَهَا نَاطُورُهَا الأَبْلَهْ
فَخَيْرُ مَا لِلِّصِّ أَنْ لَا يُرَى * بِبُقْعَةٍ فِيهَا لَهُ عَمْلَهْ

ثم قَالَ لِي لَقَدْ عُنِيتَ بِمَا وُلِّيتَ * فَارْجِعْ مِنْ حَيْثُ جِئْتَ * وَقُلْ لِمُرْسِلِكَ إِنْ شِئْتَ *

نظم

رُوَيْدَكَ لَا تُعْقِبْ جَمِيلَكَ بِالأَذَى * فَتُضْحِي وَشَمْلُ المَالِ وَالحَمْدِ مُنْصَدِعْ
وَلَا تَتَغَضَّبْ مِنْ تَزَيُّدِ سَائِلٍ * فَمَا هُوَ فِي صَوْغِ اللِّسَانِ بِمُبْتَدِعْ
وَإِنْ تَكُ قَدْ سَاءَتْكَ مِنِّي خَدِيعَةٌ * فَقَبْلَكَ شَيْخُ الأَشْعَرِيِّينَ قَدْ خُدِعْ

فَقَالَ لَهُ القَاضِي قَاتَلَهُ اللهُ فَمَا أَحْسَنَ شُجُونَهُ * وَأَمْلَحَ فُنُونَهُ * ثم إِنَّهُ أَصْحَبَ رَائِدَهُ بُرْدَيْنِ * وَصُرَّةً مِنَ العَيْنِ * وَقَالَ لَهُ سِرْ سَيْرَ مَنْ لَا يَرَى الالتفاتَ * إِلَى أَنْ تَرَى الشَّيْخَ وَالفَتَاةَ * فَبُلَّ يَدَهُمَا بِهَذَا الحِبَاءِ * وَبَيِّنْ لَهُمَا انْخِدَاعِي لِلأُدَبَاءِ * قَالَ الرَّاوِي فَلَمْ أَرَ فِي الاغْتِرَابِ * كَهَذَا العُجَابِ * وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ مِمَّنْ جَالَ وَجَابَ *

المقامة السادسة والاربعون الحلبية

حَدَّثَ الحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ قَالَ نَزَعَ بِي إِلَى حَلَبَ * شَوْقٌ غَلَبَ * وَطَلَبٌ يَا لَهُ مِنْ طَلَبٍ * وَكُنْتُ يَوْمَئِذٍ خَفِيفَ الحَاذِ * حَثِيثَ النَّفَاذِ * فَأَخَذْتُ أُهْبَةَ السَّيْرِ * وَخَفَفْتُ

نحوها خفوف الطير * ولم ازل مذ حللت ربوعها * وارتبعت ربيعها * أفانى الايام * فيما يشفي الغرام * ويروي الاوام * الى ان افصر القلب عن ولوعه * واستطار غراب البين بعد وقوعه * فاغرانى البال الخلو والمرح الحلو * بان اقصد حمص لاصطاف ببقعتها * واسبر رقاعة اهل رقعتها * فاسرعت اليها اسراع النجم * اذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها * ووجدت روح نسيمها * لمح طرفي شيخا قد اقبل هريره * وادبر غريره * وعنده عشرة صبيان * صنوان وغير صنوان * فطاوعت في قصده الحرص * لاخبر به ادباء حمص * فبش بي حين وافيته * وحيا باحسن مما حييته * فجلست اليه لابلو خبيء نطقه * واكتنه كنه حمقه * فما لبث ان اشار بعصيته * الى كبر اصيبيته * وقال له انشد الابيات العواطل * واحذر ان تماطل * فجثا جثوة ليث * وانشد من غير ريث *

نظم

اعدد لحسادك حد السلاح * واورد الآمل ورد السماح

وصارم اللهو ووصل المها * واعمل الكوم وسمر الرماح

واسع لادراك محل سما * عماده لا لادراع المراح

والله ما السودد حسو الطلا * ولا مراد الحمد رود رداح

واها لحر صدره واسع * وهمه ما سر اهل الصلاح

مورده حلو لسواله * وماله ما ساء لوه مطاح

مَا أَسْمَعَ الآمِلَ رَدًّا وَلَا * مَاطَلَهُ وَالمَطْلُ لُؤْمٌ صُرَاحْ

وَلَا أَطَاعَ اللَّهْوَ لَمَّا دَعَا * وَلَا كَسَا رَاحَاتِهِ كَاسَ رَاحْ

سَوَّدَهُ إِصْلَاحُهُ سِرَّهُ * وَرَدْعُهُ أَهْوَاءَهُ وَالطِّمَاحْ

وَحَصَّلَ المَدْحَ لَهُ عِلْمُهُ * مَا مَهْرُ العُورِ مُهُورُ الصِّحَاحْ

فقال له احسنت يا بُدَيْر * يا راسَ الدَّيْر * ثمّ قال لِتِلْوِه * المُشْتَبِه بصِنْوِه * اُدْنُ يا نُوَيْرَة * يا قَمَرَ الدُّوَيْرَة * فدنا ولم يتباطأ * حتّى حلَّ منه مَقْعَدَ المُعاطي * فقال له اَجْلِ الابياتَ العرائسَ وإن لم يكُنَّ نفائس * فبرى القلمَ وقطَّ * ثمّ اختبر اللوحَ وخطَّ

نظم

فَتَنَتْنِي فَجَنَّنَتْنِي تَجَنِّي * بِتَجَنٍّ يَفْتَنُّ غِبَّ تَجَنِّي

شَغَفَتْنِي بِجَفْنِ ظَبْيٍ غَضِيضٍ * غَنِجٍ يَقْتَضِي تَغَيُّضَ جَفْنِي

غَشِيَتْنِي بِزِينَتَيْنِ فَشَغَفَتْنِي * بِزِيٍّ يَشُقُّ بَيْنَ تَثَنِّي

فَتَظَنَّيْتُ تَجْتَبِينِي فَتَجْزِينِي * بِنَفْثٍ يُشْفِي فَخَيَّبَ ظَنِّي

ثَبَّتَتْ فِي غِشٍّ جَيْبٍ بِتَزْيِينٍ * حَبِيبٍ يَبْغِي تَشَفِّيَ ضِغْنِي

فَنَزَتْ فِي تَجَنُّبِي فَشَنَتْنِي * بِنَشِيجٍ يُشْجِي بِفَنٍّ فَفَنِّ

فلمّا نظر الشيخُ الى ما حبّره * وتصفّح ما زبّره * قال له بُورِكَ فيك من طَلا * كما بُورِكَ في لا ولا * ثمّ هتف بأُقرب * يا قُطْرُب * فاقترب منه فتى يحكي نجمَ دُجْيَةٍ * او تمثالَ دُمْيَةٍ * فقال له ارقُمِ الابياتَ الاخيافَ * وتجنّبِ الخلافَ * فاخذ القلمَ * ورقمَ *

نظم

اِسْمَحْ فَبَثُّ السَّماحِ زَيْنٌ * وَلَا تُخِبْ آمِلًا تَضَيَّفْ

وَلَا تُجِزْ رَدَّ ذِي سُؤالٍ * فَنَّنَ امْ فِي السُّؤالِ خَفَّفْ

ولا تظُنَّ الدُّهورَ تُبْقِي * مالَ ضَنِينٍ ولَوْ تَقَشَّفْ

وَاحْلُمْ فَجَفْنُ الكِرامِ يُغْضِي * وصَدْرُهُم فِي العَطاءِ نَفْنَفْ

وَلَا تَخُنْ عَهْدَ ذِي وِدادٍ * ثَبْتٍ وَلَا تَبْغِ ما تَزَيَّفْ

فقال له لا شَلَّتْ يداكَ * ولا كَلَّتْ مُداكَ * ثُمَّ نادى يا غَشَمْشَم * يا عِطْرَ مَنْشَم * فَلَبَّاهُ غُلامٌ كَدُرَّةِ غَوَّاص * وجُؤْذُرِ قَنَّاص * فقال له اكْتُبِ الأبْياتَ المُتائِمَ * وَلَا تَكُنْ مِن المَشائِيمِ * فَتَناوَلَ القلمَ المُثَقَّفَ * وكَتَبَ ولم يَتَوَقَّف *

نظم

زُيِّنَتْ زَيْنَبٌ بِقَدٍّ يَقُدُّ * وتَلاهُ وَيْلاهُ نَهْدٌ يَهُدُّ

جُنْدُها جِيدُها وظَرْفٌ وطَرْفٌ * ناعِسٌ ناعِشٌ بِحَدٍّ يُحَدُّ

قَدْرُها قد زَها وتاهَتْ وباهَتْ * واعْتَدَتْ واغْتَدَتْ بِخَدٍّ يَخُدُّ

فارَقَتْنِي فأَرَّقَتْنِي وشَطَّتْ * وسَطَتْ ثُمَّ نَمَّ وَجْدٌ وجَدُّ

فَدَنَتْ فَدَيْتُ وحَنَّتْ وحُيِّيتُ * مُغْضَبًا مُغْضِيًا يَوَدُّ يُوَدُّ

فَطَفِقَ الشَّيْخُ يتأمَّلُ ما سطَّرَهُ * ويُقَلِّبُ فيهِ نَظَرَهُ * فلمَّا استَحْسَنَ خَطَّهُ * واستَصَحَّ ضَبْطَهُ * قال له لا شُلَّ عَشْرُكَ * ولا استُخْبِثَ نَشْرُكَ * ثُمَّ أهابَ بِفَتًى فَتَّانٍ * يُسْفِرُ عن أزْهارِ

بستان * فقال له أنشد البيتين المطرفين * المشتبهي الطرفين * اللذين أسكتا كل نافث * وأمنا أن يعززا بثالث * فقال له اسمع لا وقر سمعك * ولا هزم جمعك * وأنشد من غير تلبث ولا تريث

نظم

سم سمة تحسن آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما استطعت لا تأته * لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول * يا أبا الغلول * ثم نادى أوضح يا ياسين * ما يشكل من ذوات السين * فنهض ولم يتأن * وأنشد بصوت أغن *

نظم

نقس الدواة ورسغ الكف منبتة * سينا هما إن هما خطا وإن درسا

وهكذا السين في قسب وباسقة * والسغب والبخس واقسر واقتبس قبسا

وفي تقسست بالليل الكلام وفي * مسيطر وشموس واتخذ جرسا

وفي قريس وبرد قارس فخذ * الصواب عني كن للعلم مقتبسا

فقال له أحسنت يا نغيش * يا صاجة الجيش * ثم قال ثب يا عنبسة * وبين الصادات الملتبسة * فوثب وثبة شبل مثار * وأنشد من غير عثار *

نظم

بالصاد يكتب قد قبصت دراهما * يا ناملي واصخ لتستمع الخبر

وبصقت ابصق والصماخ وصنجة * والقص وهو الصدر واقتص الأثر

وبخصت مقلته وهذي قرصة * وقد ارعدت منه الفريصة للخور

وقصرت هندا اي حبست وقدونا * فصح النصارى وهو عيد منتظر

وقرصته والخمر قارصة اذا * حذت اللسان وكل هذا مشتطر

فقال له رعيا لك يا بني * فلقد اقررت عيني * ثم استنهض ذا جنة كالعيذق * ونغشة
كالشوذق * وامره بان يقف بالمرصاد * ويسرد ما اجرى على السين والصاد * فنهض
يسحب برديه * ثم انشد مشيرا بيديه * نظم

ان شئت بالسين فاكتب ما ابينه * وان تشأ فهو للصادات يكتتب

مغس وقفس ومسطار ومماس * وسالغ وسراط الحق والسقب

المغس الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين والقفس قفس البيضة * والمسطار
الخمرة المزة ويقال لها المسطارة ايضا * والمماس الذي يسقط من يديك ولا تشعر به *
والسالغ آخر اسنان ذوات الظلف * والسقب القرب * نظم

والسامغان وسقر والسويق ومسلاق * وعن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم * والمسلاق الشديد الصوت * ومنه قوله تعالى سلقوكم بالسنة
حداد * فقال له احسنت يا حبقة * يا عين بقة * ثم نادى يا دغفل * يا آبا زنفل *
فلباه فتى احسن من بيضة * في روضة * فقال له ما عقد هجاء الافعال * التي آخرها
حرف الاعتلال * فقال له اسمع لا صم صداك * ولا سمعت عداك * ثم انشد *

نظم

وما استرشد *

اِذا الفعل يوماً غم عنك هجاؤه * فألحق به تاء الخطاب ولا تقف

فان تر قبل التاء ياء فكتبه * بياء والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي * تعداه والمهموز في ذاك يختلف

قطرب الشيخ لما اداه * ثم عوذه وفداه * ثم قال هلم يا قعقاع * يا باقعة البقاع * فاقبل فتى احسن من نار القرى * في عين ابن السرى * فقال له اصدع بتمييز الظاء من الضاد * لتصدع اكباد الاضداد * فاهتز لقوله واهتش * ثم انشد بصوت اجش *

نظم

أيها السائلي عن الظاء والضا * د لكيما تضله الالفاظ

ان حفظ الظاءات يغنيك * فاسمعها استماع امرء له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والاظـ * ـلام والظلم والظبى واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيـ * ـظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللغظ والنظم والتقـ * ـريظ والقيظ والظماء واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجا * حظ والناظرون والايقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنـ * ـبوب والظهر والشظى والشظاظ

والاظافير والمظفر والمحـ * ـظور والحافظون والاحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنـ * ـة والكاظمون والمغتاظ

والوظيفاتُ والمواظبُ والكظّةُ * والانتظارُ والالظاظُ
وَوَظِيفٌ وظالِعٌ وعظيمٌ * وظهيرٌ والغظُّ والاغلاظُ
ونظيفٌ والظرفُ والظلفُ الظاهرُ ثم الغظيعُ والوعّاظُ
وعكاظٌ والظعنُ والمظُّ والحنظلُ والقارظانِ والاوشاظُ
المظُّ رمانُ البرّ * والقارظُ جاني القرظ وهو النبات المدبوغ به والاوشاظ الاخلاط
والجماعات

نظم

وظِرابُ الظرّانِ والشظفُ الباهظُ والجعظريُّ والجوّاظُ
الظرابُ الرُّبا الصغارُ واحدها ظَرِبٌ * والظرّانُ الحجارةُ المحدّدةُ واحدها ظررٌ
والشظفُ البؤسُ وسوءُ العيش * والباهظُ المثقِلُ * والجعظريُّ المتنفّخ بما ليس
عنده والجوّاظُ الفاجرُ وقيل الاكولُ المختالُ

نظم

والظرابينُ والحناظبُ والعنظبُ ثم الظيّانُ والارعاظُ
الظرابينُ جمع ظرِبانٍ وهي دابّةٌ لا يُطاقُ فسوُها وتجمع ايضا على ظرِبىً بحذف
النون وعلى ظِرْبى وهو جمع شاذٌ ولم يجئ على فِعْلى الا هذا وحِجْلى جمع حَجَلٍ *
والحناظبُ ذكورُ الخنافِس * والعنظبُ ذكرُ الجرادِ * والظيّانُ ياسمينُ البرّ *
والارعاظُ جمع رُعْظٍ وهو مدخلُ النصلِ في السهمِ *

نظم

والشناظي والدلظُ والظأبُ والظبظابُ والعنظوانُ والجنعاظُ *

الشَّناظِي نواحِي الجبل * والدَّلظُ الدَّفعُ واللَّظابُ الصَّخبُ وقد تُبدلُ الباءُ منه ميمًا وقيل إنَّ اللَّظابَ واللَّأمَ اسمانِ لِسَلَفِ الرَّجل * والعُنظُوانُ نبتٌ * والظَّبظابُ الدَّاءُ يُقالُ ما بِهِ ظَبظابٌ كما يُقالُ ما بِهِ قَلَبةٌ * والجِنعاظُ الأحمقُ وقيلَ إنَّهُ المُتسخِّطُ عندَ الطَّعامِ

نظم

والشَّناظِيرُ والتَّعاظُلُ والعِظلِمُ * والبَظرُ بعدُ والإنعاظُ

الشَّناظِيرُ جمعُ شِنظيرٍ وهو السَّيِّءُ الخُلُقِ * والتَّعاظُلُ تلازُمُ الجرادِ والكلابِ عِندَ السِّفادِ * والعِظلِمُ الخِطمِيُّ

نظم

هي هذي سوى النَّوادِرِ فاحفظها * لتقفو آثارَكَ الحُفَّاظُ

واقضِ فيما صرفتَ منها كما تقضيهِ * في أصلِهِ كقيظٍ وقاظُوا

فقال له الشيخُ أحسنتَ لا فُضَّ فُوكَ * ولا بَرَّ من يجفُوكَ * فواللهِ إنَّكَ معَ الصِّبا الغضِّ * لأحفظُ من الأرضِ * وأجمعُ من يومِ العرضِ * ولقد أوردتُكَ ورفقتُكَ زُلالي * وثقَّفتُكم تثقيفَ العوالي * وألحفتُكم جناحَ تكرِمتي * وسقيتُكم سُلافةَ كَرْمتي * حتى لحقتم بالعِلْيةِ * وتحلَّيتم من الأدبِ بأحسنِ الحِليةِ * فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرونِ * قال الحارثُ بنُ همّامٍ فعجبتُ لما أبدى من براعةٍ معجونةٍ برقاعةٍ * وأظهرَ من حذاقةٍ ممزوجةٍ بحماقةٍ * ولم يزل بصري يُصعِّدُ فيه و

يُصَوِّبُ * ويُنَقِّرُ عنه ويُنَقِّبُ * وهو كمن ينظرُ في ظَلْماءَ * او يَسْرِي في يَهْماءَ * فلمّا استراث تنبهي واستبان تدلُّهي * حملق اليَّ وتبسّم * وقال لم يبقَ مَن يَتَوَسَّم * فبُهِتُّ لِفَحْوى كلامه * ووجدتّه ابا زيدٍ عند ابتسامه * واخذْتُ أَلُومُه على تديّرِ بُقْعةِ النَّوكى * وتخيُّرِ حِرفةِ الحمقى فكأنَّ وجهه أُسِفَّ رَمادا * او أُشْرِبَ سَوادا * إلّا انّه أنشدَ وما تمادى *

نظم

تخيّرتُ حِمصَ وهذي الصِّناعة * لِأُرْزَقَ حُظْوةَ اهلِ الرَّقاعة
فما يَصطفي الدَّهرُ غيرَ الرَّقيع * ولا يُوطِنُ المالَ إلّا بِقاعَه
ولا لِأخي اللُّبِّ من دهرِه * سوى ما لِعَيرٍ رَبيطٍ بِقاعة

ثمّ قال أَما انّ التعليمَ أشرفُ صِناعةٍ * وأربحُ بِضاعةٍ * وأنجحُ شَفاعةٍ * وأفضلُ براعةٍ * وَرَبُّه ذو إمرةٍ مُطاعةٍ * وهيبةٍ مُشاعةٍ * ورعيّةٍ مِطواعةٍ * يتسيطرُ تسيطُرَ أميرٍ * ويُرتِّبُ ترتيبَ وزيرٍ * ويتحكّمُ تحكُّمَ قديرٍ * ويتشبّه بذي مُلكٍ كبيرٍ * لولا انّه يَخْرَفُ في آمدٍ يسيرٍ * ويَتَّسِمُ بحُمقٍ شهيرٍ * يتقلّبُ بعقلٍ صغيرٍ ولا يُنبِّئُك مثلُ خبيرٍ * فقلتُ له تاللّه انّك لابنُ الايّام وعَلَمُ الأعلام * والسّاحرُ اللّاعبُ بالأفهام * المذلَّلُ له سُبُلُ الكلام * ثمّ لم ازلْ مُعتكفًا بناديه * مُغترفًا من سيلِ واديه * الى ان غابتِ الايّامُ الغُبرُ * ونابتِ الاحداثُ الغُبرُ * ففارقتُه ولِعيني العِبَرُ *

المقامة السابعة والاربعون الحجرية

حكى الحارث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة * فأرشدت الى شيخ يحجم بلطافة * ويسفر عن نظافة * فبعثت غلامي لإحضاره * وأرصدت نفسي لانتظاره * فابطأ بعد ما انطلق * حتى خلته قد ابق * او ركب طبقا عن طبق * ثم عاد عود المخفق مسعاه * الكل على مولاه * فقلت له ويلك ابطاء فند * وصلود زند * فزعم ان الشيخ اشغل من ذات النحيين * وفي حرب ككرب حنين * فعفت المشي الى احجام * وحرت بين اقدام واحجام * ثم رأيت الا تعنيف * على من ياتي الكنيف * فلما شهدت موسمه * وشاهدت ميسمه * رأيت شيخا هيئته نظيفة * وحركته خفيفة * وعليه من النظارة اطواق * ومن الزحام طباق * بين يديه فتى كالصمصامة * مستهدف للحجامة * والشيخ يقول له اراك قد ابرزت راسك * قبل ان تبرز قرطاسك * وولّيتني قذالك * ولم تقل لي ذالك * ولست ممن يبيع نقدا بدين * ولا يطلب اثرا بعد عين * فان انت رضخت بالعين * حجمت في الاخدعين * وان كنت ترى الشح اولى * وخزن الفلس في النفس احلى * فاقرأ عبس وتولى * واغرب عني والا * فقال الفتى والذي حرم صوغ المين كما حرم صيد الحرمين * اني لأفلس من ابن يومين * فثق بسيل تلعتي * وانظرني الى سعتي *

فقال الشيخ ويحك ان مثل الوعود * كغرس العود * هو بين ان يدركه العطب * او يدرك منه الرطب * فما يدريني ايحصل من وعدك جنى * ام احصل منه على ضنى * ثم ما الثقة بانك حين تبتعد * ستفي بما تعد * وقد صار الغدر كالتحجيل * في حلية هذا الجيل * فارحني بالله من التعذيب * وارحل الى حيث يعوي الذئب * فاستوى الغلام اليه * وقد استولى الخجل عليه * وقال والله ما يخيس بالعهد * غير الخسيس الوعد * ولا يرد غديرا لغدر * الا الوضيع القدر * ولو عرفت من انا * لما اسمعتني الخنا * لكنك جهلت فقلت * وحيث وجب ان تسجد بلت * وما اقبح الغربة والاقلال * واحسن قول من قال

* نظم *

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

لكنه ما تشين الحر موجعة * فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما أصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا ويلة ابيك * وعولة اهليك * اانت في موقف فخر يظهر * وحسب يشهر * ام موقف جلد يكشط * وقفا يشرط * وهب ان لك البيت كما ادعيت * ايحصل بذلك حجم قذالك * لا والله ولو ان اباك اناف * على عبد مناف * او انخالك دان * عبد المدان * فلا تضرب في حديد بارد * ولا تطلب ما لست له بواجد * وباه اذا باهيت بموجودك * لا بجدودك * وبمحصولك * لا باصولك * وبصفاتك لا برفاتك *

و بائتلافك * لا بائتراقك * ولا تطع الطمع فيذلك * ولا تتبع الهوى فيضلك * ولله القائل لابنه

* نظم *

بنيّ استقم فالعود تنمى عروقه * قويماً ويغشاه اذا ما التوى التوى
ولا تطع الحرص المذل وكن فتى * اذا التهبت احشاؤه بالطوى طوى
وعاص الهوى المردى فكم من محلق * الى النجم لما ان اطاع الهوى هوى
واسعف ذوى القربى فيقبح ان يرى * على من الى الحر اللباب انضوى ضوى
وحافظ على من لا يخونون اذ ائتا * زمان ومن يرعى اذا ما النوى نوى
وان تقتدر فاصفح فلا خير فى امرئ * اذا اعتلقت اظفاره بالشوى شوى
واياك والشكوى فلم تر ذا نهى * شكى بل اخو الجهل الذى ما ارعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة * والطرفة الغريبة * انف فى السماء * واست فى الماء * ولفظ كالصهباء * وفعل كالحصباء * ثم اقبل على الشيخ بلسان سليط * وغيظ مستشيط * وقال أف لك من ضوائغ باللسان * رواغ عن الاحسان * تامر بالبر * وتعق عقوق الهر * فان يكن سبب تعنتك نفاق صنعتك * فرماها الله بالكساد * وافساد الحساد * حتى ترى افرغ من حجام ساباط * واضيق رزقا من سم الخياط * فقال له الشيخ بل سلط الله عليك بثر الغم * وتبيغ الدم * حتى تلجأ الى حجام عظيم الاشتطاط * ثقيل الاشتراط * كليل المشراط * كثير المخاط والضراط * قال فلما تبين الفتى انه يشكو

الى غير مصمت * ويراود استفتاح باب مصمت * اضرب عن رجع الكلام * واحتفز
للقيام * وعلم الشيخ انه قد الام * بما اسمع الغلام * فجنح الى سلمه * وبذل ان يذعن
لحكمه * ولا يبغي اجرا على حجمه * وابى الغلام الا التشكي بدائه * والهرب من
لقائه * وما زالا في حجاج وسباب * ولزاز وجذاب * الى ان ضج الفتى من الشقاق *
وتلا رنه سورة الانشقاق * فاعول حينئذ لوفارة خسره * وانعطاط عرضه وظمره *
واخذ الشيخ يعتذر من فرطاته * ويغيض من عبراته * وهو لا يصغي الى اعتذاره *
ولا يقصر عن استعباره * الى ان قال له فداك عمك * وعداك ما يغمك * اما تسأم
الاعوال * اما تعرف الاحتمال اما سمعت بمن قال * واخذ بقول من قال *

نظم

احمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه * من نار غيظك واصفح ان جنا جاني

فالحلم افضل ما ازدان اللبيب به * والاخذ بالعفو احلى ما جنى جاني

فقال له الغلام اما انك لو ظهرت على عيشي المنكدر * لعذرت في دمعي المنهمر *
ولكن هان على الاملس ما لاقى الدبر * ثم كانه نزع الى الاستحياء * فاقلع عن
البكاء * وفاء الى الارعواء * وقال للشيخ قد صرت الى ما اشتهيت * فارقع
ما اوهيت * فقال هيهات شغلت شعابي جدواي * فشم بارق سواي * ثم انه نهض يستقري
الصفوف * ويستجدي الوقوف * وينشد في ضمن ما يطوف * نظم *

أُقسِمُ بالبيتِ الحرامِ الذي * تهوِي اليه الزُّمَرُ المُحرِمَه
لوانّ عِندي قُوتَ يومٍ لمَا * مسَّتْ يدِي المِشْراطَ والمِحْجَمَه
ولا ارْتَضتْ نفسِي التي لم تزلْ * تسْمُو الى المجْدِ بهذِي السِّمَه
ولا اشْتَكى هذا الفتى غِلظَةً * مِنّي ولا شاكيتُهُ مِنّي حُمَه
لكِنْ صُروفُ الدَّهرِ غادَرتْني * كخابِطٍ فِي اللَّيلةِ المُظلِمَه
واضطرَّني الفقرُ الى موقِفٍ * مِنْ دُونه خوْضُ اللظى المُضْرمَه
فَهلْ فتى تُدرِكُهُ رِقّةٌ * عليَّ او تعطِفُهُ مرحَمَه

قال الحارثُ بن همَّام فكُنْتُ أوّلَ مَنْ أوى لِبلْواه * ورقّ لشكْواه * فنفحتُه بدِرهمَين * وقُلتُ لا كانا ولوكان ذامين * فابتهج بباكُورَةِ جناه * وتفاءَل بهما للغِناء * ولم تزلِ الدراهِمُ تنهالُ عليه * وتنثالُ لديه * حتى آلَ ذا عيشةٍ خضراءَ وحقيبةٍ بجراء * فازدهاهُ الفرحُ عِندَ ذلك * وهنّأ نفسه هُنالِك * وقال للغلامِ هذا ربعٌ آنت بذرُه * وحلبٌ لك شطرُه * فهلمَّ لنقتسِم * ولا نحْتشِم * فتقاسماه بينهُما شِقَّ الأبلمه * ونهضا مُتفقِي الكلِمه * ولمّا انتظم عقدُ الاصطِلاح * وهمّ الشيخُ بالرواح * قُلتُ له قدْ تبوّأغ دمِي * ونقلتُ اليك قدمِي * فهلْ لك في انْ تحجُمَنِي * تُكفكِفَ ما دهمَنِي * فصوّبَ طرفَه فِيَّ وصعّد *

ثمّ ازدلفَ اليَّ وانشد *نظم*

كيْفَ رأيتَ خُدْعتي وخَتْلِي * وما جرى بيني وبينَ سخلِي

حَتَّى انْثَنَيْتُ فائِزًا بالخَصْلِ * أَرْعَى رِياضَ الخِصْبِ بعدَ المحْلِ

بِاللهِ يا مُهْجَةَ قلبِي قُلْ لِي * هَلْ أَبْصَرَتْ عَيْناكَ قَطُّ مِثْلِي

يَفْتَحُ بِالرُّقْيَةِ كُلَّ قُفْلِ * وَيَسْتَبِي بالسِّحْرِ كُلَّ عَقْلِ

وَيَعْجِنُ الجِدَّ بِماءِ الهَزْلِ * إِنْ يَكُنِ الإِسْكَنْدَرِيُّ قَبْلِي

فَالطَّلُّ قَدْ يَبْدُو أَمامَ الوَبْلِ * وَالفَضْلُ لِلْوابِلِ لا لِلطَّلِّ

قال فبهتتني أُرْجُوزَتُهُ عليه * وأَرَتْنِي أَنَّهُ شيخُنا المُشارُ إليه * فقَرَّعْتُهُ على الابتذال * والالتحاقِ بالأَرْذال * فأَعْرَضَ عمّا سمع * ولم يُبَلْ بما قُرِّعَ * وقال كُلَّ الحِذاءِ يَحْتَذِي الحافِي الوَقِعُ * ثُمَّ قاصانِي مُقاصاةَ المُهان * وانطلق هو وابنُهُ كفَرَسَيْ رِهان * قال ابو محمد القاسم بن عليّ رضي الله عنه * قد أَوْدَعْتُ هذه المقامةَ بِضْعَةَ عشر مثلاً من أَمثالِ العرب * وها انا أُفَسِّرُ منها ما أَخالُهُ يَلْتَبِسُ على من يَقْتَبِسُ * أمّا قوله بُطْءُ فِنْدٍ فهو مولى عائشة بنت سعد بن ابي وقّاص وكانت بَعَثَتْهُ بالمدينة ليقتبس لها نارًا فقصد مصر وأقام بها سنةً ثم جاءها بعد السنة يشتدّ ومعه جمر فتبدّد منه فقال تعست العجلة * واما ذاتُ النِّحْيَيْنِ فهي امرأةٌ من تيم الله بن ثعلبة حضرت سُوقَ عُكاظ ومعها نِحْيا سَمْنٍ فاستخلى بها خوّاتُ بنُ جُبَيْرٍ الأَنصاريّ لِيَبْتاعَهُما منها ففتح أَحَدَهُما وذاقه ودفعه اليها فأخذته بإِحْدى يَدَيْها ثم فتح الآخرَ وذاقه ودفعه اليها فأمسكته بيدها الأُخرى ثُمَّ غَشِيَها وهي لا تقدر على الدفع عن نفسها لحفظها فم

النحيين وشحها على السمن فلما قام عنها قالت لا هناك فضرب المثل فيمن شغل وهى في هذا المثل مفعولة لانها شغلت واكثر الامثال التي على افعل ياتى من فعل الفاعل * واما قوله انف في السماء واست في الماء فيضرب هذا المثل لمن يتكبر مقالا ويصغر فعالا * واما قوله افرغ من حجام ساباط فذكر انه كان حجاما ملازما ساباط المدائن يحجم الجندى بدانق نسيئة وربما مرت عليه برهة لا يقربه فيها احد فكان يبرز امه عند تمادى عطلته فيحجمها لكيلا يقرع بالبطالة فمازال يحجمها حتى نزف دمها وماتت * واما قوله يشكو الى غير مصمت فهو مثل يضرب لمن لا يكترث بشان صاحبه ولا يبالي باستمرار شكايته لانه لو اشكاه لصمت وامسك عن الكلام ومنه قول الراجز يخاطب جملاه

*** نظم ***

انك لا تشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل هان على الاملس مالاقى الدبر * واما قوله شغلت شعابي جدواي فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيرى والشعاب النواحي واحدها شعب * وقوله كل الحذاء يحتذى الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة القدم فتوهنها * فاما البعير الموقع فهو الذى يكثر آثار الدبر بظهره *

المقامة الثامنة والاربعون الحرامية

رَوى الحارث بن همّام عن ابى زيد السّروجى * قال مازلتُ مُذ رحلت عنسى * وارتحلت عن عرسى وغرسى * احنّ الى عيان البصرة * حنين المظلوم الى النصرة * لما اجمع عليه ارباب الدراية * واصحاب الرواية * من خصائص معالمها وعلمائها * ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله تعالى ان يوطئنى ثراها * لافوز بمرآها * وان يمطينى قراها * لاقترى قراها * فلما احلّنيها الحظّ * وسرح لى فيها اللحظ * نظم

رأيت بها ما يملأ العين قرّة * ويسلى عن الاوطان كل غريب

فغلست فى بعض الايام * حين نصل خضاب الظلام * وهتف ابو المنذر بالنوّام * لاخطو فى خططها * واقضى الوطر من توسطها * فادانى الاختراق فى مسالكها * والانصلات فى سككها * الى محلّة موسومة بالاحترام * منسوبة الى بني حرام * ذات مساجد مشهودة * وحياض مورودة * ومبان وثيقة * ومغان انيقة * وخصائص اثيرة * ومزايا كثيرة * نظم *

بها ما شئت من دين ودنيا * وجيران تنافوا فى المعانى
فمشغوف بآيات المثانى * ومفتون برنّات المثانى
ومضطلع بتلخيص المعانى * ومطّلع الى تخليص عانى
وكم من قارئ فيها وقار * اضرّا بالجفون وبالجفان

وكَمْ من مُعَلِّمٍ للعلمِ فيها * وَنادٍ للنَّدى حُلْوِ المجاني

ومَغْنىً ما تزالُ تَغَنُّ فيه * أغاريدُ الغواني والأغاني

فَصِلْ إنْ شِئتَ فيها من يُصَلِّي * وإمّا شِئتَ فادْنُ مِنَ الدِّنانِ

ودُونَكَ صُحْبَةَ الأكياسِ فيها * أوِ الكاساتِ مُنْطَلِقَ العِنانِ

قال فبينما أنا أنفض طُرُقها * وأستَشِفُّ رَوْنَقَها * إذ لَمَحْتُ عند دُلوكِ بَراحِ * وإظلالِ الرَّواحِ * مَسْجِداً مُشْتَهِراً بطرائِفِه * مُزْدَهِراً بطوائِفِه * وقد أجرى أهلُه ذِكْرَ حُروفِ البَدَل * وجَرَوْا في حَلْبَةِ الجَدَل * فَعُجْتُ نَحْوَهُم * لأستَمطِرَ نَوْءَهُم * لا لأقْتَبِسَ نَحْوَهُم * فلم يَكُ إلّا كَقَبْسَةِ العَجْلان * حتّى ارتفعتِ الأصواتُ بالأذان * ثُمَّ رَوَفَ التّأذينَ بُرُوزُ الإمام * فأُغْمِدَتْ ظُبى الكَلام * وحُلَّتِ الحُبى للقيام * شُغِلْنا بالقُنُوتِ * عن استمدادِ القُوت * وبالسُّجود * عن استنزالِ الجُود * ولمّا قُضِيَ الفَرْضُ * وكادَ الجَمْعُ يَنْفَضُّ * انْبَرى من الجَماعة * كَهْلٌ حُلْوُ البَراعة * لَهُ مَعَ السَّمْتِ الحَسَن * ذَلاقةُ اللَّسِن وفَصاحةُ الحَسَن * وقال يا جِيرَتي الذينَ اصْطَفَيْتُهُم على أغصانِ شَجَرَتي * وجَعَلْتُ خِطَطَهُم دارَ هِجْرَتي * واتَّخَذْتُهُم كَرِشي وعَيْبَتي * وأعدَدْتُهُم لِحَضْرَتي وغَيْبَتي * أما تَعلَمُونَ أنَّ لَبُوسَ الصِّدْقِ أبْهى المَلابِسِ الفاخِرة وأنَّ فُضُوحَ الدُّنيا أهْوَنُ من فُضُوحِ الآخِرة * وأنَّ الدِّينَ إمْحاضُ النَّصيحة * والإرشادَ عُنْوانُ العقيدةِ الصَّحيحة * وأنَّ المُسْتَشارَ مُؤتَمَنٌ * والمُسْتَرْشِدَ بالنُّصْحِ قَمِنٌ * وأنَّ أخاكَ هُوَ الذي عَذَلَكَ * لا الذي

عذرك * وصديقك من صدقك * لا من صدّقك * فقال له الحاضرون ايها الخِلّ
الودود * والخِدن المودود * ما سرّ كلامك الملغز * وما شرح خطابك الموجز *
وما الذي تبغيه منا لينجز * ولو اعجز * فوالذي حبانا بمحبتك * وجعلنا من صفوة
احبتك * ما نألوك نصحا * ولا ندخر عنك نصحا * فقال لهم جزيتم خيرا * ووقيتم
ضيرا * فانكم من لا يشقى بهم جليس * ولا يصدر عنهم تلبيس * ولا يخيب فيهم مظنون
* ولا يطوى دونهم مكنون * سأبثكم ما حاك في صدري * واستفتيكم فيما عيل
له صبري * اعلموا اني كنت عند صلود الزند * وصدود الجد * اخلصت مع الله نية
العقد * واعطيته صفقة العهد * على ان لا اسبأ مداما * ولا اعاقر ندامى * ولا احتسي
قهوة * ولا اكتسي نشوة * فسوّلت لي النفس المضلة * والشهوة المزلة * ان نادمت
الابطال * وعاطيت الارطال * واضعت الوقار * وارتضعت العقار * وامتطيت
مطا الكميت * وتناسيت التوبة كالميت * ثم لم اقنع بها تيكم المرة * في طاعة ابي مرة *
حتى عكفت على الخندريس * في يوم الخميس * وبت صريع الصهباء * في الليلة
الغراء * وها انا بادي الكآبة * لرفض الانابة * نامي الندامة * لوصل المدامة *
شديد الاشفاق * من نقض الميثاق * معترف بالاسراف * في عب السلاف *
فيا قوم هل كفارة تعرفونها تباعد من ذنبي * وتدنيني الى ربي * قال ابو زيد فلما حل
انشوطة نفثه * وقضى الوطر من اشتكاء بثه * ناجتني نفسي يا ابا زيد * هذه نهزة

صَيدٍ * فشمَّرَ عن يدٍ وأيْدٍ * فانتهضتُ من مَجْثمي انتهاضَ الشَّهْم * وانخرطتُ من
الصَّفِّ انخراطَ السَّهْم * وقلتُ * نظم *

أيُّها الأروعُ الذي * فاقَ مجداً وسُؤْدَدا
والذي يبتغي الرشا * دَ لِينجو بهِ فدا
إنَّ عندي علاجَ ما * بِتَّ منهُ مُسهَّدا
فاستمعها عجيبةً * فادَّرتني مُلدَّدا
أنا من ساكني سرو * جَ ذوي الدين والهُدا
كُنتُ ذا ثروةٍ بها * ومُطاعاً مُسوَّدا
مَرْبعي مألفُ الضيو * فِ ومالي لهم سُدا
أشتري الحمدَ باللُّهى * وأقي العِرضَ بالجدا
لا أُبالي بمُنفسٍ * طاحَ في البذلِ والندا
أُوقدُ النارَ باليفا * عِ إذا النِّكسُ أخمدا
ويراني المؤمِّلو * نَ ملاذاً ومقصِدا
لم يشم بارقي صدٍ * فانثنى يشتكي الصدا
لا ولا رامَ قابسٌ * قدحَ زندي فأصلدا
طالما ساعدَ الزما * نُ فأصبحتُ مُسعَدا

فقضى اللهُ ا يغيِّرَ * ما كان مُـوِّدا
بوّا الرّوم ارضنا * بعد ضغنٍ تولّدا
فاستباحوا حريمَ مَنْ * صادفوهُ مُوحِّدا
وحووا كُلَّ ما استسرَّ * بها لي وما بدا
فتطوّحتُ في البلاد * طريدا مُشرّدا
اجتدي النّاسَ بعد ما * كُنتُ مِن قبلُ مُجتدا
وترى بي خصاصةً * اتمنّى لها الرّدا
والبلاءَ الّذي بهِ * شملُ انسي تبدّدا
استباءُ ابنتي الّتي * اسروها لتفتدا
فاستبنْ محنتي ومُدَّ * الى نصرتي يدا
واجرني من الزّمانِ * فقد جار واعتدا
واعنّي على فكاكِ * ابنتي مِن يدِ العدا
فبذا تنمحي الما * ثمُ عمّن تمرّدا
وبهِ تُقبلُ الانابةُ * مِمّن تزهّدا
وهو كفّارةٌ لمن * زاغ من بعد ما اهتدا
ولئن قُمتُ مُنشدا * فلقد فهتُ مُرشدا .

فَاقبلِ النُّصحَ والهِدايةَ واشكُر لِمَنْ هَدا
وَاسمَعِ الآنَ بِالَّذي * يتَسَنَّى لِتُحمَدا

قال ابوزيد فلمّا اتممتُ هذرمتي * واُوهِمَ المسئُولُ صدقَ كَلِمتي * آغراه القرمُ الى الكَرم بمُواساتي * ورَغبهُ الكلفُ بِحَملِ الكلَفِ في مُفاساتي * فرَضَ لي على الحافِره * ونَضَّ لي بِالعُدَّةِ الوافِره * فانقلبتُ الى وَكْري * فرِحاً بنُجحِ مكري وقد حصلتُ مِنْ صَوْغِ المَكِيدَه * على سَوْغِ الثَّرِيدَه * ووَصلتُ من حوكِ القَصِيدَه * الى لَوْكِ العَصِيدَه * قال الحارثُ بنُ هَمّام فقلتُ له سُبحانَ مَن ابدعَكَ * فما اعظَمَ خُدعَكَ * فاستغربَ في الضَّحِك * ثمَّ انشَدَ غيرَ مُرتبِك

نظم

عِشْ بِالخداعِ فانتَ في * دَهرٍ بنوهُ كاسْدِ بيشَهْ
وأدِرْ قَناةَ المكرِ حتّى تستَدِيرَ رَحَى المعيشَهْ
وصِدِ النسُورَ فانْ تعذَّرَ صيدُها فاقنَعْ بريشَهْ
واجْنِ الثمارَ فانْ تفُتْكَ فرَضِّ نفسَكَ بالحشيشَهْ
وارِحْ فُؤادَكَ انْ نَبا * دَهرٌ مِنَ الفِكرِ المُطيشَهْ
فتغايُرُ الاحداثِ يُؤذِنُ باستحالَةِ كُلِّ عِيشَهْ

المقامة التاسعةُ والاربعون

حكى الحارِثُ بنُ هَمّام * قال بلغني انَّ ابا زيد حين ناهزَ القبضَه * وابتزَّهُ قيدُ الهرمِ

النهضة * احضر ابنه * بعدما استجاش ذهنه * وقال له يا بنيّ انه قد دنا ارتحالي من
الفناء * واكتحالي بمرود الفناء * وانت بحمد الله وليّ عهدي * وكبش الكتيبة
الساسانية من بعدي * ومثلك لا تقرع له العصا * ولا ينبّه بطرق الحصا * ولكن قد
ندب الى الاذكار * وجعل صيقلا للافكار * واني أوصيك بما لم يوص به شيث
الانباط * ولا يعقوب الاسباط * فاحفظ وصيتي * وجانب معصيتي * واحذ مثالي *
واقف امثالي * فانك ان استرشدت بنصحي * واستصبحت بصبحي * امرع خانك
* وارتفع دخانك * وان تناسيت سورتي * ونبذت مشورتي * قلّ رماد اثافيك *
وزهد اهلك ورهطك فيك * يا بنيّ اني جرّبت حقائق الامور * وبلوت تصاريف
الدهور * فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه * والفحص عن مكسبه * لا عن حسبه *
وكنت سمعت ان المعايش امارة وتجارة * وزراعة وصناعة * فمارست هذه الاربع
* لانظر ايها اوفق وانفع * فما احمدت منها معيشة * ولا استرغدت فيها عيشة *
امّا فرص الولايات * وخلس الامارات * فكأضغاث الاحلام * والفيء المتنسخ
بالظلام * وناهيك غصة بمرارة الفطام * واما بضائع التجارات * فعرضة للمخاطرات
* وطعمة للغارات * وما اشبهها بالطيور الطيارات * واما اتخاذ الضياع * والتصدّي
للازدراع * فمنهكة للاعراض * وقيود عائقة عن الارتكاض * فلما خلا ربها
من اذلال * او رزق روح بال * واما حرف اولي الصناعات * فغير فاضلة عن

الاقوات * ولا نافقة في جميع الاوقات * ومُعظمها مغصوبٌ بشبيبة الحيوة ولم أر ما
هو بارد المغنم * لذيذ المطعم * وافي المكسب * صافي المشرب * الّا الحرفة التي وضع
ساسان اساسها * ونوّع اجناسها * واضرم في الخافقين نارها * واوضح لبني غبراء
منارها * فشهدت وقائعها مُعلماً * واخترت سيماها لي ميسماً * اذ كانت المتجر الذي
لا يبور * والمنهل الذي لا يغور * والمصباح الذي يعشوا اليه الجمهور * ويستصبح به
العمي والعور * وكان اهلها اعزّ قبيل * واسعد جيل * لا يرهقهم مسّ حيف * ولا
يقلقهم سلّ سيف * ولا يخشون حمة لاسع * ولا يدينون لدانٍ ولا شاسع * ولا يرهبون من برق
ورعد * ولا يحفلون بمن قام وقعد * انديتهم منزّهة * وقلوبهم مرفّهة * وطعمهم معجّلة
* واوقاتهم غرٌّ محجّلة * اينما سقطوا لقطوا * وحيثما انخرطوا خرطوا * لا يتّخذون
اوطاناً * ولا يتّقون سلطاناً * ولا يمتازون عمّا تغدو خماصا * وتروح بطاناً * فقال له
ابنه يا ابتِ لقد صدقت فيما نطقت * ولكنك رتقت وما فتقت * فبيّن لي كيف
اقتطف * ومن اين تؤكل الكتف * فقال يا بنيّ انّ الارتكاض بابها * والنشاط
جلبابها * والفطنة مصباحها * والقحة سلاحها * فكن اجول من قطرب * واسرى
من جندب * وانشط من ظبي مقمر * واسلط من ذئب متنمّر * واقدح زند جدّك *
بجدك * واقرع باب رزقك * بسعيك * وجب كلّ فجّ * وخض كلّ لجّ * وانتجع
كلّ روض * والقِ دلوك الى كلّ حوض * ولا تسام الطلب * ولا تملّ الدأب *

فقد كان مكتوبا على عصا شيخنا ساسان من طلب * جلب * ومن جال * نال * واياك والكسل فانه عنوان النحوس * ولبوس * ذوى البؤس * ومفتاح المتربه * ولقاح المتعبة * شيمة العجزة الجهاله * وشنشنة الوكلة * النكله * وما اشتار العسل من اختار الكسل * ولا ملأ الراحة من استوطأ الراحة * وعليك بالاقدام * ولو على الضرغام * فان جراءة الجنان * تنطق اللسان * تطلق العنان * وبها تدرك الحظوة * وتملك الثروة * كما ان الخور صنو الكسل * وسبب الفشل * ومبطاة العمل * مخيبة للأمل * لهذا قيل فى المثل * من جسر * ايسر * ومن هاب * خاب * ثم ابرز يا بنى فى بكور ابى زاجر * وجرأة ابى الحارث * وحزامة ابى قترة * وختل ابى جعدة * وحرص ابى عقبة * ونشاط ابى وثاب * ومكر ابى الحصين * وصبر ابى ايوب * وتلطف ابى غزوان * وتلون ابى براقش * واخلب بصوغ اللسان * واخدع بسحر البيان * وارتد السوق قبل الجلب * وامتر الضرع قبل الحلب * وسائل الركبان قبل المنتجع * ودمث لجنبك قبل المضطجع * واشحذ بصيرتك للعيافه * وانعم نظرك فى القيافه * فان من صدق توسمه * طال تبسمه * ومن اخطأت فراسته * ابطأت فريسته * وكن يا بنى خفيف الكل * قليل الدل * راغبا عن الغل * قانعا من الوابل بالطل * وعظم وقع الحقير * واشكر على النقير * ولا تقنط عند الرد * ولا تستبعد رشح الصلد * ولا تيأس من روح الله انه

لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واذا خيرت بين ذرة منقودة * ودرة موعودة * فمل الى النقد * وفضل اليوم على الغد * فان للتأخير آفات * وللعزائم بدوات * وللعدات معقبات * وبينها وبين النجز عقبات * وعليك بصبر اولى العزم * ورفق ذوى الحزم * وجانب خرق المشتط * وتخلق بالخلق السبط * وقيد الدرهم بالربط * وشب البذل بالضبط * ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط * ومتى نبا بك بلد * اونا بك فيه كمد * فبت منه املك * واسرح عنه جملك * فخير البلاد ما حملك * ولا تستثقلن الرحلة * ولا تكرهن النقلة * فان اعلام شريعتنا * واشياخ عشيرتنا * اجمعوا على ان الحركة بركة * والطراءة سفتجة * وزروا على من زعم ان الغربة كربة * والنقلة مثلة * وقالوا هى تعلة من اقتنع بالرذيلة * ورضى بالحشف وسوء الكيلة * واذا ازمعت الاغتراب * واعددت له العصا والجراب * فتخير الرفيق المسعد * من قبل ان تصعد * فان الجار قبل الدار * والرفيق * قبل الطريق * نظم

خذها اليك وصية * لم يؤتها قبلي احد

غراء حاوية خلاصات المعانى والزبد

نقحتها تنقيح من * محض النصيحة واجتهد

فاعمل بما مثلته * عمل اللبيب اخى الرشد

حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الاسد

ثم قال له يا بني قد اوصيت * واستقصيت * فان اقتديت * فوا هاً لك * وان اعتديت فآهاً منك * والله خليفتي عليك * وارجو ان لا تخلف ظني فيك * فقال له ابنه يا ابت لا وضع عرشك * ولا رفع نعشك فلقد قلت سدداً * وعلمت رشداً * وبينت لي سودداً * ونحلت ما لم ينحل والد ولداً * ولئن امهلت بعدك * ولا ذقت فقدك * فلأتأدبن بآدابك الصالحة * ولأقتدين بآثارك الواضحة * حتى يقال ما اشبه الليلة بالبارحة * والغادية بالرائحة * فاهتز ابو زيد لجوابه وابتسم * وقال من اشبه اباه فما ظلم * قال الحارث بن همام فأخبرت ان بني ساسان * حين سمعوا هذه الوصايا الحسان * فضلوها على وصايا لقمان * وحفظوها كما تحفظ ام القرآن * حتى انهم ليرونها الى الآن * اولى ما تلقنوه الصبيان * وانفع لهم من نحلة العقيان *

* المقامة الخمسون البصرية *

حكى الحارث بن همام * قال اشعرت في بعض الايام هماً برح بي استعاره * ولاح على شعاره * وكنت سمعت ان غشيان مجالس الذكر * يسرو غواشي الفكر * فلم ار لاطفاء ما بي من الجمره * الا قصد الجامع بالبصره * وكان اذ ذاك ماهول المساند * مشفوه الموارد * يجتنى من رياضه ازاهير الكلام * ويسمع في ارجائه

صَرِيرُ الأَقلامِ * فطلعتُ اليه غيرَ وانٍ * ولا لاوٍ على شانٍ * فلمّا وَطِئتُ حصاه *
واستشرفتُ اقصاه * تراأى لى ذو اطمارٍ باليةٍ * فوقَ صَخْرَةٍ عاليةٍ * وقد عصبتْ
بهِ عُصَبٌ لا يُحصى عَديدُهم * ولا ينادَى وَليدُهم * فابتدرتُ قصدَه * وتوردتُ
وِرْدَه * ورَجَوتُ ان اَجِدَ شِفائي عِندَه * ولم اَزَل اَنتقِلُ فى المراكز * واُغضى
للّاكِزِ والواكِزِ * الى ان جلستُ تُجاهَه * وبحيثُ اَمِنتُ اشتباهَه * فاذا هو
شيخُنا السَّرُوجيُّ لا رَيبَ فيهِ * ولا لَبْسَ يُخفيه * فتسرّى بمرآه همّي * وارفضّتْ
كَتيبةُ غمّي * وحينَ رآني * وبصُرَ بمكاني * قال يا اَهلَ البَصْرةِ رَعاكُمُ اللّهُ و
وَقاكُم * وقوّى تُقاكُم * فما اَضوعَ ريّاكُم * وآفضلَ مزاياكُم * بلدُكم
آوفى البلادِ طُهرةً * وازكاها فِطرةً * وافسحُها رُقعةً * وامرعُها نُجعةً * واقومُها قِبلةً *
واوسعُها دِجلةً * واكثرُها نهرًا ونخلةً * واحسنُها تفصيلًا وجُملةً * دِهليزُ البلدِ الحرامِ
* وقُبالةُ البابِ والمقامِ * وآحدُ جناحَيِ الدُّنيا * والمِصرُ المؤسَّسُ على التقوى * لم يتدنّسْ
ببيُوتِ النِّيرانِ * ولا طِيفَ فيهِ بالاَوثانِ * ولا سُجِدَ على اَديمِهِ لغيرِ الرّحمنِ *
ذُو المشاهِدِ المشهُودة * والمساجِدِ المقصُودة * والمعالِمِ المشهُورة * والمقابِرِ المزُورة *
والآثارِ المحمُودة * والخِطَطِ المحدُودة * بهِ تلتقِى الفُلكُ والرِّكابُ * والحيتانُ
والضِّبابُ * والحادِى والملّاحُ * والقانِصُ والفلّاحُ * والنّاشِبُ والرّامِحُ * والسّارِحُ
والسّابِحُ * وله آيةُ المدِّ الفائِضِ * والجزرِ الغائِضِ * واَمّا انتم فمَن لا يَختلِفُ فى

خصائصهم اثنان * ولا ينكرها ذو شنآن * دهماؤكم أطوع رعية للسلطان * وأشكرهم
للإحسان * وزاهدكم أورع الخليقة * وأحسنهم طريقة على الحقيقة * وعالمكم
علامة كل زمان * والحجة في كل أوان * منكم من استنبط علم النحو ووضعه *
والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه * وما من فخر إلا لكم فيه اليد الطولى *
والقدح المعلى * وأنتم أحق به وأولى * ثم إنكم أكثر أهل مصر مؤذنين
* وأحسنهم في النسك قوانين * وبكم اقتدى في التعريف * وعرف التسحير في
الشهر الشريف * ولكم إذا قرت المضاجع * وهجع الهاجع * تذكار يوقظ النائم * ويؤنس
القائم * وما ابتسم ثغر فجر * ولا بزغ نوره في بر ولا بحر * إلا ولتأذينكم بالأسحار * دوي
كدوي الريح في البحار * وبهذا عنكم صدع النقل * وأخبر النبي عليه السلام من قبل *
وبين أن دويكم بالأسحار * كدوي النحل في القفار * فشرفا لكم ببشارة المصطفى *
وواها لمصركم وإن كان قد عفا * ولم يبق منه إلا شفا * ثم إنه خزن لسانه * وختم
بيانه * حتى حدج بالأبصار وقرف بالإقصار * فتنفس تنفس من قيد للقود * أو ضبثت
به براثن أسد * ثم قال أما أنتم يا أهل البصرة فما منكم إلا العلم المعروف *
ومن له المعرفة والمعروف * وأما أنا فمن عرفني فأنا ذاك * وشر المعارف
من آذاك * ومن لم يثبت عرفتي * فسأصدقه صفتي * أنا الذي أنجد وأتهم *
وأيمن وأشأم * وأصحر وأبحر * وأدلج وأسحر * نشأت بسروج * وربيت

على السروج * ثم ولجت المضائق * وفتحت المغالق * وشهدت المعارك * والنت العرائك * واقتعدت الشواهس * وارغمت المعاطس * واذبت الجوامد * وامعت الجلامد * سلوا عني المشارق والمغارب * والمناسم والغوارب * والمحافل والجحافل * والقبائل والقنابل * واستوضحوني من نقلة الاخبار * ورواة الاسمار * وحداة الركبان * وحذاق الكهان * لتعلموا كم فج سلكت * وحجاب هتكت * ومهلكة اقتحمت * وملحمة الحمت * وكم الباب خدعت * وبدع ابتدعت * وفرص اختلست * واسد افترست * وكم محلق غادرته لقى * وكامن استخرجته بالرقى * وحجر سحرته حتى انصدع * واستنبطت زلاله بالخدع * ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب * والفود غربيب * وبرد الشباب قشيب * فاما الآن وقد امتشن الاديم * وتأود القويم * واستنار الليل البهيم * فليس الا الندم ان نفع * وترقيع الخرق الذي قد اتسع * وكنت رويت في الآثار المسندة * والاخبار المعتمدة * ان لكم من الله تعالى في كل يوم نظرة * وان سلاح الناس الحديد وسلاحكم الادعية * فقصدتكم انضي الرواحل * واطوي المراحل * حتى قمت هذا المقام فيكم * ولا من لي عليكم * اذ ما سعيت الا في حاجتي * ولا تعبت الا لراحتي * ولست ابغي اعطيتكم * بل استدعي ادعيتكم * ولا اسألكم اموالكم * بل استنزل سؤالكم * فادعوا الله تعالى بتوفيقي للمتاب * والاعداد للمآب * فانه رفيع

الدرجات * ومجيب الدعوات * وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات * ثم انشد

* نظم *

أستغفر الله من ذنوب * أفرطت فيهن واعتديت
كم خضت بحر الضلال جهلاً * ورحت في الغي واعتديت
وكم أطعت الهوى اغترارا * واحتلت واغتلت وافتريت
وكم خلعت العذار ركضا * إلى المعاصي وما ونيت
وكم تناهيت في التخطي * إلى الخطايا وما انتهيت
فليتني كنت قبل هذا * نسيا ولم أجن ما جنيت
فالموت للمجرمين خير * من المساعي التي سعيت
يا رب عفوا فأنت أهل * للعفو عني وإن عصيت

قال الراوي فطفقت الجماعة تمده بالدعاء * وهو يقلب وجهه في السماء * إلى أن دمعت أجفانه * وبدا رجفانه * فصاح الله أكبر بانت أمارة الاستجابة * وانجابت غشاوة الاسترابة * فجزيتم يا أهل البصرة * جزاء من هدى من الحيرة * فلم يبق في القوم إلا من سر لسروره * ورضخ له بميسوره * فقبل عفو برهم * واقبل يهرف في شكرهم * ثم انحدر من الصخرة * يؤم شاطئ البصرة * واعتقبته إلى حيث تخالينا * وأمنا التجسس

والتجسس علينا * فقلت له لقد اغربت في هذه النوبة * فما رأيك في التوبة * فقال أقسم بعلام الخفيات * وغفار الخطيات * ان شاني لعجاب * وان دعاء قومك لمجاب * فقلت زدني افصاحا * زادك الله صلاحا * فقال وابيك لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع * ثم انقلبت بقلب المنيب الخاشع * فطوبى لمن صغت قلوبهم اليه * وويل لمن باتوا يدعون عليه * ثم ودعني وانطلق * واودعني القلق * فلم ازل اعاني الفكر * واتشوف الى خبرة ما ذكر * وكلما استنشيت خبره من الركبان * وجوابة البلدان * كنت كمن حاور عجماء * او نادى صخرة صماء * الى ان لقيت بعد تراخي الامد * وتراقي الكمد * ركبا قافلين من سفر * فقلت هل من مغربة خبر * فقالوا ان عندنا لخبرا اغرب من العنقاء * واعجب من نظرة الزرقاء * فسألتهم ايضاح ما قالوا * وان يكيلوا لي بما اكتالوا * فحكوا انهم الموا بسروج * بعد ما فارقها العلوج * فرأوا ابا زيدها المعروف * قد لبس الصوف * وأم الصفوف * وصار بها الزاهد الموصوف * فقلت اتعنون ذا المقامات * فقالوا انه الآن ذو الكرامات * فحفزني اليه النزاع * ورأيتها فرصة لا تضاع * فارتحلت رحلة المجد * وسرت نحوه سير المجد * حتى حللت بمسجده * وقرارة متعبده * فاذا به قد نبذ صحبة اصحابه * وانتصب في محرابه * وهو ذو عباءة مخلولة * وشملة موصولة * فهبته مهابة

من ولج على الأسود * والفئة ممن سيماهم في وجوههم من أثر السجود * ولما فرغ من سبحته * حياني بمسبحته * من غير أن نغم بحديث * ولا استخبر عن قديم ولا حديث * ثم أقبل على أوراده * وتركني أعجب من اجتهاده * وأغبط من يهدي الله من عباده * ولم يزل في قنوت وخشوع * وسجود وركوع * وإخبات وخضوع * إلى أن أكمل إقامة الخمس * وصار اليوم أمس * فحينئذ انكفأ بي إلى بيته * وأسهمني من قرصه وزيته * ثم نهض إلى مصلاه * وتخلى بمناجاة مولاه * حتى إذا التمع الفجر * وحق للمتهجد الأجر * عقب تهجده بالتسبيح * ثم اضطجع ضجعة المستريح * وجعل يرجع بصوت فصيح

* نظم *

خل ادكار الأربع * والمعهد المرتبع
والظاعن المودع * وعد عنه ودع
واندب زمانا سلفا * سودت فيه الصحفا
ولم تزل معتكفا * على القبيح الشنع
كم ليلة أودعتها * مآثما أبدعتها
لشهوة أطعتها * في مرقد ومضجع
وكم خطى حثثتها * في خزية أحدثتها

وَتَوْبَةٍ نَكَثْتَها * لِمَلْعَبٍ وَمَرْتَعِ

وَكَمْ تَجَرَّأْتَ عَلَى * رَبِّ السَّمٰواتِ العُلَى

وَلَمْ تُراقِبْهُ وَلَا * صَدَقْتَ فِيما تَدَّعِي

وَكَمْ غَمَطْتَ بِرَّهُ * وَكَمْ اَمِنْتَ مَكْرَهُ

وَكَمْ نَبَذْتَ اَمْرَهُ * نَبْذَ الحِذَا المُرَقَّعِ

وَكَمْ رَكَضْتَ فِي اللَّعِبْ * وَفُهْتَ عَمْدًا بِالكَذِبْ

وَلَمْ تُراعِ ما يَجِبْ * مِنْ عَهْدِهِ المُتَّبَعِ

فَالْبَسْ شِعارَ النَّدَمِ * وَاسْكُبْ شَآبِيبَ الدَّمِ

قَبْلَ زَوالِ القَدَمِ * وَقَبْلَ سُوْءِ المَصْرَعِ

وَاخْضَعْ خُضُوعَ المُعْتَرِفْ * وَلُذْ مَلَاذَ المُقْتَرِفْ

وَاعْصِ هَواكَ وَانْحَرِفْ * عَنْهُ انْحِرافَ المُقْلِعِ

اِلَامَ تَسْهُو وَتَنِي * وَمُعْظَمُ العُمْرِ فَنِي

فِيما يَضُرُّ المُقْتَنِي * وَلَسْتَ بِالمُرْتَدِعِ

اَمَا تَرَى الشَّيْبَ وَخَطْ * وَخَطَّ فِي الرَّاسِ خُطَطْ

وَمَنْ يَلُحْ وَخْطُ الشَّمَطْ * بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعِي

وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرِصِي * عَلَى ارْتِيادِ المَخْلَصِ

وطاوعي واخلصي * واستمعي النصح وعي

واعتبري بمن مضى * من القرون وانقضى

واخشي مفاجاة القضا * وحاذري ان تخدعي

وانتهجي سبل الهدى * وادكري وشك الردى

فان مثواك غدا * في قعر لحد بلقع

آها له بيت البلا * والمنزل القفر الخلا

ومورد السفر الاولى * واللاحق المتبع

بيت يرى من اودعه * قد ضمه واستودعه

بعد الفضاء والسعة * قيد ثلاث اذرع

لا فرق ان يحله * داهية او ابله

او معسر او من له * ملك كملك تبع

وبعده العرض الذي * يحوي الحيي والبذي

والمبتدي والمحتذي * ومن رعى ومن رعي

فيا مفاز المتقي * وربح عبد قد وقي

سوء الحساب الموبق * وهول يوم الفزع

ويا خسار من بغى * ومن تعدى وطغى

وشَبَّ نيرانَ الوغى * لِمَطْعَمٍ او مَطْمَعِ

يا مَن عليه المتكلْ * قد زادَ ما بي مِن وَجَلْ

لِما اجترحتُ مِن زَلَلْ * في عُمْرِيَ المُضَيَّعِ

فاغفِرْ لِعَبدٍ مُجْتَرِمْ * وارْحَمْ بكاءَهُ المُنسَجِمْ

فانتَ اَوْلى مَنْ رَحِمْ * وخَيرُ مَدْعُوٍّ دُعِي

قال فلم يَزَلْ يُرَدِّدُها بصوتٍ رَقيقٍ * ويَصِلُها بِزَفيرٍ وشَهيقٍ حتَّى بَكَيْتُ لِبُكاءِ عينيهِ * كما كُنْتُ مِنْ قَبْلُ اَبْكِي عليهِ * ثمَّ بَرَزَ الى مَسْجِدِهِ * بوُضُوءِ تَهَجُّدِهِ * فانطَلَقْتُ رِدْفَهُ * وصَلَّيتُ مع مَنْ صلَّى خَلْفَهُ * ولَمَّا انفَضَّ مَنْ حَضَرَ * وتَفَرَّقُوا شَغَرَ بَغَرَ * اَخَذَ يُهَيْنِمُ بِدَرْسِهِ * ويَسْبِكُ يَوْمَهُ في قالَبِ اَمْسِهِ * وفي ضِمْنِ ذلك يُرِنُّ اِرْنانَ الرَّقُوبِ * ويَبْكي ولا بُكاءَ يَعقُوبَ * حتَّى استَبَنْتُ انَّهُ قد لَحِقَ بالاَفْرادِ * واُشْرِبَ قَلْبُهُ هوى الانفِرادِ * فاَخْطَرْتُ بِقلبي عَزْمَةَ الارتحالِ * وتَخْلِيَتَهُ والتَّخَلِّي بتلك الحالِ * فكانَّهُ تَفَرَّسَ ما نَوَيْتُ * او كُوشِفَ بما اَخْفَيْتُ * فزَفَرَ زَفْرَةَ الاَوَّاهِ * ثمَّ قَرَأَ فاذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ على اللهِ * فاسْجَلْتُ عند ذلك بِصِدْقِ المُحَدَّثينَ * واَيْقَنْتُ اَنَّ في الاُمَّةِ مُحَدَّثينَ * ثمَّ دَنَوْتُ اليهِ كما يَدْنُو المُصافِحُ * قُلتُ اَوْصِني اَيُّها العَبْدُ الصَّالِحُ * فقال اجْعَلِ المَوْتَ نُصْبَ عَيْنِكَ * وهذا فِراقُ بَيْنِي وبَيْنِكَ * فوَدَّعْتُهُ وعَبَراتِي

يتحدرن من المآقي * وزفراتي يتصعدن من التراقي * وكانت هذه خاتمة التلاقي * قال القاسم بن علي * هذا آخر المقامات التي انشأتها بالاغترار * وامليتها بلسان الاضطرار * وقد الجئت الى ان ارصدنها للاستغراض * وناديت عليها في سوق الاعتراض * هذا مع معرفتي بانها من سقط المتاع * ومما يستوجب ان يباع ولا يبتاع * ولو غشيني نور التوفيق * ونظرت لنفسي نظر الشفيق * لسترت عواري الذي لم يزل مستورا * ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا * وانا استغفر الله تعالى مما اودعتها من اباطيل اللغو * واضاليل اللهو * واسترشده الى ما يعصم من السهو * ويحظي بالعفو * انه هو اهل التقوى واهل المغفره * وولي الخيرات في الدنيا والآخره * قد تمت مقامات الحريري *

بعون الله الغني * ويتلوها

حل لغاتها * وكشف

معضلاتها

* *
*

Allama Iqbal Library
47238

MOONIS BOOK DEPOT
Sotha Street, Badaun, U. P. (India).

J. & K. UNIVERSITY LIB.
Acc. No. 47238
Date 5.11.63